الدكتور قتيبة الشهابي

أسواق دمشق القديمة

ومشيداتها التاريخية



الاشراف الفني : زهير الحمو

من هالة وقتيبة

دمشق ٣١/١٠/١٩٩٠

أسواق دمشق القديمة

Dr. K. SHIHABI

THE OLD SOUKS OF DAMASCUS
&
THEIR HISTORICAL MONUMENTS

(A Field Research , Illustrated & Photographed by The Author)

الدكتور قتيبة الشهابي

أسواق دمشق القديمة

ومشيداتها التاريخية

بحث ميداني بعدسة المؤلف

منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٠

أسواق دمشق القديمة ومشيداتها التاريخية : بحث ميداني بعدسة المؤلف =
The old souks of Damascus & their historical monuments
/ الدكتور قتيبة الشهابي . ـ دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٠ . ـ ٥٢٤ ص :
صور شخصية ، مخططات ؛ ٢٧ سم .

١ ـ ٩٥٦١١١ر ش هـ ا ق ٢ ـ العنوان ٣ ـ الشهابي
مكتبة الأسد

الايداع القانوني : ع ـ ٧٢٤ / ٨ / ١٩٩٠

همسة شكر

إلى السيّدة الفاضلة ،

الدكتورة نجاح العطّار وزيرة الثقافة

اعترافاً بجليل رعايتها للفكر ، والفن ، والتراث

وإلى الصديق المؤرخ أكرم حسن العلبي ، الذي كان وكتابه القيّم

«خطط دمشق»

عوناً كبيراً لي في هذا البحث ، وإلى الأستاذ يحيى الشهابي ، والصديق المؤرخ أحمد الإيبش ، والصديق الفنان وارطان سركيسيان الذي عمل جاهداً كي تأتي الصور على أفضل وجه ، وإلى السيّدة سراب الأتاسي من المعهد الفرنسي للدراسات العربيّة بدمشق ، وإلى الأستاذ زهير الحمو مدير مطابع وزارة الثقافة لجهده الكبير في إخراج هذا العمل .

قتيبة

الإهداء

إلى ولديّ : سَرْمَد وَسَامر ،
ثروتي التي لا أملك غَيرها ،
وإلى أولاد كل النّاس .

مخطط البحث

لولا رسالة (نزهة الرفاق في شرح حال الأسواق) التي قدمها ابن عبد الهادي وعدّد فيها أسواق العهد المملوكي ، ولولا (الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء) التي ذكر فيها القساطلي أسواق العهد العثماني ، ولولا ما جاء به القاسمي من ذكر لبعض أسواق ذلك العهد في (قاموس الصناعات الشامية) ، وما ورد عند الحصني في (منتخبات التواريخ لدمشق) من تعداد لأسواق بدايات هذا القرن ، لكان الصدع أكبر من أن يربأ ، والهوة أوسع من أن تغلق ، فلا ابن جبير ولا ابن بطوطة ، ولا ياقوت ، ولا ابن طولون ، ولا الغزّيّ ولا غيرهم من المؤرخين والجغرافيين والرحالة جاؤوا على ذكر الأسواق كموضوع مستقل ، بل كانت تسمياتها عندهم ترد في سياق رواية الحدث ، ومع ذلك فقد أسهموا الى حد كبير بحفظ هذه التسميات ، ولولا أن ذكروها لضاعت في غياهب النسيان ، ولما وصلنا منها شيء .

لكنهم تركوا لنا مجموعة كبيرة من الأحجيات والطلاسم والمتاهات ، كانوا عندما يأتون على تحديد موقع سوق من الأسواق يقولون (بجوار السوق الفلاني ، أو تحت سوق كذا) ، أو بجانب السوق المعروف ، أو قربه ، أو عنده ، أو فوقه ، أو في رأسه ، أو في أسفله ، أو في منطقته ، وغير ذلك من المدلولات الغامضة ، ولكن أين يقع هذا من ذاك ؟ وأين موضع كذا من الجهات الأربع ؟ ، ورغم أن علم الجغرافيا كان من العلوم المتطورة عند العرب في تلك الأزمنة ، لم يفكر أحد منهم بوضع ولو مخطط بسيط يبيّن المواقع والأمكنة، ولو فعل ، لكفانا مؤونة التخبط في غياهب المجهول الذي شغل الباحثين ردحاً طويلا من الزمن وما يزال .

ولقد وجدت أن الحل الأمثل لرأب هذا الصدع يكمن في الاستعانة (بالإتصالات البصرية) ومشاركة العين للمقولة ، والرؤية للفكر، مما يساعد على الحد من التخمين والظن والحدس ، ويبقي احتمالات الخطأ ضمن الحدود الدنيا ، وفي سبيل تحقيق هذا الأمر لجأت الى :

١ ــ وضع مخططين تصوريين لأسواق العهدين المملوكي والعثماني ، اعتماداً على المصادر التي ذكرت عند كل مخطط ، الأمر الذي يـؤدي بالباحث الى استخلاص الوضـع التعبوي لهذه الأسواق (تجمّعها ، كثافتها ، انتشارها ، عددها ، توزعها ، تسمياتها) كل ذلك بنظرة سريعة ، بدلا من أن ينفق جهداً أكبر ووقتـاً أطـول في المراجعة والتفتيش والتمحيص ، بمعنى أنني قدمتها له (على طبق من فضـّة) ولا أقول مـن ذهب .

٢ ــ وضع مخطـّطات ميدانية تفصيليـة للأسواق ومواقعها ومشيداتها التاريخية والأثرية بشكل تقريبي لم يسبق أن وضعت على هذا الشكل من قبل .

٣ ــ التصوير الميداني للأسواق القديمة لتأمين الاتصال البصري بين العـين والمقولة . وتأكيداً للتوثيق وللأمانة التاريخية وللأجيال القادمة من الباحثين ، سجلت عنـد كل صورة التقطتها العبارة التالية : (بعدسة المؤلف عام ...) .

٤ ــ ذكر تسميات الأسواق الشائعة على ألسنة الناس الى جانب التسميات الرسـمية ، والمتعارف عليها ، أو التي كانت تطلق عليها في العهود السابقة .

٥ ــ التأكيد على أن تكون اللغة التي أكتب بها النص لغة سهلة مفهومة لا غوص فيها ولا تقعـّر، ولو تطلب الأمر استعمالات العبارات العامية التي تضفي على المقولة بـُعداً أكثر واقعية .

وقد جعلت بحثي على التسلسل التالي :

آ ــ المخططات التاريخية لأسواق العهدين المملوكي والعثماني ، ثـم مخطـّطات الأسواق القديمة في حالتها الحاضرة .

ب ــ العملات المتداولة في العهد العثماني ، ثم أيام الانتداب الفرنسي ، بعدها في عهد الاستقلال .

جـ ـ وسائط النقل في الأسواق •

د ـ النسيج العمراني لأسواق دمشق القديمة ومشيداتها •

هـ ـ أسواق دمشق القديمة الحالية •

وبهذا الشكل تكون تغطيتي للبحث شبه متكاملة ، فلقد استطعت ضمن إمكاناتي الفردية أن أوثق الغالبية العظمى من الأسواق القديمة المعروفة التي جاء على ذكرها المؤرخون القدامى ، وأضفت اليها التوسع والامتداد الحاصلين فيها نتيجة التطور الزماني والمكاني ، وتسعدني في هذا المجال كلمة نقد أو تصويب أو تصحيح أكثر بكثير مما يسعدني المديح ، لأن الغاية المثلى لكل باحث هي الوصول الى أقصى درجة من الكمال وقد لا يصل •

صعوبات تصوير الأسواق

كم كان يسعدني لو جاءت صور هذا البحث على شكل أفضل مما قدمت ، إذن لبدت أسواقنا القديمة الجميلة أسطورة أو ملحمة ، غير أن الصعوبات الميدانية المكانية كانت أكبر بكثير من قدرتي على تجاوزها أو السيطرة الكاملة عليها ، ففي تصوير الخانات مثلاً واجهتني مشكلة :

١ ــ أبوابها المستعملة واجهات عرض لباعة الأقمشة والملبوسات وما شابه من البضائع التي تغطيها ٠

٢ ــ العتمة التي تكتنف ساكف الباب فتخفي الكتابات الحجرية المنقوشة فوقه ، وأحياناً اللوحات المؤرخة ــ إن وجدت ــ خصوصاً في الأسواق المغطاة ٠

٣ ــ أشرطة الكهرباء الممتدة بشكل عشوائي عبر الأبواب الأمر الذي يسيء الى المظهر الحضاري للخان ٠

٤ ــ الظلام الممتد في بعض مداخل الخانات ، ثم مصابيح الكهرباء العارية المتوهجة ، مما يجعل التحكم بالصورة ضرب من المستحيل ٠

٥ ــ أكتظاظ مداخل معظم الخانات وفسحاتها السماوية وأروقتها بالصناديق والعلب والأكياس والبضائع بشكل فوضوي فيه الكثير من الإساءة للمظهر الحضاري والجمالي ٠

٦ ــ جعلني ضعف الإضاءة في بعض الأسواق بين خيارين : فاما أن أختار توضيح عمق السوق لتبدو تفاصيله كاملة على حساب وضوح المارة ، أو أن أركز على المارة وأهمل تفاصيل السوق ، وكان أن فضلت الخيار الأول ٠

٧ ـ كان للتباين الشديد بين الظل والنور أثره السيء على نتيجــة الصورة وغياب بعض تفاصيل المناطق النيرة أو المناطق المعتمة ، ولم يجد إيجاد الحل الوسط بينهما لأنــه سيؤدي في النهاية الى غياب تفاصيل المنطقتين •

٨ ـ كان لخطوط الكهرباء التي لم أستطع تجاوزها في بعض الأحيان أثره السيء ولكنني اعتبرته جزءاً من التكوين •

٩ ـ قمت بتصوير بعض اللقطات من نفس زاوية الصــور القديمــة التي نشرت لتبيــان الفروقات بين زمنين مختلفين •

١٠ ـ كانت الأجهزة التي استعملت غاية في البساطة : كاميرا ، عدسة ببعد محرقي (٣٥) مم وحدقة (ف٢) ، وفي حالات أقل بكثير عدسة مقربة مبعدة (زوم بعدها المحرقي ٤٣ ـ ٨٦ مم) أما الأفــلام فكانت بحساسية (١٠٠ آزا) ، ولــم أستعمل الومّاض (الفلاش) إلا مرة أو مرتين كما لم أستعمل القائم الثلاثي (السيبة) مطلقاً •

وكانت البداية

سألني أحدهم مع بدايات الربيع وأنا أجول في الأسواق القديمة : ماذا تفعل ؟ ، قلت: أوثّق • قال : هل ركبت في حياتك طيور الشوك في يوم عاصف ، أو كوكباً ملتهباً في عمق الشمس ، هل امتطيت فرساً جموحاً ، أو جاموساً شَمُوساً، أو هرة هاربة من كلب مسعور؟• قلت : أحاول • قال : جرّب ، فأما أن تطفو فوق عباب اليم الهائج أو تصبح لقمة مريئة لأسماك الأعماق • وجرّبت ، ولم أعد أدري ما أنا ، وأين أنا ، صرت كنحلة دائمة الطنين ، دائمة الدوران ، تتضارب في رأسي الأصوات وتتداخل الموجات ، كما لو كان هذا الرأس مذياعاً بيد مصلّح ، أو (حمّاماً مقطوع الماء) كما تقول العامّة •

لم يكن من السهل عليّ تسخير كل طاقاتي الفردية للبحث في أسواق دمشق ولكنني فعلت ، تدفعني رغبة مجنونة لابداع لوحة جمالية فيها كل القيم التشكيلية ، وكل عناصر التشويق والاثارة ، لوحة يختلط فيها الواقع المضحك بالمبكي ، بالتجريد ، بالتكعيب ، بالسريالية ، بمكونات الدمشقي التاجر ، الذي وُجِد منذ أن بنى (دَمْشَق) دِمَشْق ، الذي لم يتغير رغم تغير المظاهر الخارجية فيه وحوله ، ورغم تبدل الأُطُر الحضارية في كل زمان وموضع •

وكانت البداية وكان أن أقدمت ، وبدأت الغوص في لجّة البحث فتابعت ، وتبيّن لي أن أسماك (القرش والباراكودا ، وحتى الفك المفترس) لن تكون أشد قسوة مما واجهت وعانيت ، فاستمريت ، عشت فقد المصادر ، وجوع المراجع ، وعطش الأبحاث والكتابات والتاريخ ، ورحت أفتش في الأوراق الصفر كمن يبحث عن صخرة تائهة منذ الأزل في عالم المجرّات ، ولم يكن نصيبي أكثر من كسرات خبز أو قطرات ماء ، فأسواق دمشق ، القديمة منها والجديدة ، شبكة متواصلة من خط مستمر لا نهائي ، شبكة من الدكاكين والحوانيت والمخازن والمتاجر والصالات، تحوّلت معها الأزقة الى أسواق ، والشوارع الى أسواق ، وحتى الأرصفة التي يشغلها الباعة المتعيّشون ، والجوّالون ، والبسطاطيّة ، تحولت الى أسواق •

دكاكين في كل دخلة .

حوانيت في كل حارة .

متاجر في كل شارع .

صالات في كل حي .

وكل حي سوق متكامل .

والمدينة بأسرها سوق كبير .

ولما لم أر بدأ من المواجهة ، تسلحت بعدستي ، وارتديت درع الشجاعة ، وانطلقت الى الأسواق العتيقة أبحث وأسأل وأنقّب وأصوّر ، ثم أعود الى الخرائط القديمة والجديدة ، وأراجع النذر اليسير مما وضع منها ، وأقاطع المعلومات ، وأستخلص القليل القليل من النتائج ، ثم أعود مرة أخرى الى أرضية الواقع ، أرسم مخططات لكل سوق في حالته الراهنة ، وأعين عليها مشيداته التاريخية والأثرية الهامة ، أو نقاط العلام الرئيسية ، ثم أقارنها مرة ثانية بالخرائط الموضوعة للشوارع والأحياء ، أصحح أو أحذف أو أضيف ، حتى أشعر بالاطمئنان الى دقة النتائج ، أو ما أعتقد بصحته من النتائج اذ لا بد من وقوع الخطأ ، فالبحث العلمي مجموعة من تجارب وأخطاء مكتشفة صوّبت ، وبقية ما زالت لم تكتشف.

الصورة عندي هي المقولة ، وهي التاريخ ، وأنا لست مؤرخاً انما أبحث عن رحيق الشكل والمساحة واللون ، العدسة هي قلمي ، والفيلم أوراقي ، واللوحة الناتجة كلماتي ومقالي ، ومن هذه العناصر أشكل القيم الجماليّة لأسواقنا ، وأرسم لها صورة ملحمة ، وأنظم فيها قصيدة غزل ، وأعزف لها سمفونيّة الوَجْد وكونشرتو الصراع .

صراعي مع نظرات الشك كلما صوّبت العدسة .

صراعي مع الرفض أو التمنّع كلما صوّبت العدسة .

صراعي مع رعب أهل السوق من التنظيم كلما صوّبت العدسة .

رعبي أنا من أهل السوق كلما صوّبت العدسة .

وسارت الأمور على خير طيلة البحث ، كان كل ما قدمته ابتسامة طمأنينة ، ورقة حديث ، وعذوبة لفظ ، وارتاح أهل السوق لما تأكدوا بأني لست أنا التنظيم ، ولا التموين ، ولا جابي الضرائب ، وأني أبحث في التاريخ ، لأبنائهم ، للناس ، لأجيال ستأتي

بكل المعجزات وبالعجائب ، وعند تجوالي بينهم كنت أسأل : ما اسم هذا الحي ؟ ما اسم هذا السوق ؟ وما هـذي الأوابـد والخرائب ؟ فيجيبني عدد كبير :

الأول : لا أعلم •

الثـاني : لا أدري •

الثـالث : أجهل •

الرابـع : لا بَعْـرِف ولا بِهـِمْني أعرف ، ما لي مصلحة •

الخامس : يرفع كتفيه ويقلب شفتيه دون أن ينطق •

السادس : ليش عَمْ تسأل ؟ •

السابع : هل ستنظّمون ؟ •

الثـامن : (ينظر بعين الشك الى الجينز الذي أرتدي والكاميرات التي أعلّق): أنت عربي؟•

التاسع : ما لك والتصوير هنا ، اذهب الى (أبو رمانة) وصوّر هناك •

العاشـر (بصوت أجشّ) : شو عَمْ بتصوّر يا سيّد ؟ •

ومع ذلك ، فهم في أعماقهم طيبون ، وفي شـكّهم طيبـون ، وبجهلهـم طيبـون ، وببساطتهم طيبون بكل ما في الطيبة من طيب •

وكانت البداية •

قتيبة

مخطط
أسواق العهد المملوكي

هذا المخطط هو نتاج خيال تصوّري لتجمع الأسواق وكثافتها في مدينة دمشق خلال العهد المملوكي (٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م ــ ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م) ، وهو ليس بخارطة تخضع لقوانين علم (الكارتوغرافي) أو ركائز علم (الجيوديزيا الدقيقة) ،وأرجو أن لا يفهم منه غير ما قصدت ، وقد اعتمدت عند تصميمه على المصادر المعروفة التي وضعت في ذلك العهد وهي :

١ ــ رسالة (نزهة الرفاق في شرح حال الأسـواق) ليوسف بن عبـد الهادي المعروف (بابن المَبْرَد) المتوفى سنة (٩٠٩ هـ/١٥٠٣ م) •

٢ ــ كتاب ثمار المقاصد في ذكر المساجد : ليوسف بن عبد الهادي أيضاً •

٣ ــ كتاب مفاكهة الخلان في حوادث الزمان : شمس الدين محمد بن طولون المتوفى سنة (٩٥٣ هـ/١٥٤٦ م) •

٤ ــ كتاب الدارس في تاريخ المدارس : عبد القادر النعيمي المتوفى سنة (٩٢٧هـ/١٥٢١م)•

٥ ــ كتاب نزهة الأنام في محاسن الشام : أ بو البقاء عبد الله البدري من علماء القرن التاسع الهجري •

كما لجأت عند وضعي لهذا المخطط الى :

آ ــ اهمال ذكر أسماء الأسواق التي لم أعثر على مواقعها وهي قليلة على كل حال •

ب ــ عدم ترتيب الأسواق في المخطط بشكل حقيقي لاستحالـة ذلك الا اذا كانت هـذه متواجدة في الزمن الحالي ، لأن الهدف الرئيسي مـن العمل هـو دراسة توزّع الأسواق وكثافتها في كل منطقة من مناطق دمشق •

جـ ــ باعتبار أن مواقع بعض الأسواق قد تبدّل منذ العهـد المملوكي الى اليوم مـع احتفاظها بنفس التسميات التي كانت لها فقد اعتمدت في المخطط تلك التي كانت في ذلك العهد •

* انظر المخطط رقم ١ في آخر الكتاب •

د ــ عند وجود أكثر من سوق يحمل نفس الاسم ، رأيت أن أضع رقماً لكل واحد (١ ــ ٢ ــ ٣) للدلالة على ذلك .

هـ ــ إذا تضاربت مواقع بعض الأسواق عند عدد من المؤرخين كنت أختار الموقع الذي كانت الأكثرية متفقة حوله .

وبنظرة سريعة على المخطط يمكن التوصّل الى النتائج التالية :

١ ــ كان التجمع الأكبر للأسواق في العهد المملوكي مركّزاً في منطقة (تحت القلعة) تليها الأسواق الواقعة جنوبي الجامع الأموي ، وعند باب البريد ، ثم منطقة باب الجابية والقسم الغربي من الشارع المستقيم (مدحت باشا حالياً) ، بعدها أسواق باب الفراديس وخان السلطان ومسجد القصب (مزّ القصب) والباب الصغير والشاغور والميدان ومنطقة الحدرة وباب السريجة وباب توما وغيرها مما يقل عدده عما ذكرت ، من هذا المنطلق يمكن القول بعبارة أخرى أن الكثافة الأشد لهذه الأسواق كانت شمالي القلعة وجنوبي الجامع الأموي وهي تبدأ بالتناقص كلما كان الاتجاه نحو الشرق والشمال وبدرجة أقلّ نحو الغرب والجنوب .

٢ ــ لم تكن هناك أسواق مختلطة كما هو الحال في زمننا ، بل كانت تلك الأسواق تخصصية لكل نوع من أنواع السلع سوقها وباسمها يسمّى أو باسم العاملين فيه أو نسبة للذي أنشأه .

٣ ــ تغيّرت مواقع بعض الأسواق منذ العهد المملوكي الى يومنا هذا مع احتفاظها بنفس أسمائها التي كانت تطلق عليها كسوقي (الذراع والقباقبية) وغيرهما ، كما اختفت تسميات أخرى كثيرة نتيجة لتماذج السلع المختلفة وتمركزها في السوق الواحد كما هو الحال في أسواقنا الحاضرة الأمر الذي جعلها تفقد ميّزة التخصص .

وأعود الى القول مرّة أخرى أن هذا المخطط ليس بخارطة ، وأن مواقع الأسواق فيه ليست دقيقة الا ما بقي منها متواجداً الى يومنا هذا ، كما أن عددها ليس بالكامل للاسباب التي ذكرت ، ويسعدني أن أقدمه لباحث آخر علّه يقوم بتصحيحه واستكمال ما نقص منه وليعتبره نقطة لبداية قد لا تنتهي الا بعد جهد مضنٍ ومعاناة كبيرة .

مخطط
أسواق العهد العثماني *

هذا المخطط أقرب الى الواقع من مخطط أسواق العهد المملوكي ، ويغطي معظم أسواق العهد العثماني التي يعتبر بعضها استمراراً لأسواق العهد الأسبق ، أو بالأصح ، ما بقي منها لأن عددا كبيرا من هذه الأسواق قد زال أو تبدلت تسميته أو موقعه .

وقد اعتمدت في وضع هذا المخطط على المصادر التالية :

١ ـ لطف السمر وقطف الثمر : نجم الدين محمد بن محمد الغزي الدمشقي المتوفى سنة (١٠٦١ هـ / ١٦٥١ م) .

٢ ـ الروضة الغناء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي ـ الطبعة الثانية (وكانت الطبعة الأولى عام ١٨٧٩ م) .

٣ ـ حوادث دمشق اليومية : الشيخ أحمد البديري الحلاق (وهو يغطي السنوات ١٧٤١ ـ ١٧٦٢ م) .

٤ ـ منتخبات التواريخ لدمشق: محمد أديب آل تقي الدين الحصني المتوفى سنة (١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م) .

٥ ـ قاموس الصناعات الشامية : القاسمي المتوفى سنة (١٩٠٠ م) .

٦ ـ دمشق في مطلع القرن العشرين : أحمد حلمي العلاف (ويغطي بدايات هذا القرن) .

٧ ـ الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر (دراسة ميدانية لدمشق عام ١٩١٧م).

٨ ـ خارطة شرطة دمشق الموضوعة خلال الأعوام (١٩٢٢ ـ ١٩٢٤ م) .

والملاحظ في مصادر العهد العثماني أنها لم تتعرض الى ذكر الأسواق كموضوع مستقل، بل كان ذكرها يأتي في سياق الأحداث ، الا القساطلي الذي عدد معظمها وحدد مواقع بعض منها ، ولحسن الحظ أن عددا منها استمر الى الآن مما سهل عملية حصرها ومجاوراتها من الأسواق الأخرى . وبمقارنة هذا المخطط مع مخطط أسواق العهد المملوكي تتوصل الى النتائج التالية :

* انظر المخطط رقم (٢) في آخر الكتاب .

١ ـ اختفاء عدد كبير من أسواق العهد المملوكي ، وكذلك تسمياتها ، خصوصا في مناطق تحت القلعة وباب الجابية وباب الفرج وباب الفراديس •

٢ ـ تقلص عددهـا بكامل المدينة الى حـد كبير •

٣ ـ تبدل أسماء بعض الأسواق دون تبدل مواقعهـا •

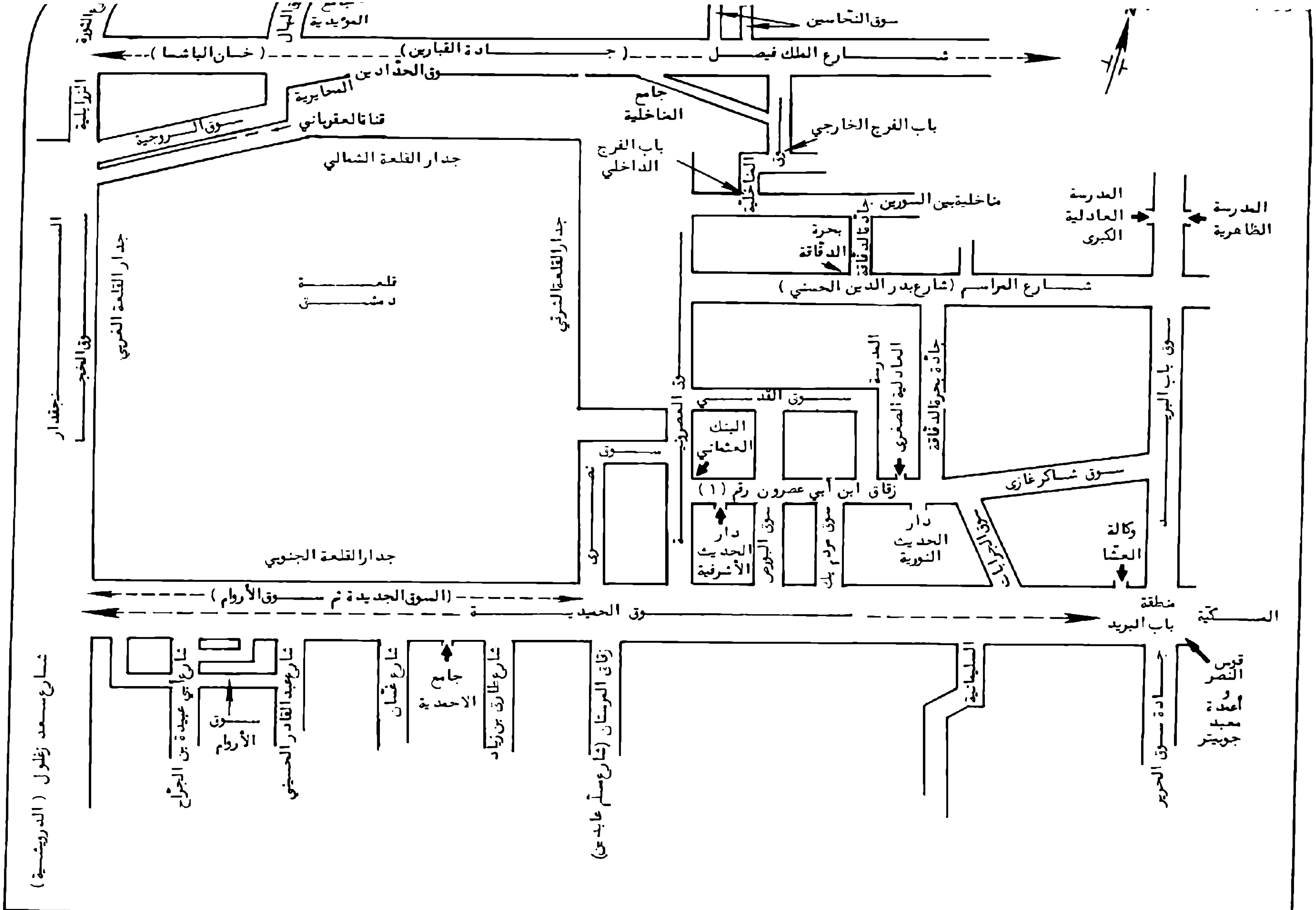
٤ ـ تغير مواقع بعض الأسواق مع احتفاظها بتسمياتها •

٥ ـ نشوء أسـواق جديدة في مواضع جديـدة •

٦ ـ احتفاظ بعض الأسواق بمواقعها وتسمياتها القديمـة •

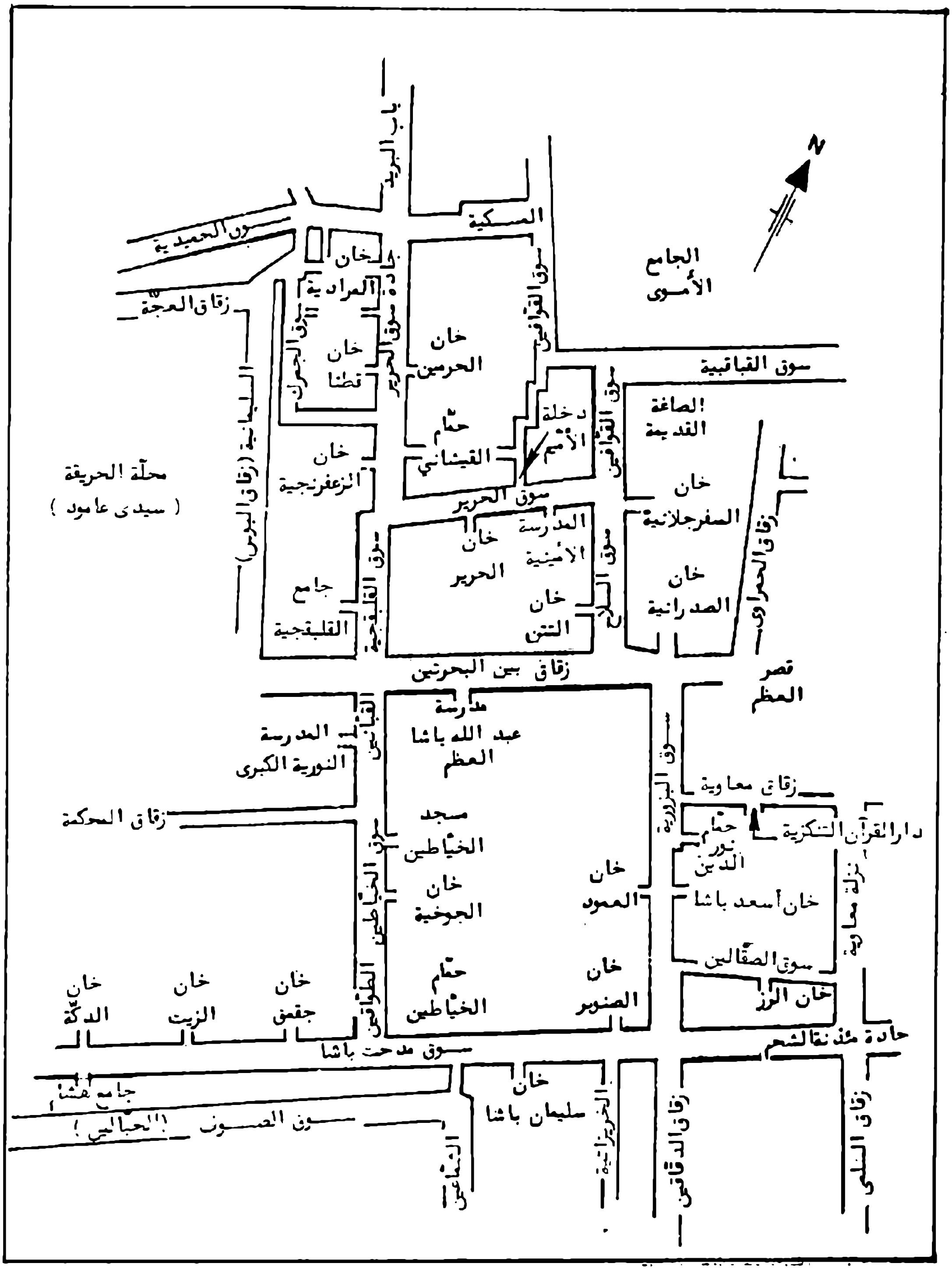
ولم استطع التوصل الى تحديد دقيق لمواقع عدد قليل من الأسواق كسوقي (الزنوطية والدق) اللذين ذكرهما البديري الحلاق ، وكان الأول بالقرب من الجامع الأموي وعند انهياره استخدمت حجارته المعقودة في بناء قصر العظم (أنظر مجتمع مدينـة دمشـق : د• يوسف نعيسة ج١ ص ١١٥) ، أما السوق الثاني فمن المحتمل أن تسميته بالدق هي تعبير عامي مشتق من سوق الدقاقين • وهناك أيضا سوق (ترزي باشا) بالقرب من سوق الأروام ولكن أين ؟ ثم سوق (الألاجة) وفيه مسجد العباسي الذي يعرف ايضا بمسجد سوق الأحـد ، وهنا يمكننا الافتراض أن هذا السوق يقع في سوق الأحد ، ومن المعروف أن هذا السوق الأخير يمتد في الشارع المستقيم حتى الباب الشرقي •

ومن طلاسم الأسواق التي أعجزني حلّها : سوق حكم ، وسوق عليس ، وسوق الخواصة (بمحلة الميدان تابع سوق القصر) • ولحسن الحظ أن عدد هـذه الأسواق كان قليـلاً ، وإلا كانت الكارثة •



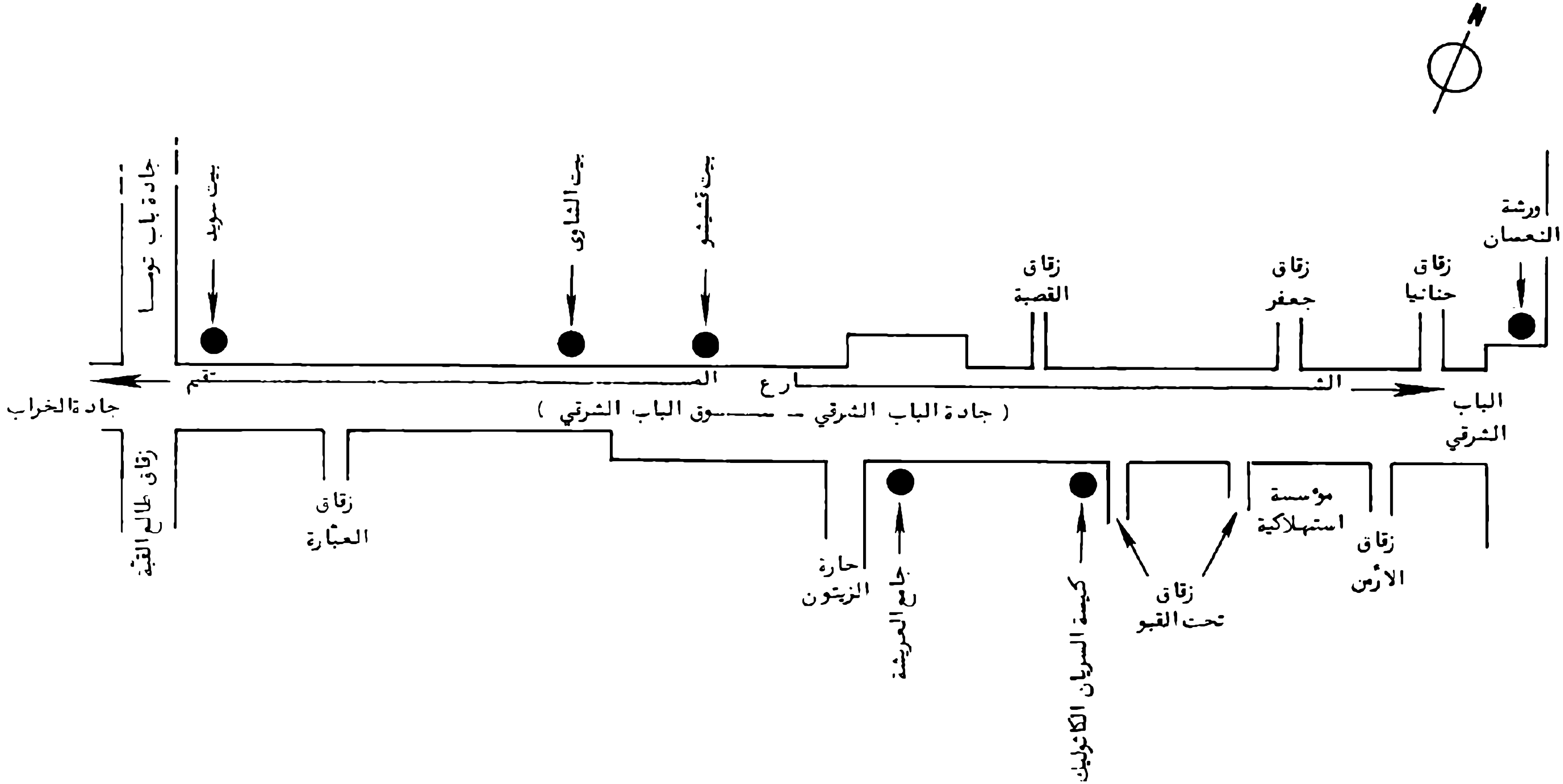
مخطط تقريبي لسوقي الحميدية والعصرونية ومجاوراتهما وضعته إثر زيارتي الميدانية للمنطقة في منتصف عام ١٩٨٩ م مع ذكر التسميات القديمة والعامّية والرسمية لهذه الاسواق.

(وضع : د. قتيبة الشهابي)

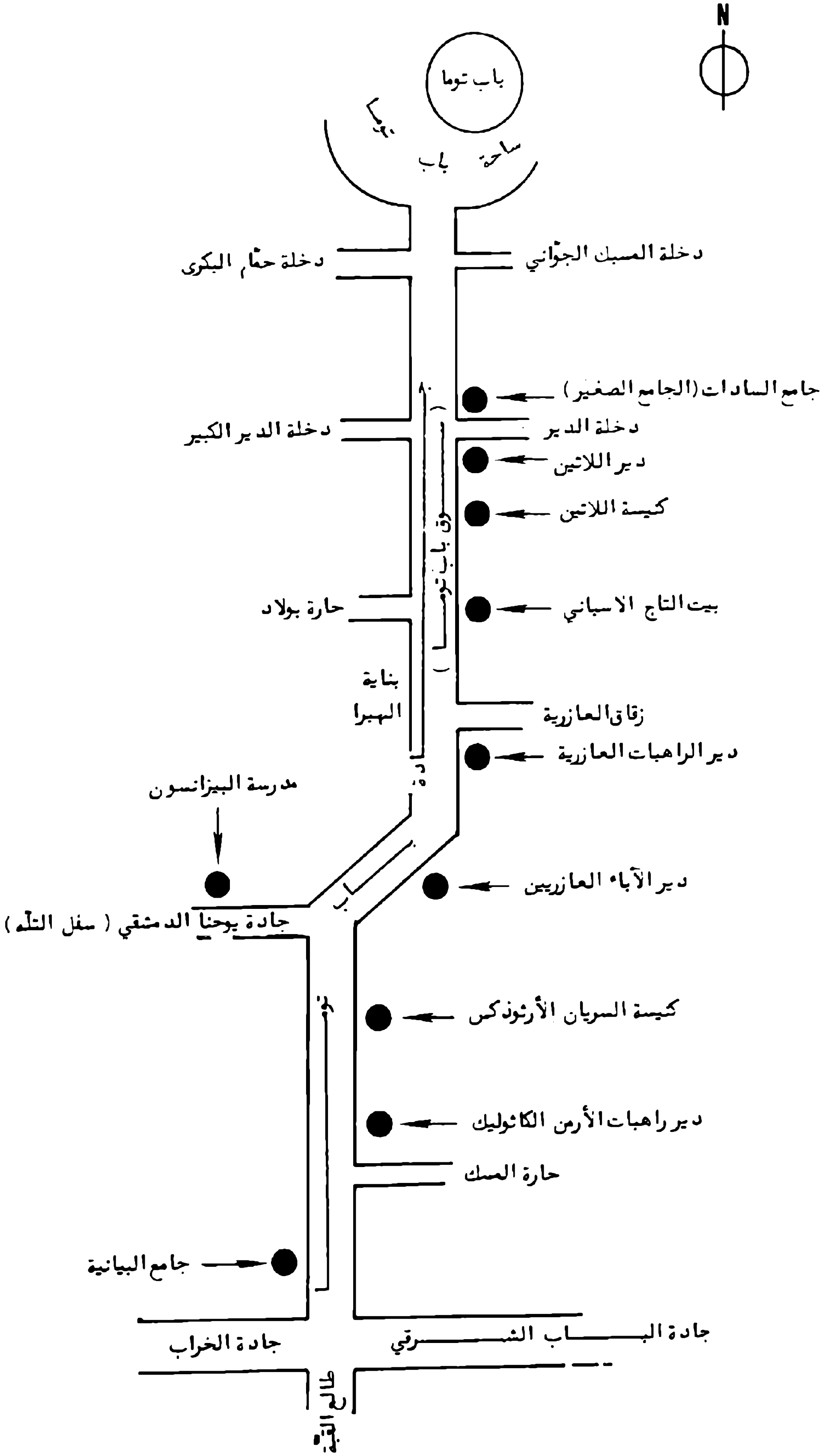


مخطط تقريبي لمواقع بعض الأسواق والخانات في المدينة القديمة داخل السور استنادا لخارطة شرطة دمشق الصادرة بين الاعوام (١٩٢٢ـ ١٩٢٤ م) ومخطط الخانات المنشور في بحث (خانات مدينة دمشق) للدكتور عبد القادر الريحاوي مجلة الحوليات الاثرية المجلد ٢٥ ١٩٧٥ (اللوحة رقم ٦) وزيارتي الميدانية للمنطقة عام ١٩٨٦م.

وضع: د. قتيبة الشهابي

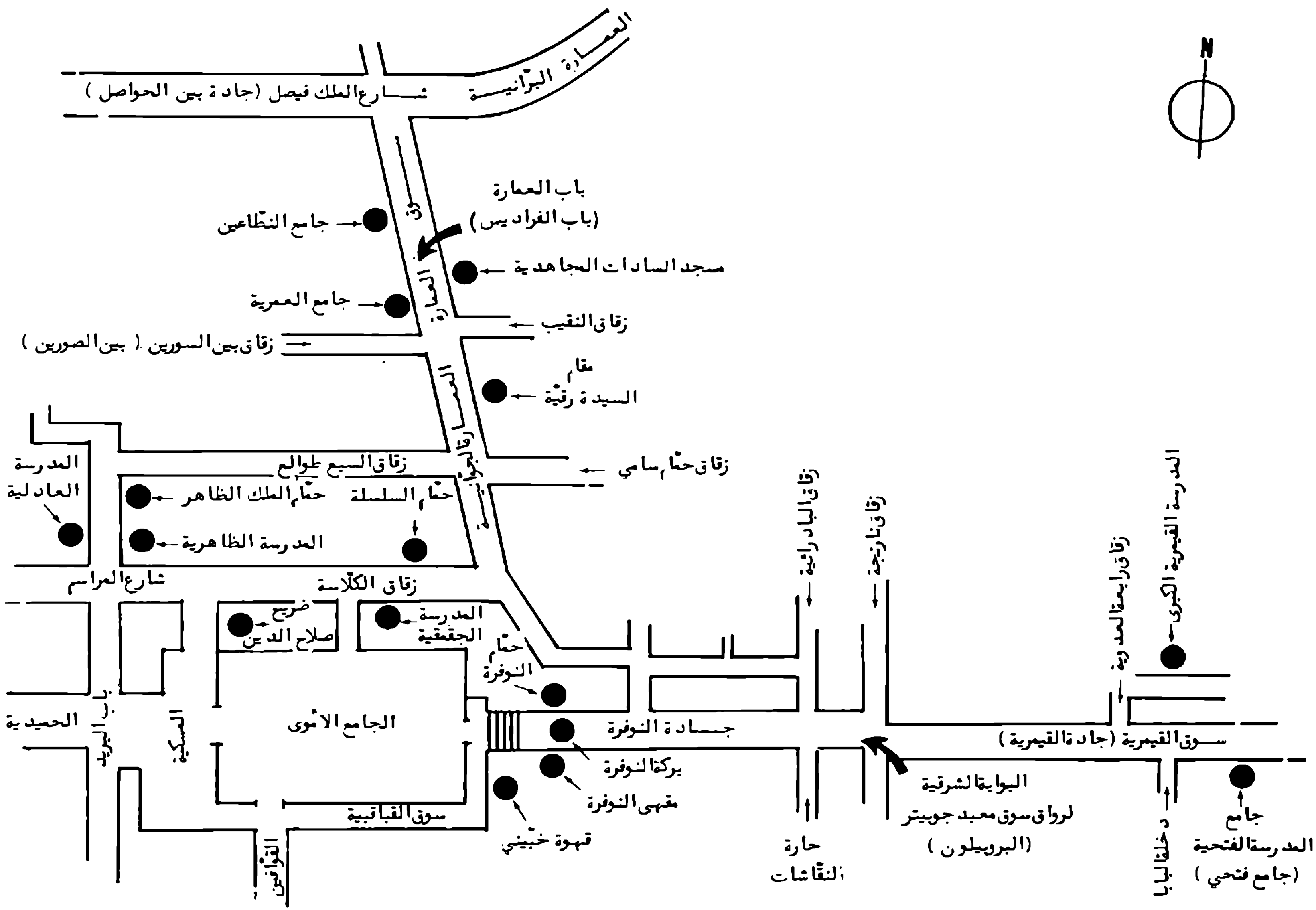


مخطط تقريبي لسوق الباب الشرقي ومشيّداته التراثية قمت برصده عند الزيارة الميدانية له في صيف عام ١٩٨٩م .
(وضع : د. قتيبة الشهابي)

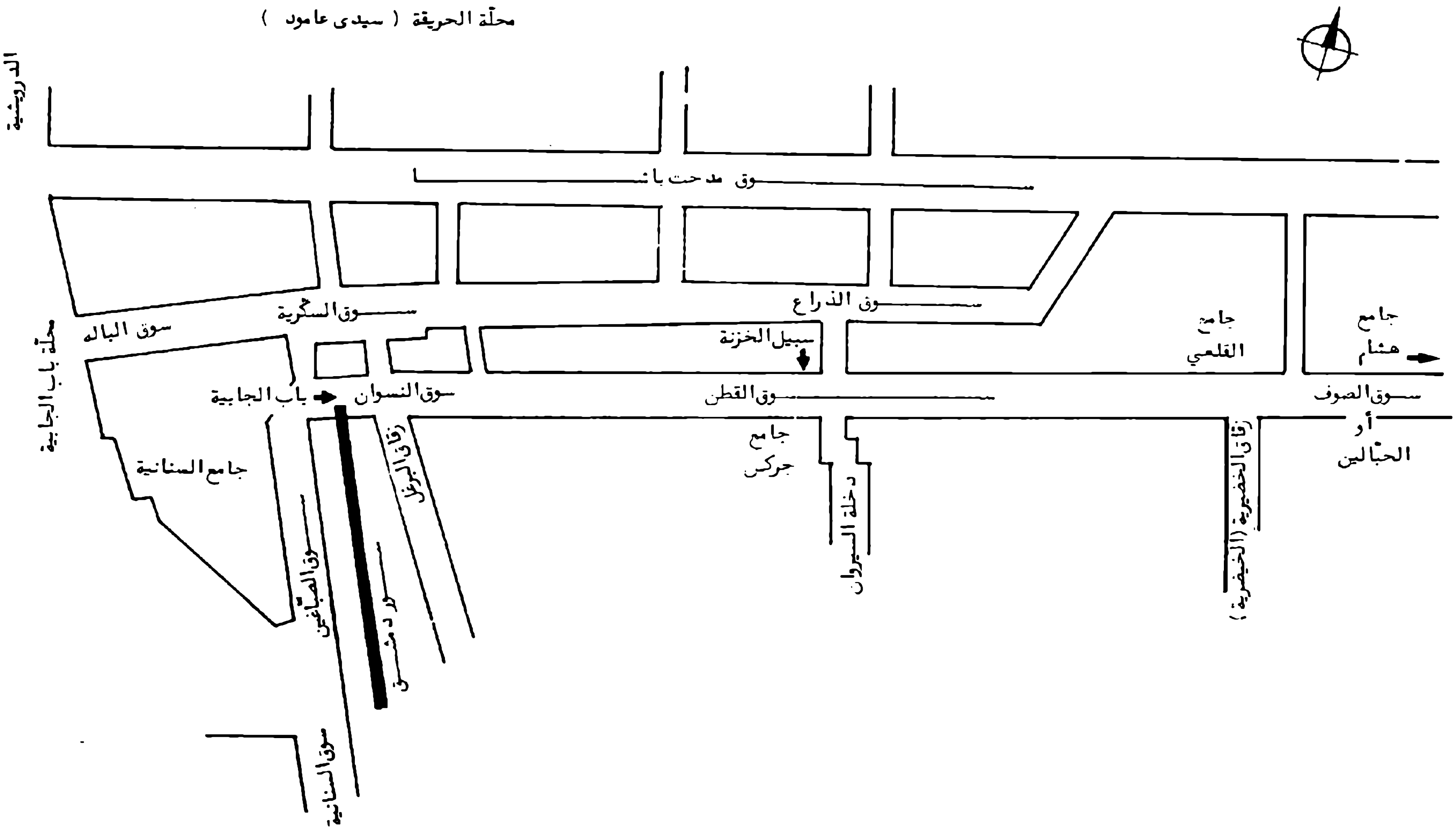


مخطط تقريبي لسوق باب توما ومشيّداته التاريخية والتراثية تمت بوضعه عند الزيارة الميدانية للمنطقة صيف عام ١٩٨٩ م .

(وضع: د. قتيبة الشهابي)

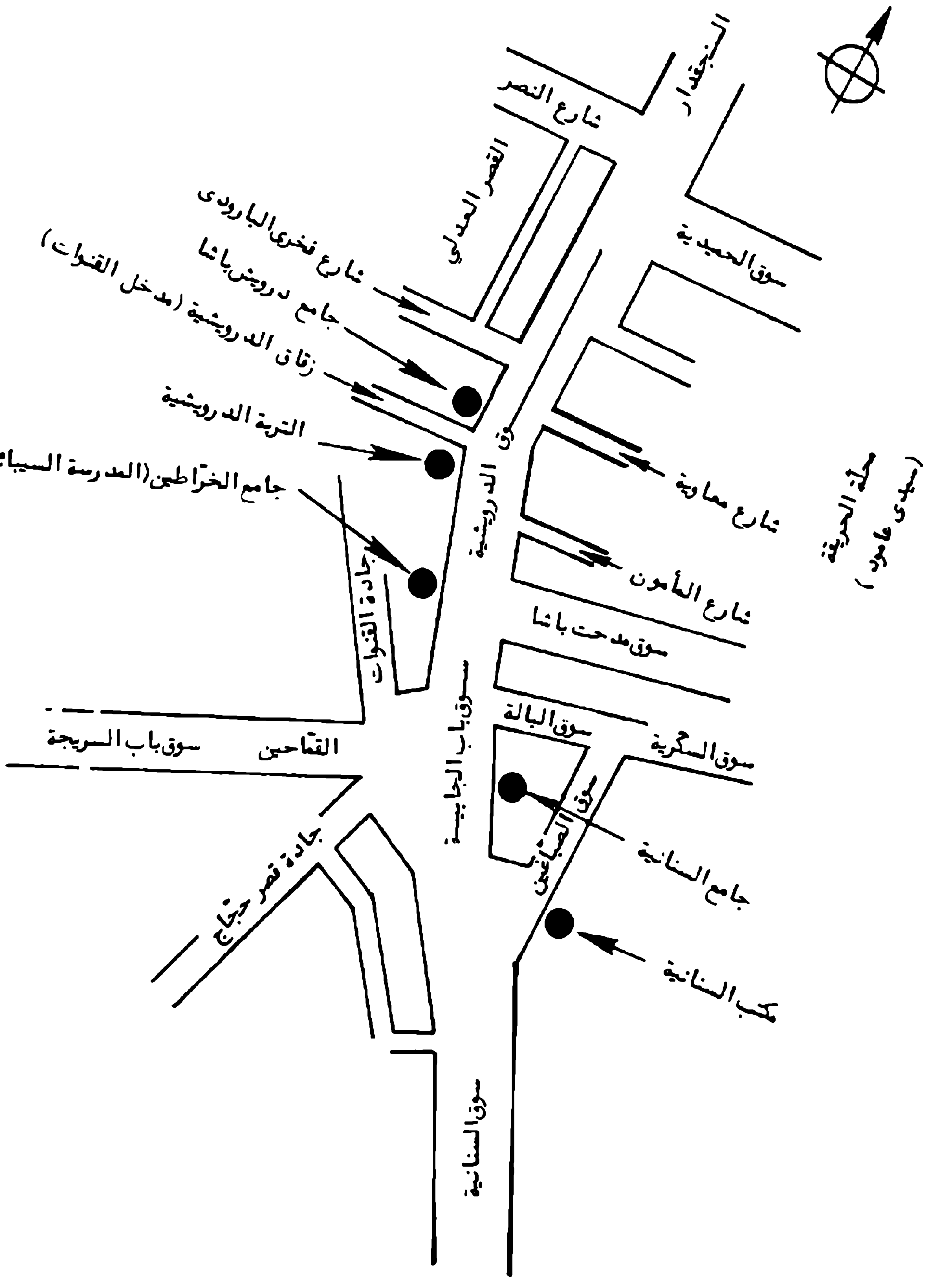


مخطط تقريبي لسوقي القيمرية والعمارة ، ومشيداتهما التاريخية والتراثية ، قمت بوضعه اثر بحثي الميداني فيهما ،
وقد أغفلت ذكر الحارات الضيّقة تبسيطاً لشكله وتسهيلاً لدراسته . (وضع : د. قتيبة الشهابي)



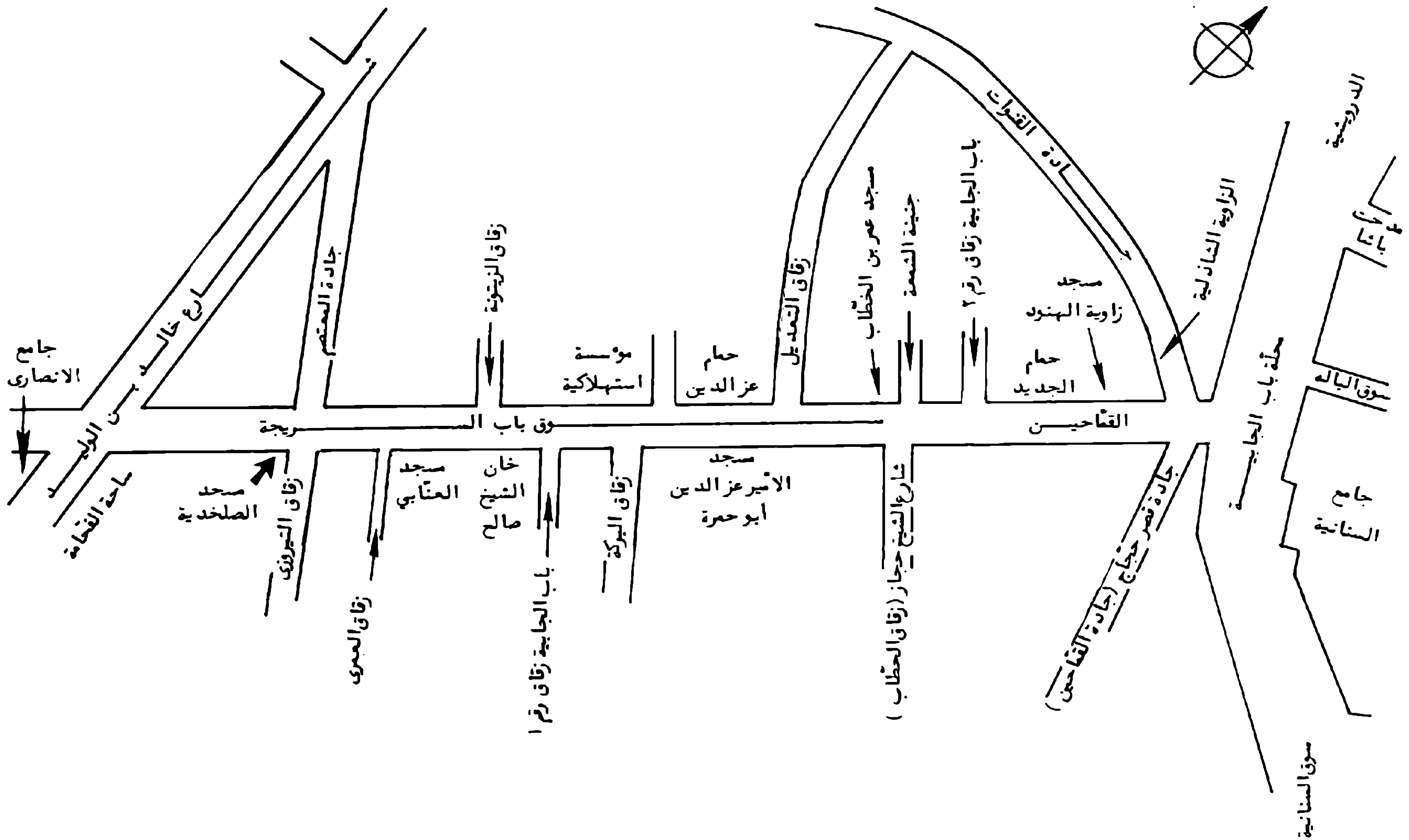
مخطط تقريبي لمنطقة الاسواق المجاورة لسوق مدحت باشا من جهة الجنوب ، استنادا لخارطة شرطة دمشق الموضوعة خلال الاعوام (١٩٢٢ــ ١٩٢٤ م) وخارطة (ولتسينجر) والزيارة الميدانية التي قمت بها عام ١٩٨٩ م .

وضع د. قتيبة الشهابي



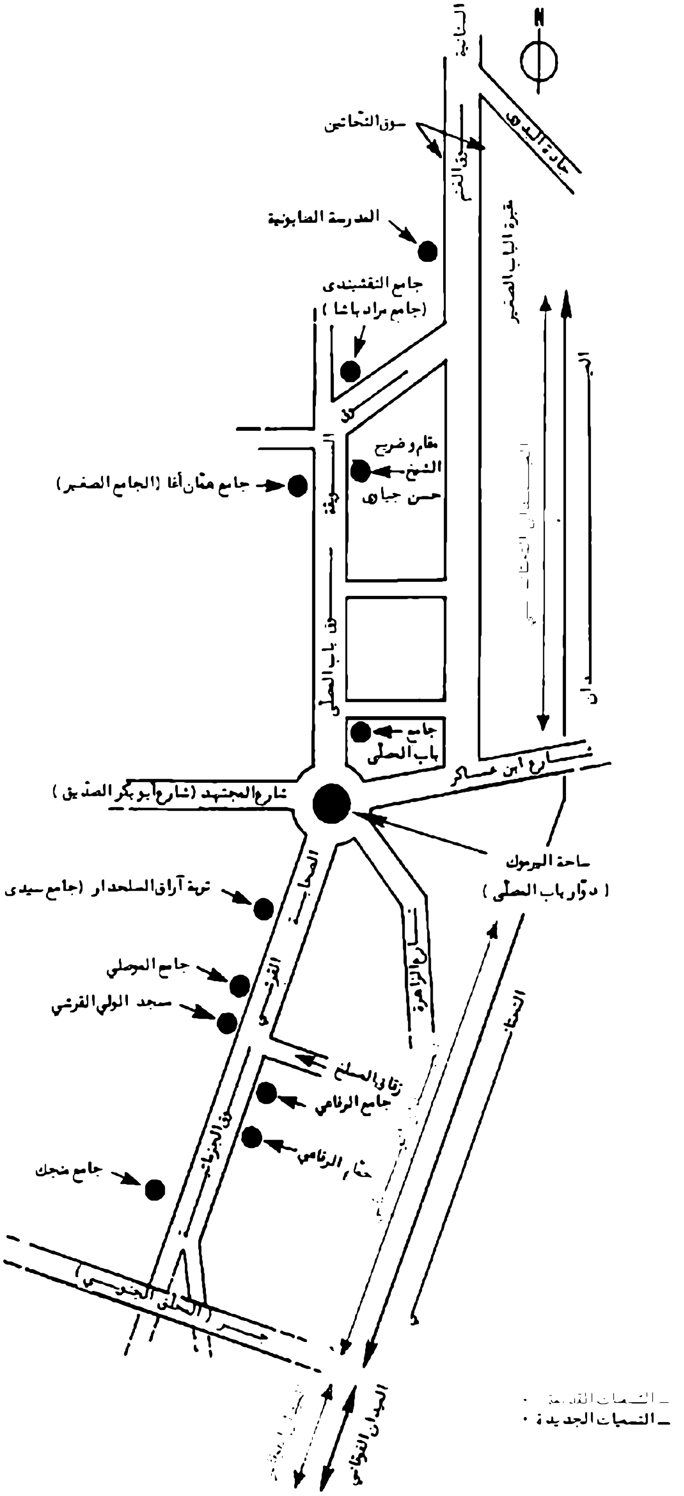
مخطط تقريبي لسوقي الدرويشية و باب الجابية قمت بوضعه اثناء الزيارة الميدانية للمنطقة صيف عام ١٩٨٩ م
وقد أهملت فيه عددا ضئيلا من الحارات الصغيرة غير الهامّة تبسيطا مني لشكله المعقّد ، كما ثبّت فيه المشيّدات
التاريخية المتواجدة في المنطقة .

(وضع : د. قتيبة الشهابي)



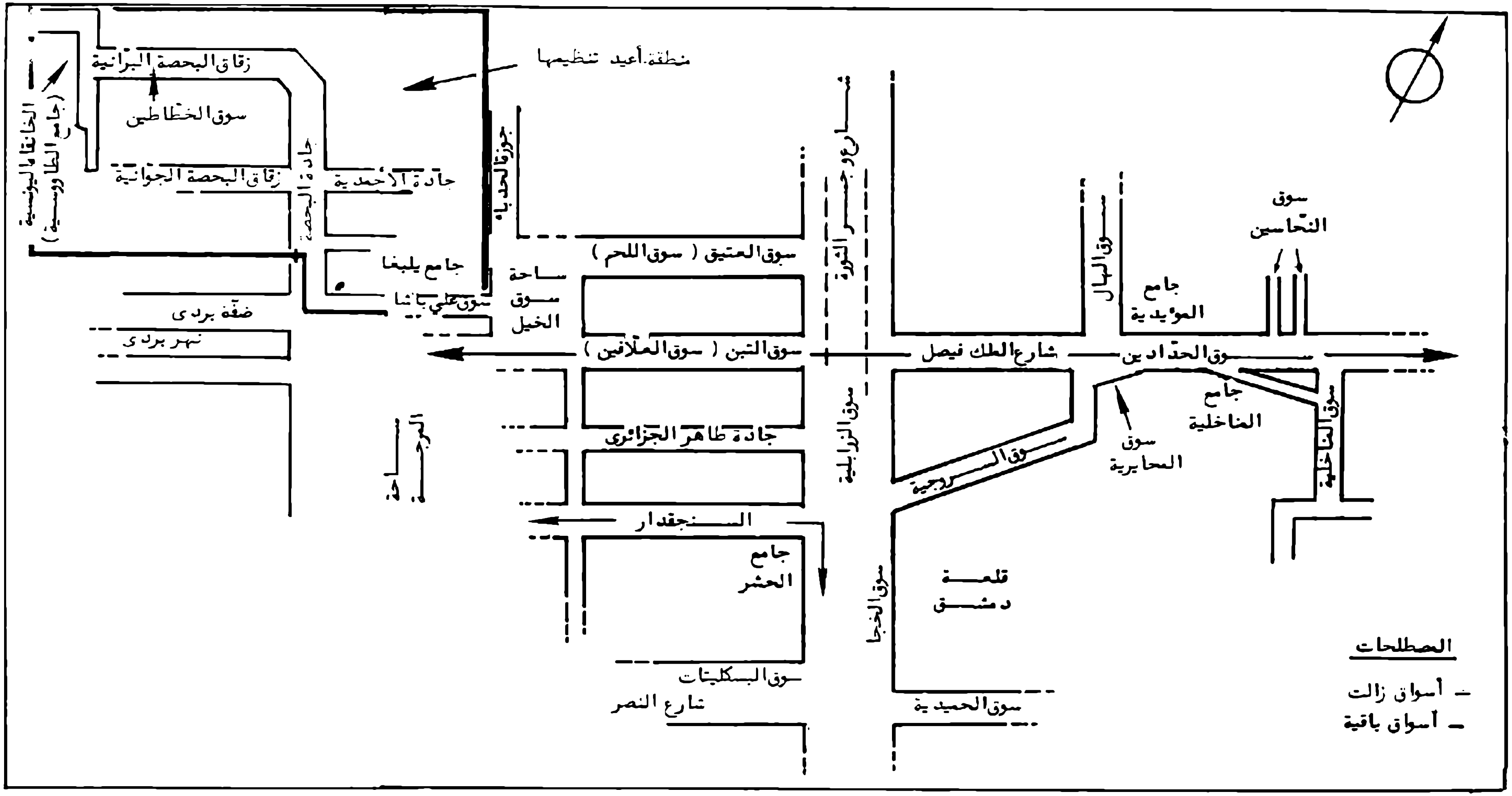
مخطط تقريبي لسوق باب السريجة والمناطق المجاورة له استنادا لمخطط مدينة دمشق السياحي الصادر عن ادارة المساحة العسكرية عام ١٩٨٢ م وخارطة شرطة دمشق الصادرة خلال الأعوام ١٩٢٢ ـ ١٩٢٤ م والزيارة الميدانية التي قمت بها للسوق صيف عام ١٩٨٦ م .

وضع : د. قتيبة الشهابي .

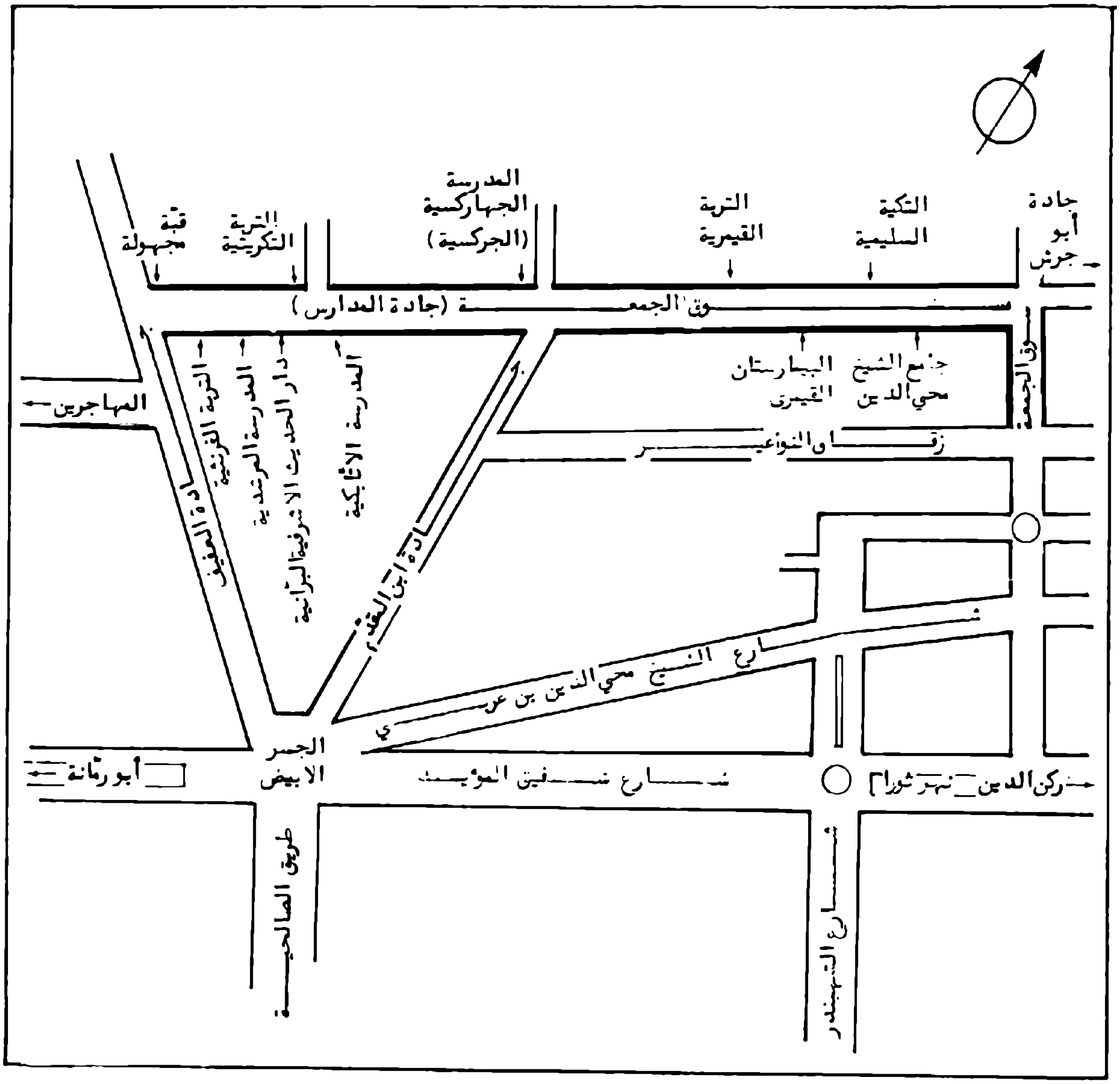


مخطط تقريبي لأسواق الميدان ومشيداتها التاريخية والتراثية وضعته اثر زيارتي الميدانية للمواقع الواردة فيه ، وقد أغفلت ذكر الحارات الضيقة تبسيطا للشكل وتسهيلا لدراسته .

(وضع : د. قتيبة الشهابي)



مخطط تقريبي للأسواق القديمة في منطقة (الزرابلية) وما جاورها ، قمت بوضعه على أرضية البحث الميداني الذى أجريته صيف عام ١٩٨٦ م وفيه اهمال متعمَّد للأزقة الصغيرة الفرعية التي لا تخدم الغرض .
(وضع د. قتيبة الشهابي)



مخطط تقريبي لمنطقة (سوق الجمعة) في جادة المدارس من حي الصالحية ومشيداته الاثرية والتاريخية ، مع اهمال متعمد للأزقة الصغيرة المنتشرة في هذا الحي تبسيطا للمخطط الذى قمت بوضعه اثر الزيارات الميدانية المتكررة للموقع عام ١٩٨٩ م ٠

وضع د٠ قتيبة الشهابي ٠



وجها الليرة الذهبية العثمانية التي كانت تحمل توقيـع السلطان رشـاد (محمد رشاد الخامس) والمعروفة باسم (الليرة الرشادية) نسبة اليه وهي تعادل (١٠٠) غرش صاغ . أما أقدم هذه الليرات فهي التي ضربت في عهد السلطان (محمود الثاني) الذي تولّى خلال السنوات (١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م ـ ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩ م) [١] .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

---

(١) للتوسع في العملة العثمانية انظر (دمشق في مطلع القرن العشرين) : احمد حلمي العلاف تحقيق علي جميل نعيسة دار دمشق ١٩٨٣ ص ٢٦٨ .



عملة ورقيـــة بقيمة (٥) غروش صادرة عـــام (١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م) وهي تعـــادل (٢٠٠) بارة أو ربع مجيدي .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



وجها العملة المعدنية التي صدرت عام (١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م) أيام السلطان العثماني مصطفى الرابع والتي كانت متداولة في أسواق دمشق في ذلك العهد .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



المجيدي المصكوك عام (١٢٩٣ هـ / ١٨٧٦ م) وهـذا التاريـخ يوافـق جلوس السلطانين مراد الخامس الذي استمر ملكه ثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، وعبد الحميد الثاني الذي خلفه إثر خلعه بعد إصابته بالجنون ، ومـن الصعب تحديد العهد الذي ضربت فيه هـذه العملة بدقة لأنها لا تحمل سوى عبارة (عز نصره ضرب في القسطنطينية ١٢٩٣)، ولو أن المرجح أن يكون اصدارها في عهد السلطان الثاني ، وكانت متداولة في أسواق دمشق •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)





وجها بعض العملات المعدنية العثمانية من فئة المجيدي وغيره وقد كتب تحت كل منهـا التسمية التي كانت تطلق عليها في ذلك الزمن ، والجدير بالذكر ان المجيدي كان يعادل (٢٠) غرشا ، وأبو الميّة (وتعني القطعة التي تحمل ١٠٠ وحدة نقدية) يعادل غرشان ونصف أو ثمان متاليك (مفردها متليك) ، وأبو الخمسين يعادل (٤) متاليك •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)





وجها العملة المعدنية لفئة (٢٠) بارة الصادرة عام (١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م) وهي تعادل نصف غرش صاغ في عملة ذلك الزمان .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

العملات المتداولة

أيام الانتداب الفرنسي

وعهد الاستقلال

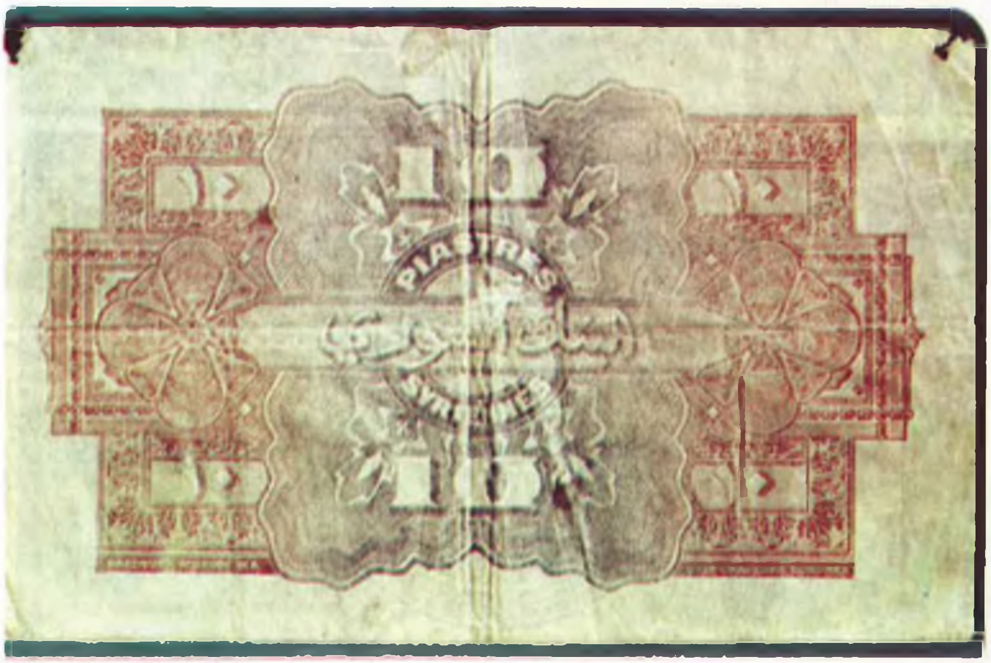




وجها العملة الورقية (غرش سوري واحد) التي صدرت في بيروت بشهر كانـون الثاني ١٩٢٠ وأبعادها الحقيقية هي (٧ر٦×٣ر٤) سم ، وقد صورتها مكبرة عن الأصل لتبيان تفاصيلها الدقيقة .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)





وجها العملة الورقية من فئة (١٠) غروش سورية صادرة في بيروت بتاريخ (١ تموز ١٩٢٠ م) وهي تعاول (٢٠) سنتيماً فرنسياً حسب ما كتب عليها .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)





وجها العملة الورقية من فئة (٢٥) غرشاً سورياً صادرة في دمشق عام (١٩٤٢ م) وتعرف على ألسنة الناس باسم (ربع ليرة) •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)





وجها (الليرة السورية) الورقية الصادرة في دمشق أواخر عـام (١٩٣٩ م) وهي تعادل في تلك الحقبة (٢٠) فرنكاً فرنسياً أو مئة غرش سوري (مئة قرش)[١] .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

---

(١) الغرش أو القرش : تسميتان لنفس الوحدة النقدية .



وجها النقد المعدني بقيمة (خمسة وعشرين قرشاً سورياً أو ربع ليرة) صادر عام (١٩٣٦ م) ابان الانتداب الفرنسي ، وهي كمثيلاتها تحمل على وجهيها عبارة (دولة سورية) •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



وجها النقد المعدني بقيمة عشرة قروش (فرنكين) الصادر عام (١٩٢٩ م) ابان الاحتلال الفرنسي لسورية •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



وجها النقد المعدني بقيمة (خمسين قرشاً أو نصف ليرة) صادر عام (١٩٢٩ م) ابّان الاحتلال الفرنسي لسورية .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



١ ـ القطعة المعدنية بقيمة خمسة غروش و تعرف بـ (الفرنك) صادرة عام (١٩٣٥ م) .

٢ ـ الوجه الآخر للفرنك .

٣ ـ نصف الغرش ويعرف بـ (النكلة) اصدار عام (١٩٣٦ م) .

٤ ـ عشرة غروش معدنية (فرنكين) اصدار عام (١٩٢٩ م) .

٥ ـ غرش سوري نحاسي (مجهول تاريخ الاصدار) ويظهر أن أحدهم صنع فيه ثقباً لأن الأصل غير مثقوب .

٦ ـ الغرش (الوحدة النقدية) اصدار عام (١٩٢٥ م) عند بدايات الثورة السورية .

٧ ـ الوجه الآخر للغرش .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)





صورتان للعملة المعدنية التي كانت متداولة في دمشق كررت فيهما الأرقام للدلالة على وجهي كل منهما أو حسب التعبير العامي (طرّة ونقش) •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

←

١ ــ الليرة السورية وقيمتها مئــة غرش أو عشرين فرنكاً اصدار عام (١٩٥٠ م) وقــد سحبت من التداول لاحتوائها على كمية من (الفضّة) تزيد قيمتها عن القيمة الفعلية لهذه الليرة .

٢ ــ نصف الليرة اصدار عام (١٩٤٧ م) وهي تعادل خمسين غرشاً .

٣ ــ ربع الليرة أو ٢٥ غرشاً سورياً اصدار عام (١٩٣٦ م) .

٤ ــ غرشان ونصف (أو نصف فرنك) اصدار عام (١٩٤٠ م) .

٥ ــ غرشان ونصف (أو نصف فرنك) وبالعامية نص فرنك اصدار عام (١٩٤٨ م) .

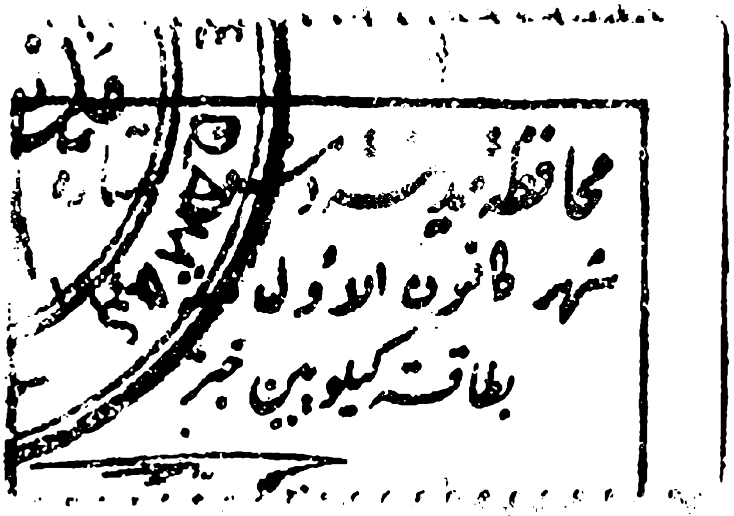
٦ ــ غرشان اصدار عام (١٩٢٤ م) وقد كتب على الوجه الواحد (دولة لبنان الكبير) بينما كتب على الوجه الآخر بالفرنسية (غرشان سوريان) .

٧ ــ غرشان سوريان اصدار عام (١٩٢٦ م) .

٨ ــ غرش واحد (مجهول تاريخ الاصدار) .

٩ ــ النكلة أو نصف الغرش اصدار عام (١٩٢١ م) .

١٠ ــ النكلة أو نصف الغرش اصدار عام (١٩٣٦ م) .



قسيمة بحجم وشكل طابع البريد صادرة عن محافظة مدينة دمشق الممتازة تمنح حاملها حق شراء (٢) كيلو من الخبز وهي مؤرخة في شهر كانون الأول من عام (١٩٤١ م) ابّان الحرب العالمية الثانية ، وكان الخبز في ذلك الزمان مقنّناً ويوزع بالقسائم (البونات) ، كما كان يعرف على ألسنة الناس باسم (خبز الوثيقة) .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩)

وسائط النقل في الأسواق

خلافا لظهر الانسان واكتافه ورأسه ، ومن بعده الحيوانات كالدواب والجمال وغيرهما ، كانت (الكرّاجة والطنبر) من وسائط النقل الأكثر انتشارا في اسواق وشوارع دمشق حتى اواخر الخمسينات أو بعد ذلك بقليل حين بدأ اختفاؤهما التدريجي من الشوارع الرئيسية لتحل محلهما (الطرطيرات) وهي تسمية شعبية تعني الشاحنات الصغيرة ذات العجلات الثلاث والتي تسير بمحرك دراجة نارية خفيفة وتوجّه بمقود عجلة ، وقد انتشرت على نطاق محدود جداً ، وفي حوالي الستّينات أخذت شاحنات (الهواندا او السوزوكي) الصغيرة المعروفة تغزو أسواقنا لتقضي على ما تبقى من وسائط النقل اليدوية التي كانت تتمتع بتصميم ملائم للغرض الذي صنعت من اجله ، فهي مزوّدة (بمقصات) تخفف من تركّز الاثقال من جهة ، وتمتص وتبدد الصدمات أثناء سير الكرّاجة اوالطنبر فوق ارض وعرة ، اضافة الى حفاظها على البيئة من التلّوث والضجيج الناجمين عن محركات وسائط النقل الآلية .



□ الكرّاجة التي كانت تستعمل في نقل الاثاث بين البيوت بشكل خاص ، ويقوم بجرّها رجل قوي البنية يدعى (العتّال) .

(بعدسة المؤلف في مطلع السبعينات والمكان في منطقة عين الكرش) .



□ كان الطنبر الواسطة الأكثر فعالية من الكرّاجة في نقل البضائع والمواد وحتى الاطفال في مواسم الاعياد، وتجره دابّة (عادة بغل) الامر الذي يسمح بزيادة الوزن واطالة المشوار .

(بعدسة المؤلف قرب باب السلام في مطلع السبعينات من هذا القرن)



لا زالت (طنابر) توزيـع المازوت تعبر شـوارع دمشـق عـلى نطـاق ضـّيق ومحدود ، رغم انتشار سيارات الصهريج المـ ة لمثل هذا العمل ، ولم تسلم هذه الطنابر حتى من منافسة الشاحنات الصغيرة (كالهوندا اوالسوزوكي) التي زود بعضـها بخز ّانات مصنّعة محليـــا .

ويبدو في الصورة الملتقطة في سوق الجزماتية طنبر منها ، مزّين وملوّن ، يعبر الشارع اختيالا بسرعة تساير سرعة رتل السيارات العابرة ، في محاولة منه لاثبات الوجود ، وفي جهة اليمين شاحنة صغير متوقفة ، من نوع (هوندا او سوزوكي) ، وهي الشاحنة التي ما تزال الى الآن ، الواسطة الأكثر فعالية في نقل البضائع داخل المدن والأرياف .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)



كانت الكرّاجات تحوّل أيام الاعياد في النصف الأول من هذا القرن الى عربات يطوف بها الأطفال (المعيّدين) عبر الشوارع والأزقةويقوم صاحبها بجرّها بدلا من الدابّة لقاء قروش أو فرنكات قليلة يتعيش بها .



من العادات الطريفة التي انتشرت في دمشق منذ مطلع الاربعينات ، عادة كتابة العبارات الغريبة على مؤخرة السيارات العامة خصوصاً الباصات والشاحنات، وقد قضيت ردحاً من الزمن جمعت خلاله عدداً كبيراً منها، وتبدو في الصورة التي التقطتها في مطلع الثمانينات ناقلة من نوع (مينيكاب ٥) ويعرف هذا الطراز من الشاحنات الصغيرة على السنة الناس دون تمييز : (هونداية أو سوزوكي) ، وقد كتب على مؤخرتها :

لا تكن للعيش مجروح الفؤاد   انمـا الرزق على رب العبـاد

الله معـك   ابو سعيد

ومن بعـض العبـارات المضـحكة التي جمعتُ :

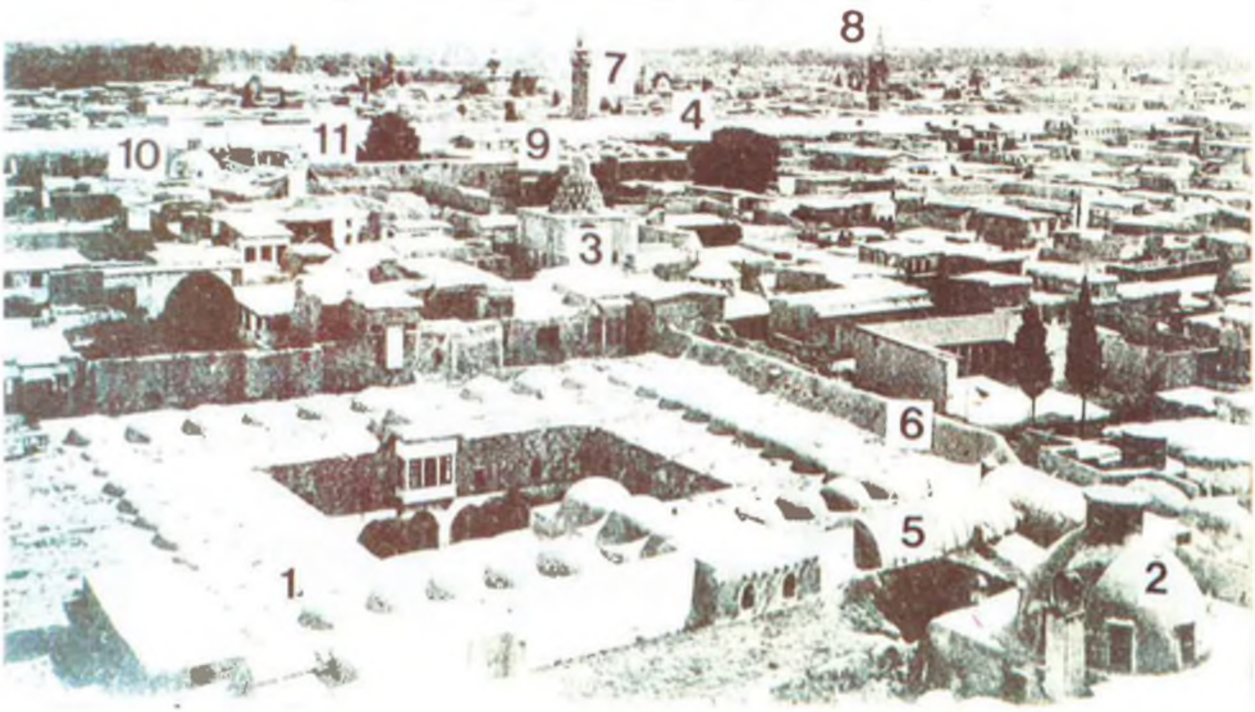
(لا تلحقني مخطوبة) و (المرسيدس تتكلم والبيجو تتألم) و (أسرع فالموت حق) و (كل الخيل للفـيّات عبيد) و (بدّك تطوّل بالك حتى تطلع روحك) و (اتركني الطّفَر عامـي قلبي) و (على هالدوسه هاتلك بوسـه) و (سيري فعين الله ترعاكِ ، يلعن هاللي باعك لهللي اشتراكِ) •

وفي (حمص) رأيت العبارة التالية خلف أحـد الباصات (لا تزمّر ورَايّ شايفك بالمرْايّ) •



صورة طريفة وغريبة التقطتها لبائع الحليب في احدى حارات باب توما عام ١٩٨٣م وهو يقوم بالتوزيع على المحال التجارية والبيوت وقد ثبّت (دَبّيات الحليب) التوتيائية خلف مقعد درّاجته النارية .

النسيج العمراني
لأسواق دمشق القديمة
ومشـــيداتها



القسم الشرقي من محلّة سيدي عامود (الحريقة الحالية) من الشمال الـى الجنوب حوالي نهايات القرن التاسع عشر او بدايات العشرين ، وقد أشرت الى مشـيّداتها الهامـة بالأرقام وهي :

1 — خان الحرير : يفتح هذا الخان في سوق الحرير •

2 — حمّام القيشاني : ومدخله من جادّة سوق الحرير •

3 — المدرسة النورية الكبرى : يدخل اليها من سوق الخياطين •

4 — سوق مدحت باشا •

5 — سوق الحرير •

6 — سوق القلبقجية •

7 — مئذنة هشام •

8 — مئذنة القلعي •

9 — خان الزيت : يفتح هذا الخان في سوق مدحت باشا •

10 — قبة حمّام الخياطين : يفتح هذا الحمّام في سوق الخيّاطين •

11 — خان جقمق •

21. Damas. - Vue générale du centre de la ville.
Damascus. - General View.



المدينة القديمة وخاناتها وأسواقها ، من الشمال الى الجنوب حوالي نهايات القرن التاسع عشر وبدايات العشرين ، وفيها تشاهد المشيّدات التالية :

1 — قباب خان أسعد باشا : يفتح الخان في سوق البزورية .

2 — سوق البزورية .

3 — سوق السلاح : لا زال هذا السوق يعرف بهذه التسمية وهو يمتد بين القوافين (الصاغة) وزقاق بين البحرتين ، ويعتبر تكملة لسوق البزورية اذ تباع فيه نفس المواد تقريباً .

4 — قباب خان التتن : يفتح الخان في سوق السلاح .

5 — خان الحرير .

6 — خان العمود : يفتح هذا الخان في سوق البزورية قبالة خان أسعد باشا .

7 — سوق مدحت باشا (سوق جقمق) .

8 — المدرسة النورية الكبرى .

9 — زقاق بين البحرتين : يمتد هذا الزقاق بين الحريقة وقصر العظم .

10 — سوق الحرير .

11 — خان الصدرانية : يفتح في زقاق بين البحرتين قبالة سوق البزورية .

12 — مئذنة جامع هشام .

15. Damas. - Vue générale du centre de la ville.
Damascus. - General View.



محلّة سيدي عامود (الحريقة الحالية) من الشمال الى الجنوب بين أواخر القرن التاسع عشر وبدايات العشرين حيث تبدو المشيدات التالية :

1 — خان الحرير : يفتح في سوق الحرير •

2 — قبة حمّام القيشاني : يفتح في جادّة سوق الحرير •

3 — خان الجمرك: يفتح في جادّة سوق الحرير ، وفي زقاق المرستان ، وفي سوق الحميدية •

4 — سوق مدحت باشا •

5 — مئذنة القلعي •

6 — خان الزعفرنجية : يفتح في جادّة سوق الحرير •

7 — النسيج العمراني لمحلّة الحريقة (سيدي عامود) •

8 — سوق القلبقجية •

9 — سوق الحرير •

10 — جادة سوق الحرير •



القسم الشرقي من محلة الحريقة حيث ينتهي شارع معاوية عنـد سوقي (الخيّاطين والقلبقجية) ، وتشاهد في الصورة الملتقطة من الشمال الى الجنوب حوالي السبعينات أو مطلع الثمانينات المشيدات التالية التي أشرت اليها بالأرقام :

1 ــ المدرسة النورية الكبرى: (مدرسة ومسجد وتربة نور الدين محمود الملّقب بالشهيد) بقبتيها المميّزتين بالطراز السلجوقي (الأتابكي) لفن عمارة القباب •

2 ــ خان الحرير •

3 ــ مئذنة جامع هشام (في سوق الصوف أو الحبّالين) •

4 ــ مئذنة جامع القلعي (في سوق القطن) •

5 ــ سوق مدحت باشا •

6 ــ سوق القلبقجية •

7 ــ سوق الخيّاطين •



النسيج العمراني لمنطقة باب البريد من الشرق الى الغرب في بدايات النصف الثاني من القرن العشرين حيث تشاهد المشيّدات التالية:

1 ــ قبة وكالة العشّا: تفتح في سوق الحميدية بجوار مدخل سوق باب البريد من جهة الغرب .

2 ــ سوق الحميدية .

3 ــ قوس النصر .

4 ــ أعمدة معبد جوبيتر .

5 ــ سوق المسكية .

6 ــ قلعة دمشق .

7 ــ سوق باب البريد .

8 ــ بيت الشيخ قطنا .

النسيج العمراني الحديث

لأسواق تحت القلعة

كانت منطقة (تحت القلعة) في العهدين المملوكي والعثماني ممتدة بين جامع المؤيد (عند زاوية سوق الهال الحالي من جهة الجنوب) وجامع يلبغا (في ساحة الشهداء أو المرجة) وتشمل حالياً الأسواق التالية من الشرق الى الغرب :

سوق الهال ، سوق التبن وسوق العتيق ، سوق الخيل وساحته حتى جامع يلبغا (أنظر مخطط منطقة الزرابلية في بداية هذا المؤلف) .



الجزء الشرقي لمنطقة تحت القلعة وتشاهد فيه المواضع التالية :

A — منطقة الزرابلية (شارع الثورة الحالي) .

B — خان الباشا (مدخل شارع الملك فيصل من شارع الثورة) .

C — جامع المؤيد (في الزاوية الجنوبية لسوق الهال حيث الحدود الشرقية لتحت القلعة) .

(بعدسة المؤلف من الجنوب الى الشمال صيف عام ١٩٨٩)



الجزء الغربي من منطقة تحت القلعة وفيه الأسواق التالية :

A ـــ سوق التبن • B ـــ سوق العتيق • C ـــ ساحة سوق الخيل •

(بعدسة المؤلف من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي صيف عام ١٩٨٩ م)



منظر شامل لجادّات الزرابلية والسنجقدار والدرويشية من الشمال الى الجنوب بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م وقد تمّ التقاط الصورة من فوق جسر المشاة الذي يعترض هذه المنطقة حيث تشاهد المواضع التالية :

A — سوق الزرابلية •

B — جادة السنجقدار •

C — جادة الدرويشية •

D — قلعة دمشق •

E — موضع سوق الخجا (زال هذا السوق أواخر عام ١٩٨٣ م لكشف جدار القلعة وخندقها) •

F — مدخل سوق السروجية •

G — المدخل الغربي لسوق الحميدية •

سوق الحميدية

Souk EL - HAMIDIAH

بني هذا السوق بديلا عن سوق الأروام[١] فوق الخندق الجنوبي لقلعة دمشق من الغرب الى الشرق ، بين باب النصر وباب البريد ، وتم البناء على مرحلتين :

المرحلة الأولى :

بني قسمه الغربي الممتد بين باب النصر[٢] (عند المدخل الغربي لسوق الحميدية الحالي) وسوق العصرونية أيام الوالي محمد باشا العظم في عهد السلطان عبد الحميد الأول ، وتم البناء سنة (١١٩٥ هـ/١٧٨٠ م) وعرفت هذه السوق باسم (السوق الجديدة).

المرحلة الثانية :

بني القسم الشرقي الممتد من سوق العصرونية حتى باب البريد سنة (١٣٠١ هـ/الواقعة بين سنتي ١٨٨٣ ــ ١٨٨٤ ميلادية) أيام الوالي راشد ناشد باشا في عهد السلطان عبد الحميد الثاني[٣]

(أنظر مخطط سوقي الحميدية والعصرونية) .

---

(١) ـ سوق الاروام : هو طليعة القسم الغربي لسوق الحميدية وقد تواجد قبله بدلالة ما اورده البديري الحلاق في (حوادث دمشق اليومية ص ١٦٨) عندما قال : وبهذه الايام ـ ويقصد سنة ١١٦٥ هـ / ١٧٥١ م ـ توفي احمد افندي كبير كتاب ديوان اسعد باشا العظم وهو الذي عمر القصر في حائط الاحمدية في سوق الاروام .
كما ورد في (ولاة دمشق في العهد العثماني) للمنجدص ٨٥ ان محمد باشا العظم عمر سنة (١١٩٥ هـ/ ١٧٨٠م) سوقا عند باب القلعة ـ يقصد السوق الجديدة ـ من عند سوق الاروام الى فرن الكمك والقناية .
يستنتج من هذه المقولات ان سوق الاروام كان متواجدا في هذا الموضع الذي بنيت فيه السوق الجديدة فيما بعد . ولا زالت تسميته قائمة الى اليوم رغم انه انكمش الى فرع صغير من تفرعات سوق الحميدية المؤدية الى الحريقة تباع فيه المفروشات والسجاد القديم ، اما تسميته فنسبة الى الاروام او اليونان الذين سكنوا بلاد الروم (تركيا) ومنها جاؤوا .

(٢) ـ ولاة دمشق في العهد العثماني : د. صلاح الدين المنجدص ٨٤ .

(٣) ـ منتخبات التواريخ لدمشق : الحصني ص ٢٧٤ .

تجديد السوق وتغطيته :

في عام (١٣٠٢ هـ/١٨٨٤ م) تجدد سوق الحميدية الممتد من باب الجامع الأموي الغربي الى دائرة المشيرية (في الدرويشية) ، وقد سقف على طرز مدخل باب الجامع الأموي الغربي المسمى (زلحفة)[٤] ، وقد استبدل الوالي (حسين ناظم باشا) هذا السقف الخشبي وسقوف الأسواق الكبيرة في دمشق بسُقُف من الحديد والتوتياء وقاية لهم من الحرائق[٥]، ومن المؤسف أن لا نملك الدليل الذي يحدد تاريخ هذا الاستبدال ولكن المنطق أن يكون ذلك ابّان فترة ولايته الأولى بين الأعوام (١٨٩٥ ــ ١٩٠٧ م) لأنها أطول فترة ولاياته الثلاث .

تسميات السوق :

سمي القسم الغربي بين باب النصر وسوق العصرونية (السوق الجديدة) ، وكان هذا الموضع معروفا في السابق (بسوق الأروام) ، ولم تطلق تسمية (سوق الحميدية) على قسميه ــ نسبة للسلطانين عبد الحميد الأول والثاني ــ الا بعد استكمال بناء قسمه الشرقي الممتد بين سوق العصرونية وباب البريد ، ورغم ذلك بقيت تسميته (سوق الأروام) شائعة على ألسنة الناس وفي خارطة شرطة دمشق الصادرة خلال السنوات (١٩٢٢ ــ ١٩٢٤م) ، أما (خريطة دمشق) الصادرة عن بلدية دمشق خلال السنوات (١٩٢١ ــ ١٩٢٤ م) فتذكره باسم سوق الحميدية .

ابعاد السوق :

يبلغ طوله حوالي (٦٠٠) مترا ، وعرضه بحدود (١٥) مترا ، أما ارتفاعه فبحدود طابقين .

المحن التي مرت بالسوق :

شب في سوق الحميدية عام (١٣٢٩هـ / ١٩١١م) حريق كبير اتى على الكثير من المحال التجارية وكانت الخسائر جسيمة . وفي عام (١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) حاول جمال باشا ايصال الشارع المسمى باسمه (شارع النصر حاليا) الى باب البريد بتغيير اوضاع سوق الحميدية بغية كشف جدار قلعة دمشق وما حول الجامع الاموي فهدم بعض الابنية في السوق ولم يتمكن

---

(٤) ــ الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية : عز الدين عربي كاتبي ص ٣٤ .

(٥) ــ الريف السوري : احمد وصفي زكريا ج٢ ص ٣٢٥ .

من هدم الباقي بسبب الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ــ ١٩١٨م) ، وما كاد الجيش العثماني ينسحب من دمشق حتى قام اصحاب العقارات المهدومة باعادة بنائها • وفي (٢٧ تموز سنة ١٣٣٨هـ / ١٩٢٠م) شب في سوق الحميدية ايضاً حريق هائل بدأ من محـلات (سـنجر لماكينات الخياطة) في منتصف السوق وامتد الى العصرونية وخان الجمرك وكادت النار ان تصل الى الجامع الاموي بعد استمرارها لثلاثة ايام متواصلة حتى اضطرت الدولة الى هدم العديد من البيوت (نسفتها بالديناميت) بغية ايقاف امتدادها كما ورد في (تاريخ المسرح السوري) لوصفي المالح[1] •

هدم المدخل الغربي للسوق :

بدأت عمليات الهدم في (١٦/١٠/١٩٨٣) بغية كشف الجزء الذي كان يشغله هذا السوق من خندق القلعة وزاوية جدارها الجنوبية الغربية •

تباع في سوق الحميدية حاليا كافة الأقمشة الحريرية والأجواخ والمطرّزات وأدوات الزينة والملبوسات النسائية الجاهزة على اختلاف اشكالها ، وفيه تنتـشر محـال بيع التحـف والمصنوعات الشرقية النحاسية منها على وجه التحديد ، وفيه ايضا بضع متاجـر للمرطبات (البوظة أو الضوندرمة والقيمق عرب) وعدد أقل من المطاعم •

ومن المشيدات التاريخية في هذا السوق الكبير (جامع الأحمدية) ، وهناك عدد مـن الاسواق الجانبية تتفرع عنه وهي بالتتابع من الغرب الى الشرق •

١ ــ في النسق الجنوبي : سوق الأروام ، مداخل شوارع الحريقة ، زقاق المرستان ، السليمانية جادة سوق الحرير •

٢ ــ في النسق الشمالي : سوق نصري ، سوق العصرونية ، سوق البورص ، سوق مردم بك ، سوق الجرابات ، سوق وكالة العشا ، سوق باب البريد •

ومن النهاية الشرقية لسوق الحميدية يمتد سوق المسكية بين أعمدة معبد جوبيتر المتواجدة منذ العهدين الأرامي والروماني (انظر مخطط سوق الحميدية ومجاوراته) •

---

(١) ــ تاريخ المسرح السوري : وصفي المالح ص ٧٢ .



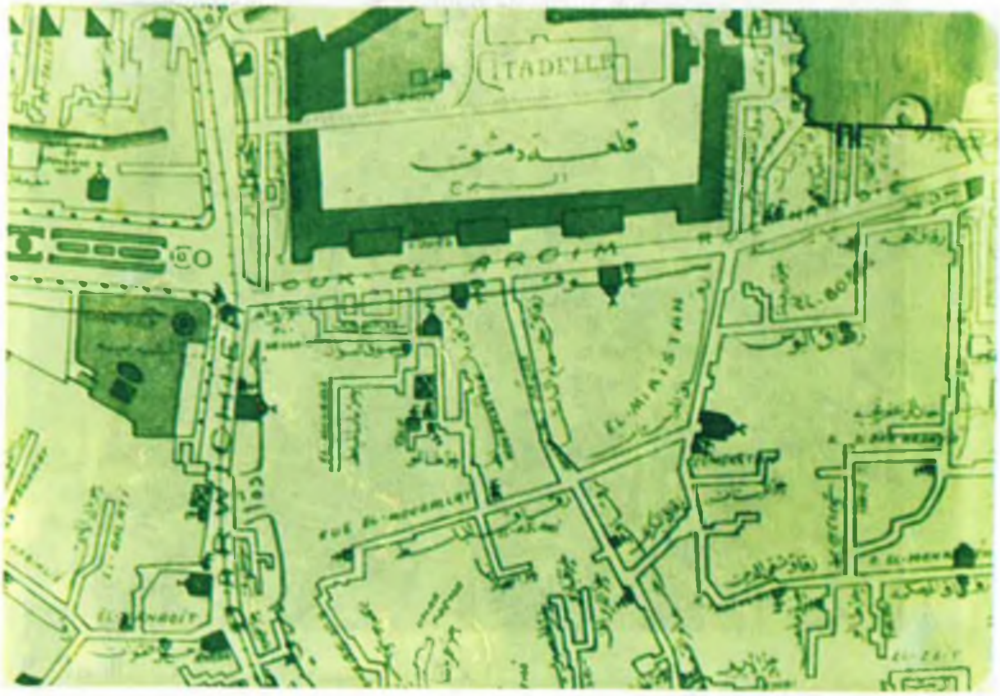
القسم الغربي من سوق الحميدية من الغرب الى الشرق باتجاه سوق العصرونية

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



البداية العربية لسوق الحميدية الحالية التي كانت تعرف باسم (سوق الأروام) وقبل ذلك باسم (السوق الجديدة) التي شيّدها والي دمشق محمد باشا العظم سنة (١١٩٥هـ/١٧٨٠م) في العهد العثماني ، ثم قام الوالي حسين ناظم باشا بتغطيتها بسقوف من التوتياء والحديد حماية لها من الحريق وذلك ابّان ولاياته الثلاث التي امتدت خلال السنوات (١٣١٣ هـ / ١٨٩٥ م ـ ١٣٣٠ هـ/١٩١١ م) • وقد بقيت تسمية سوق الأروام مطلقة على ألسنة الناس الى يومنا هذا عند كبار السن بالذات •

(حقبة الصورة أواخر القرن التاسع عشر أو بدايات العشرين وهي بعدسة المصور قبوات أو أبوات كما كتب خلفها بالحروف الأجنبية)•



جزء من خارطة شرطة دمشق الصادرة خلال الأعوام (١٩٢٣ ـ ١٩٢٤ م) وتظهر فيها تسمية سوق الأروام بديلة لسوق الحميدية المستعملة اليوم ، ويظهر أن تلك التسمية كانت معتمدة في الزمن الذي ظهرت فيه هذه الخارطة .



سوق الحميدية في بدايات هذا القرن بعد عام (١٩٠٧م) وهو العام الذي سرى فيه التيار الكهربائي في مدينة دمشق بدلالة العمود الخشبي المثبت الى نافذتي الطابق الثاني الثالثة والرابعة في جهة اليسار من الصورة والذي يحمل (فناجين البورسلين) الواصلة بين الأسلاك الكهربائية.

لم يتبدل شيء كثير في هذا السوق منذ تلك الحقبة، اذ ما زالت البضاعة المعروضة فيه كالملبوسات وغيرها تتدلى معلقة أمام الحوانيت، كما لم تتغير ملابس الناس الا قليلا، أما (الطربوش) الذي كان زيا رسميا حتى للأطفال فقد اختفى في أيامنا هذه تماماً كاختفاء (العنصر النسائي) من الصورة، فقد كان من المعيب أن تتجول المرأة لوحدها في الأسواق وان فعلت ــ وهذا أمر نادر ــ فبرفقة محرم عليها والى الخلف منه بخطوتين أو ثلاث خطوات، اذ لا يجوز لها أن تسير بجواره أو تتقدم عليه.





صورتان من حقبة الثلاثينات لمدخل سوق الحميدية الغربـي قبل ازالته أواخـر عام (١٩٨٣م) لكشف الجزء الذي كان يخفيه من خندق قلعة دمشق وزاويتها الجنوبية الغربية •



القسم الشرقي لسوق الحميدية الآخذ الى باب البريد وسوق المسكية ، من الغـرب الى الشرق ، وفي المقدّمة بائع متعيّش جوّال يعرض (شرشفا للطاولة) على أحد الزبائن الذي (يتفاصل) معه حول السعر ، والناس في حركة دائمة ضمن هذا السوق التراثي العظيم .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



واجهة جامع الأحمدية في القسم الغربي من سوق الحميدية ، شيّده في بدايات العهد العثماني والي دمشق (شمسي أحمد باشا) (٩٦٠هـ / ١٥٥٣م) قبالة الجدار الجنوبي لقلعة دمشق ، ويعرف هذا الجامع أيضا باسم (جامع الحميدية ، والمدرسة الأحمدية والخانقاه الأحمدية)[١] . وقد تحوّل هذا الجامع الى مطبخ عسكري خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ــ ١٩١٨ م) أواخر العهد العثماني[٢] .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

(١) ــ انظر خطط دمشق : اكرم حسن العلبي دار الطباع دمشق ١٩٨٩ ص ٢٠٦ .

(٢) ــ الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر تعريب قاسم طوير دمشق ١٩٨٤ ص ١٣٦ المربع (D4) .

سوق الأروام

Souk EL - ARWAM

يتألف هذا السوق حالياً من مجموعة أسواق صغيرة ضيّقة مغطّاة تتوزّع عند النسق الجنوبي من البداية الغربية لسوق الحميدية بما في ذلك شارع أبي عبيدة بن الجرّاح المؤدي الى الحريقة ، ويطلق على كامل هذه المنطقة اسم (سوق الأروام) بعد أن كانت هذه التسمية تطلق على النصف الغربي لسوق الحميدية قبل تنظيمه (أنظر مخطط سوقي الحميدية والعصرونية) ، ولا يزال المسنّون يطلقون هذه التسمية على كامل سوق الحميدية الى اليوم .

والأروام هم اليونانيون أو سكان بلاد السلاجقة التي تعرف أيضاً باسم بلاد الروم في الأناضول (تركيا) الذين أتوا الى بلاد الشام وشغلوا هذا السوق في دمشق[١] .

لم يرد ذكر هذا السوق في المصادر التي تتحدث عن العهد المملوكي ، وأول اشارة له كانت في العهد العثماني عندما ذكره البديري الحلاق[٢] ، ثم القساطلي[٣] الذي قال عنه بأنه سوق الدلالين وسوق النسوان ، كذلك عند القاسمي[٤] حيث أورد أن به (الدلال والمطربازي وهذا الأخير هو من يبيع السلع المنوّعة والأمتعة الجديدة والمستعملة أيضاً) كما ذكر قربه سوق النسوان الذي يأتي النساء اليه بأصناف الملبوسات وحوائج البيوت فيبيعونها لمن يرغب شراءها من أصحاب السوق أو المارّين (وهو غير سوق النسوان الحالي في باب الجابية) .

أما خارطة شرطة دمشق الصادرة خلال الأعوام (١٩٢٢ ـ ١٩٢٤ م) فتطلق تسمية (سوق النسوان) على الموضع الذي يشغله الآن سوق الأروام ، وتسمية (سوق الأروام) على القسم الغربي من سوق الحميدية الذي كان يعرف بها ، وبينهما (سوق الصوف) .

---

(١) ولاة دمشق في عهد المماليك : محمد احمد دهمان ، دار الفكر دمشق ١٩٨٤ ، ص ١٣٤ ، الحاشية ٣ .
(٢) حوادث دمشق اليومية : البديري الحلاق ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١٦٨ .
(٣) الروضة الغناء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي ، دار الرائد العربي ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ٩٩ .
(٤) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي ، دار طلاس ، دمشق ١٩٨٨ ، ص ١٤٦ و ص ٤٥٠ .

وعند زيارتي الميدانية للموقع تبيّن لي أن سوقاً واحداً فقط من مجموعة هذه الأسواق الصغيرة هو الذي يحمل رسمياً اسم (سوق الأروام) استناداً الى اللوحة المعدنية الزرقاء المتواجدة عند مدخله الغربي من شارع أبي عبيدة ، رغم أن الناس تطلق هذه التسمية على كامل المنطقة ، وأن سوق الدلالين الذي ذكره القساطلي والقاسمي يقع في شارع أبي عبيدة عند تفرّعه من سوق الحميدية حيث تباع بالمزاد العلني السجاجيد القديمة النفيسة وغير النفيسة ، والطريف في الأمر منظر (الدلال) الذي يدوس هذه السجاجيد الملقاة على أرض الشارع ذهاباً واياباً ويطلب من الآخرين أن يفعلوا نفس فعله للتأكّد من أصالتها ومتانة صنعها ، وكذلك تباع فيه بالمزاد المفروشات المعدنية والخشبية العتيقة وما شابه .

أما سوق الأروام الذي يحمل التسمية الرسمية كما ذكرت فهو سوق ضيّق يمتد موازياً لسوق الحميدية من جهة الجنوب ، من شارع أبي عبيدةالى شارع عبد القادر الحسيني اللذين يفتحان في محلّة الحريقة ، وهو سوق معقود بأقواس من الحجارة تحجب الضوء مما يحمل على الاعتقاد بكونه خاناً قديماً تواجد في موضع دار العدل (دار السعادة) ابّان العهد المملوكي . وتنتشر في هذا السوق حوانيت بيع البسط والمساند المستعملة في المقاعد والدواوين والمفروشات القديمة ذات القيمة التراثية من خزائن وصناديق خشبية محفورة أو مطعّمة بالصدف وما شابه الى جانب السجاد العجمي والتبريزي القديم المستعمل وغيره .



مدخل ســوق الأروام الذي يحمل التسـمية الرسمية، من الغرب الى الشرق

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

سوق نصري

Souk NASRI

سوق مسقوف بساتر معدني مسطّح و محدث ، يمتد من سوق الحميدية قبالة زقاق المرستان باتجاه الشمال مسايراً لجدار قلعة دمشق الشرقي بينه وبين سوق العصرونية ، ثم ينحرف شرقاً بزاوية قائمة ليفتح في سوق العصرونية قبالــة مبنى (المصرف العثمــاني) سابقاً (أنظر مخطط سوقي الحميدية والعصرونية) • ذكرته خارطة شرطة دمشق الصادرة خلال الأعوام (١٩٢٢ ـــ ١٩٢٤ م) باسم (سوق الطرابيشي) وجاءت التسمية بالكتابة الفرنسية فقط ، كما حددت موضعه وامتداده كما هو الآن ، ويبدو أن منشئه أو مالكه الأصلي كان من آل (الطرابيشي) ثم تحوّلت الملكية الى شخص من آل (نصري) كما يعرف اليوم •

يتميّز سوق نصري بتنوّع اختصاصات متاجره ، اذ تباع عند بدايته من جهة ســـوق الحميدية الملبوسات الداخلية النسائية خصوصاً العرائسية منهــا ، تليهــا في العمق متاجر الخيّاطين والأجواخ ، ثم حوانيت لوازم الحلاقين ثم ألعاب الأطفال بعدها مواد التجميل ، وعند نهايته الشرقية يقوم متجر لبيع (بوابير الكاز) التي طالما ذكرتنــا بأيام الطفولــة و (بتَنَكَة) الماء الساخن التي تغلى عليه بقصد الاستحمام ، وطنجرة (الطّبيخ) ، والمرّات التي كان (يَهَبّ) فيها هذا (الوابور) فترتفع ناره الى السقف ناشرة فوقه بقعة سوداء تزمن مع الأيام ، والصوت الذي كان يأتي من الزقاق منادياً (مصلّح وابور الكاز) •



مدخل سوق نصري من جهة سوق الحميدية حيث تبـاع الملبوسات الداخليـة النسائيـة خصوصاً العرائسية منها .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



بوابير الكاز التي تنقلنا الى أيام الطفولة وكانت تعـرف أيضا باسـم (بريموس) نسبة لماركتها القديمة الشهيرة ، والتي تباع حاليا في سوق نصري عند نقطة التقائه بسوق العصرونية.

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

سوق العصرونية

Souk EL - ASROUNIAH

يمتد هذا السوق من الجنوب الى الشمال بين سوق الحميدية قبالة زقاق المرستان تقريبا وسوق المناخلية ، ذكرته خارطة شرطة دمشق الصادرة خلال الأعوام (١٩٢٢ ـ ١٩٢٤ م) باسم (زقاق البنك) نسبة للبنك الامبراطوري العثماني الذي تواجد فيه ، غير أن الشكل الذي رسمته له هذه الخارطة كان مغايرا لشكله الحالي ، اذ كان الموضع مؤلفا من الزقاق المذكور وسوق مجاور له من جهة الغرب يسمى (سوق القلعة) بينه وبين سوق الطرابيشي المساير لجدار القلعة الشرقي والذي يعرف الآن باسم (سوق نصري) كما تقدم الحديث عنه عند بحث هذا السوق الأخير . وعند تنظيم المنطقة في فترة لاحقة ضمّ زقاق البنك وسوق القلعة الى بعضهما فشكّلا سوقاً واحداً هو السوق الذي نطلق عليه حالياً اسم (سوق العصرونية) بعد أن نقلت اليه هذه التسمية من السوق المجاور له من جهة الشرق (سوق البورص الآن) حسب ما ورد في نفس الخارطة .

أطلقت تسمية سوق العصرونية على هذا السوق والمناطق المجاورة له نسبة للمدرسة العصرونية التي نوّهت عنها في بحث زقاق ابن أبي عصرون رقم ١ الذي يعتبر السوق القديم في المنطقة بينما يعتبر سوق العصرونية السوق الجديد المحدث ، ومن الطريف أن البضائع التي تباع فيه من أدوات منزلية ومطبخية بصورة خاصة أصبحت تعرف في زمننا هذا باسم (أدوات العصرونية) واختصارا (العصرونية) نسبة لتسمية السوق ؛ كما كان الباعة فيه يعرفون باسم (الخُرْضَجِيّة)[1] .

كان سوق العصرونية ممتدا من سوق الحميدية جنوبا الى سوق المناخلية شمالا كما أسلفت ، وكان قسمه الجنوبي متخصصا ببيع بعض المصنوعات الشرقية والنراجيل وتوابعها والأدوات المنزلية والمطبخية ولا يزال الى يومنا هذا ، أما قسمه الشمالي فكان لتجارة لوازم اكساء البيوت والعدد والأدوات الصناعية ولوازم النجارين وصناع المفاتيح ، وفي مطلع الثمانينات أزيل النسق الغربي لهذا القسم بغية الكشف عن الجدار الشرقي لقلعة دمشق

(١) ـ الخرضجي : اسم لمن يتجر ببيع اصناف كثيرة ومنوعة . أنظر قاموس الصناعات الشامية : القاسمي ص ١٢٣.

وبابها الرئيسي ، وأبقي على النسق الشرقي منه الذي يمتد حتى سوق المناخلية (أنظر مخطط سوقي الحميدية والعصرونية) .

تتواجد في سوق العصرونية مشيّدتان تاريخيتان هما :

١ ـ الجدار الشرقي لقلعة دمشق وأبراجها وبابها الرئيسي : شيّدها في العهد السلجوقي الأمير (اتسز بن أوق الخوارزمي) حوالي سنة (٤٧٠ هـ/١٠٧٧ م) ثم أكمل البناء في زمن الأمير (تتش) من نفس العهد ، وفي العهد الأيوبي قام الملك العادل أبو بكر بهدمها سنة (٥٩٩ هـ/١٢٠٢ م) وأقام مكانها قلعة أكثر تطوراً ، واستمرّ البناء حتى وفاته سنة (٦١٥ هـ/١٢١٨ م)[٢] .

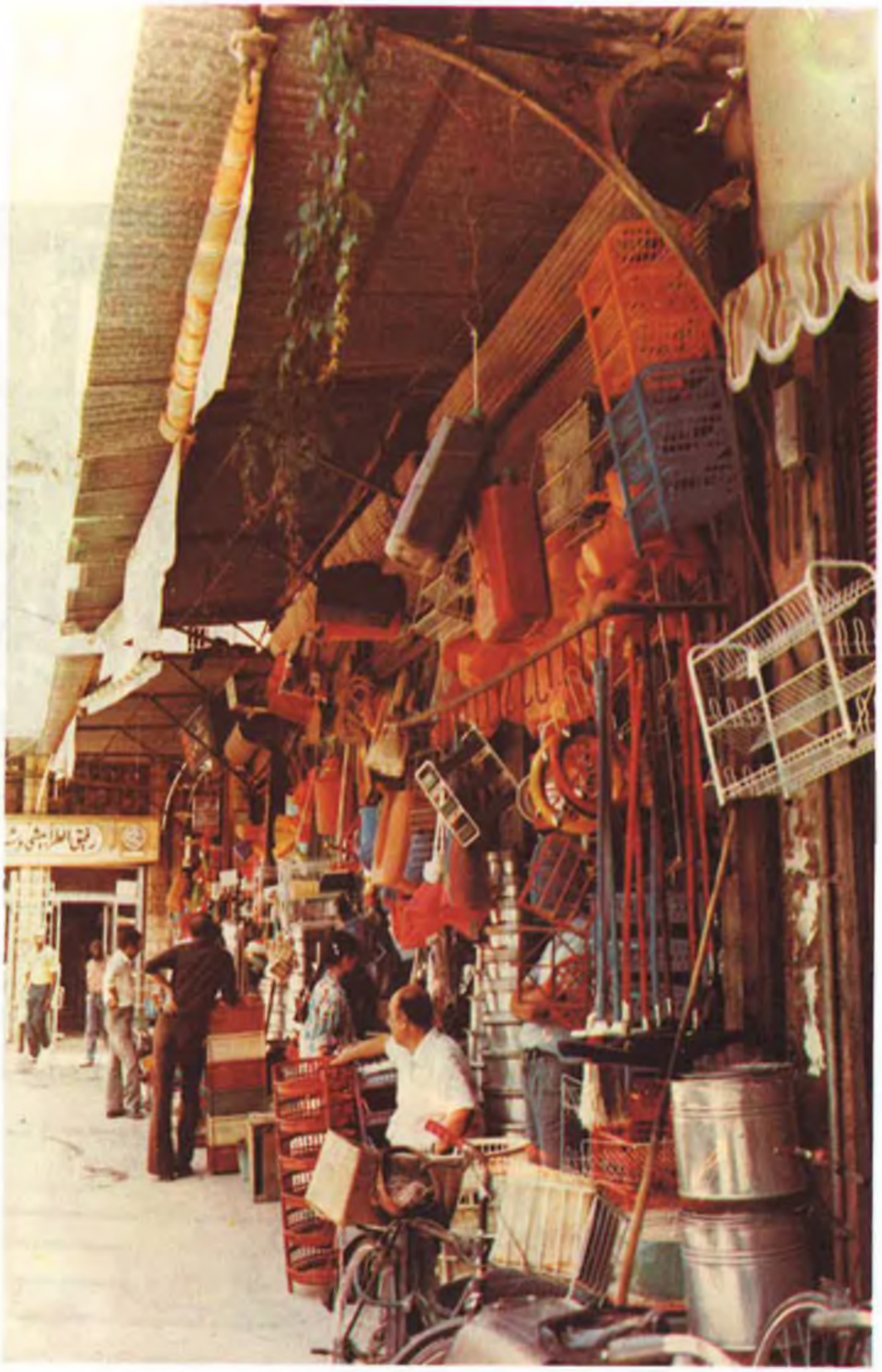
٢ ـ مبنى البنك الامبراطوري العثماني : شيّد البناء سنة (١٣١٣ هـ /١٨٩٥ م)[٣] أيام السلطان عبد الحميد الثاني وشغله (البنك الامبراطوري العثماني) ذو الجنسية الانكليزية ، وفي عام (١٩٢٤ م) تأسس (بنك سورية ولبنان الكبير) فقام بشراء هذا البنك وشغل مكانه في العصرونية حتى عام (١٩٣٢ م) حين تخلّى عنه وانتقل الى مبناه الجديد في جسر فكتوريا فحل محله (بنك زلخا)[٤] .

---

(٢) للتوسع انظر (قلعة دمشق) : د. عبد القادر الريحاوي مطبوعات هيئة تدريب القوات المسلحة في الجيش العربي السوري ، دمشق ١٩٧٩ .

(٣) استنادا للوحة المؤرخة في اعلى البناء .

(٤) سجلات المصرف التجاري السوري ـ الفرع ٥ .



النسق الشرقي لسوق العصرونية من جهة سوق الحميدية ، من الجنوب الى الشمال، حيث تباع الأدوات المنزلية بأنواعها المختلفة ، وعند نهاية هذا النسق والى اليمين مدخل زقاق ابن أبي عصرون رقم ١ .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



الشق الغربي لبداية سوق العصرونية من جهة سوق الحميدية حيث تباع أدوات التسلية كطاولات النرد[1] الخشبية المطعّمة بالصدف (الموزاييك) التي تعرف على ألسنة الناس باسم (طاولات الزهر) ، ورقع الشطرنج[2] وحجارته ، الى جانب النراجيل[3] ويلفظها العامة (أراكيل) ونرابيشها أو نرابيجها[4] الملونة التي تتدلّى من أعلى واجهات الحوانيت ويسمّيها الناس (برابيش) .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٤ م) .

---

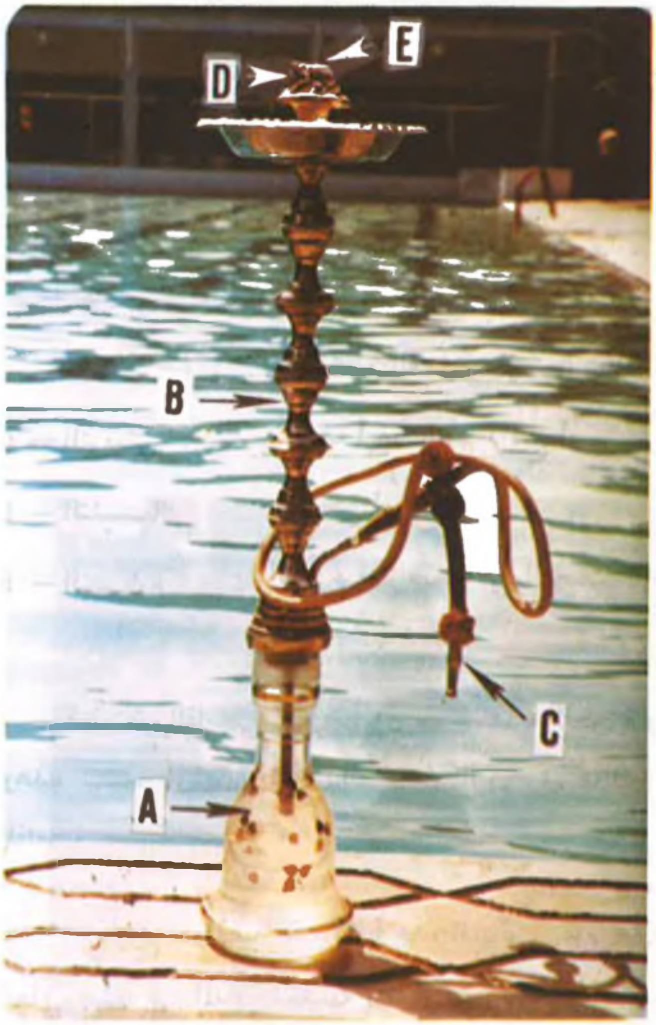
(١) النرد : تسمية فارسية الاصل ، انظر معجم المنجد في اللغة والاعلام ، دار المشرق ـ بيروت ١٩٨٤ .

(٢) الشطرنج : لفظة فارسية محرفة اساسها (شترنك او شترنج) ـ المصدر السابق ، ايضا المعجم الذهبي (فارسي ـ عربي) : د. محمد التونجي ، دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٦٩ .

(٣) النراجيل : مفردها نارجيلة وهي لفظة فارسية ـ المصدر السابق .

(٤) نرابيج او نرابيش : مفردها نربيش او نربيج (لفظتان دخيلتان على العربية) .

الأركيلة وأقسامها



الأركيلة وأقسامها

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

الأركيلة أو النارجيلة التي يدخّن الناس بواسطتها (التنباك) في المقاهي والبيوت ، وتتألف عادة من أقسام عدّدها القاسمي[١] بقوله :

A — **الشيشـة** : زجاجة بللور كالقنينة ، تختلف كبراً وصغراً ، وجنساً وحسناً ، وغلاءً ورخصاً ، وغالب ورودها من بلاد الإفرنج • وقد تكون من غير البللور، من معدن النحاس الأبيض ، منقوشة نقشاً لطيفاً ، ترد غالباً من بلاد الهنـد •

B — **الجـوزة** : وتسمى أيضاً (بوريّة) وهي المرادة من صنع الشام ، تصنع من قشرة جوز الهند الأولى ، بأن تثقب الجوزة ويزال لبّها حتى تصير فارغة ، ثم تجلى جلياً لطيفاً وتصقل صقلاً ناعماً وتثقب ثقبين : ثقب في رأسـها وثقب أنزل منه • فيوضع في الثقب الأعلى قلب من خشب مخروط ، لطيف مثقوب ، وفي الثقب الثاني قصبة مجوّفة ، وعلى رأس القلب المذكور رأس من نحاس أصفر ، يوضع على القلب بعد وضع التنباك فيه ، غبّ ثقبه أثقاباً صغاراً ، وتوضع النار على التنباك ، فيمصّ شاربها من القصبة ، فيصعد دخان التنباك لحلقه، فتأخذه نشوة وطرب•

C — **النربيش** : ويعرف أيضاً باسم نربيج أو بربيش •

D — **التنبـاك** : وهو من أنواع التبغ •

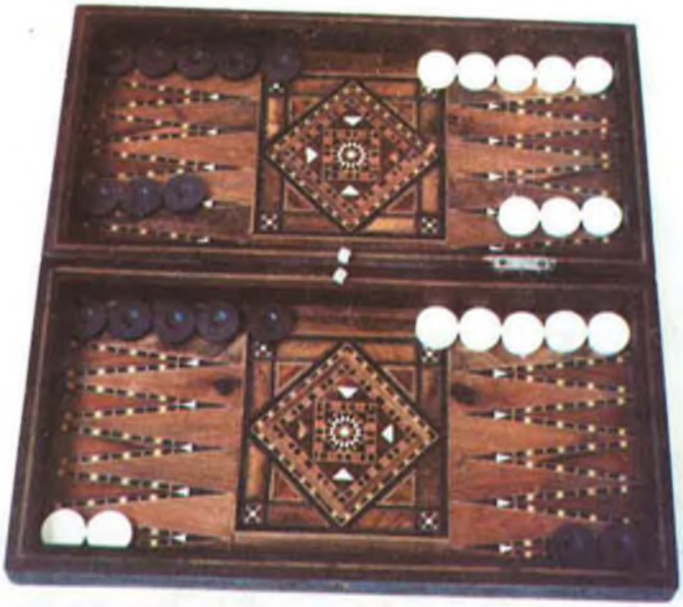
E — **النـارة** : الجمرة المتوهّجة من الفحـم وتعرف على ألسنة الناس أيضـاً باسم (البصّة) •

كما ذكر القاسمي[٢] أيضاً أن صانع هذه الجوزة وما معها من الآلات يقال له (أراكيلي)، وهذه الصنعة باق منها بقية في الشام ، وغالبهم في محلّة الدرويشـية ويوجد منهم في بـاب القلعة •

أما اليوم ، وأقصد عند كتابة هذه السطور عام ١٩٨٩ م فقد توزع هؤلاء الصنّاع في أنحاء مختلفة من المدينة القديمة بعد أن هجروا سوق الدرويشية ، وتركّز بيع الأراكيل في سوق العصرونية بشكل خاص رغم أنها تباع على نطاق ضيّق في بقية الأسواق ضمن السور وحوله •

(١) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي ، دار طلاس ، دمشق ١٩٨٨ — ص ٣٦.

(٢) المصدر السابق ونفس الصفحة .



طاولة الزهر أو لعبة (النَرْد)[1] التي وضعها أحد ملوك الفرس ويلعب بها على أربعة أشكال :

(١) ـ المحبوسة : ويسمّيها المحترفون من اللاعبين : (ملكة الطاولة) • (٢) ـ المغربية •

(٣) ـ الفرنجية • (٤) ـ الهبّ يكّ أو الجلبوهار •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



صورة طريفةمن بدايات هذا القرن تمثّل لعبة طاولة الزهر التي تعرف على ألسنة الناس باسم (برتيّة طاولة) وقد تحلّق حول اللاعبين بعض الأشخاص لمتابعة اللعبة وتدخين الأراكيل •

(١) النرد كلمة فارسية تعني : لعبة الطاولة . انظر معجم المنجد ، والمعجم الذهبي (فارسي ـ عربي) : د. محمد التونجي ، دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٦٩ .



الجدار الشرقي لقلعة دمشق المطّل على سوق العصرونية بعد ازالة مشـّيدات وحوانيت النسق الغربي منه بغية الكشف عما كانت تخفيه من آثار هاّمة في هذا الجدار .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩م)



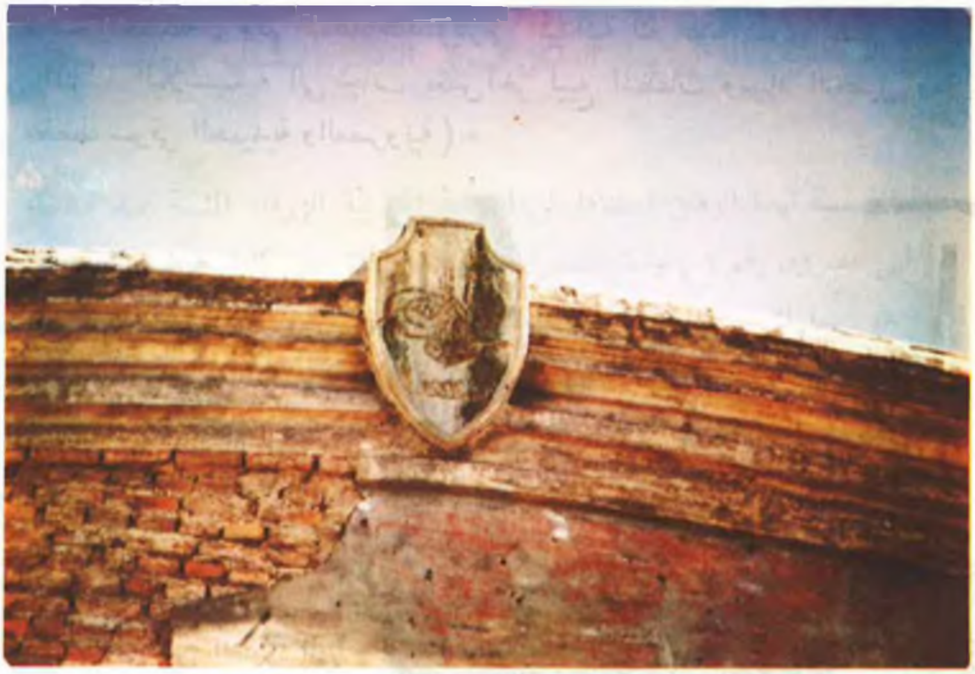
كتابة أيوبية ترجع الى أيام السلطان الملك العادل في الجدار الشرقي للقلعة كانت مختفية وراء النسق الغربي لسوق العصرونية قبل ازاالته •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩م)



الواجهة الجنوبية لمبنى (البنك الامبراطوري العثماني) عند زاوية التقاء سوق العصرونية بزقاق ابن أبي عصرون رقم ١ ، المشيّد على طراز عمارة القصور الاوربية مع بعض التأثيرات الرومانيّة المتركّزة في الآفاريز التي تعلو النوافذ والسطح •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩م)



اللوحة الحجرية التي تعلو واجهة (البنك الامبراطوري العثماني) وتحمل توقيع السلطان عبد الحميد الثاني (الطرة العثمانية أو الطغراء) وتحتها تأريخ لسنة البناء (١٣١٣ هـ) وتقابل سنة (١٨٩٥م) • التوقيع والتاريخ غير واضحين تماما نتيجة تعرّض اللوحة للعوامل الطبيعية الأمر الذي أدى الى طمس بعض التفاصيل فيها مما اضطرني الى الاستعانة بالمنظار وعدسة التصوير المقرّبة بغية التوصل الى قراءتها •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩م)

سوق القدسي

Souk EL - KOUDSI

يمتد هذا السوق بين زقاق ابن أبي عصرون رقم (١) ويفتح فيه مدخلين ، وسوق العصرونية قبالة الجدار الشرقي لقلعة دمشق ، وقد نسبت تسميته الى منشئه أو مالكه من (آل القدسي) ، والشيء المميّز في عمارة هذا السوق أن مشيدات الطابق الثاني منه تصل بين طرفيه كجسور معلّقة . ولم أشاهد عند زيارتي الميدانية لتفرّعاته سوى بضع محال لبيع الأواني المنزلية البلاستيكية الى جانب بعض آخر لبيع المنظفات ومواد التجميل وما شابه (انظر مخطط سوقي الحميدية والعصرونية) .



سوق القدسي من الشرق الى الغرب حيث تبدو مشيّدات الطابق الثاني منه كجسور معلّقة متناوبة تصل بين طرفيه .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩م)

زقاق ابن أبي عصرون

ZOUQAQ IBN - ABI - ASROUN No. 1 (LANE)

يمتد هذا الزقاق من الغرب الى الشرق بين سوق العصرونية وسوق شاكر غازي ، ويفتح فيه الى يمين الداخل من جهة الغرب بالتتابع : سوق البورص ثم سوق مردم بك (زقاق ابن أبي عصرون رقم ٤) ، كما يفتح فيه أيضا عند نهايته سوق الجرابات ، وجميع هذه الأسـواق تفتح في سوق الحميدية ، أما الى يسار الداخل فسوق القدسي بمدخليه ، بعده جادة بحرة الدفّاقة .

التسمية الرسمية لهذا الزقاق استنادا الى اللوحة المعدنية الزرقاء المثبتة عند مدخله هي (زقاق ابن أبي عصرون رقم ١) ولكن تسمية العصرونية تطلق على كامل هذه المنطقة وأسواقها المجاورة ، وهو يشارك سوق العصرونية الحالي اختصاصه ويعتبر جزء منه اذ تتوزّع على طرفيه متاجر بيع الأدوات العصرونية وألعاب الأطفال ومواد التجميل وما شابه (انظر مخطط سوق الحميدية والعصرونية) .

تتواجد في هذا الزقاق مشيّدات تاريخية ما زال بعضها محافظا على بنائه والبعض الآخر لم يبق منه سوى الواجهة وهي :

١ ـ دار الحديث الأشرفية الجوّانية :

وموقعها في بداية الزقاق من جهة الغرب ، شيّدها الملك الأشرف موسى ، بن الملك العادل شقيق صلاح الدين الأيوبي سنة (٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م)[١] .

٢ ـ دار الحديث النورية الكبرى :

ومكانها قرب النهاية الشرقية للزقاق ، شيّدها السلطان نور الدين محمود بن زنكي الملقب بالشهيد سنة (٥٥٩هـ / ١١٦٤ م) استنادا للوحة المؤرخة بجوار بابها[٢] .

---

(١) ـ للتوسع انظر خطط دمشق : اكرم حسن العلبي دار الطباع دمشق ١٩٨٩ ص ٧٥ .

(٢) ـ يذكر العلبي في المصدر السابق ص ٩٠ سنة (٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م) .

٣ ــ المدرسة العادلية الصغرى :

قبالة دار الحديث النورية بين جادّة بحرة الدفّاقة وسوق القدسي ، أنشأتها زهــرة خاتون بنت السلطان الملك العادل الأيوبي سنة (٦١٨ هـ / ١٢٢١ م)[٣] .

٤ ــ المدرسة العصرونية :

نسبت اليها تسمية الزقاق والمناطق المجاورة، وكان موقعها لصيق دار الحديث الأشرفية الجوّانية من جهة الشرق ، أنشأها الامام شرف الدين عبد الله بن محمد بن أبي عصرون الموصلي الدمشقي حوالي سنة (٥٧٥ هـ / ١١٧٩ ــ ١١٨٠ م)[٤] .

تعددت تسميات هذا الزقاق عند بعض المؤرخين ، فالنعيمي[٥] يطلق عليه اسم (سويقة باب البريد) لأنه يفتح فيه ، بينما يسميه بدران[٦] (سوق العصرونية) نسبة الى المدرسة العصرونية ، كذلك اختلف في أصل التسميةففي حين يعتقد البعض بأنها مشتقة من اسم ابن أبي عصرون بدلالة التسمية الرسمية التي ذكرت قبل قليل ، يذهب البعض الآخر الى القول بأنها نسبة للمدرسة العصرونية ، وباعتقادي أن كلتي المقولتين صحيح، فاذا قلنا زقاق ابن أبي عصرون فالتسمية نسبة الى باني المدرسة ، واذا قلنا العصرونية فهي نســبة الى المدرســة العصرونية .

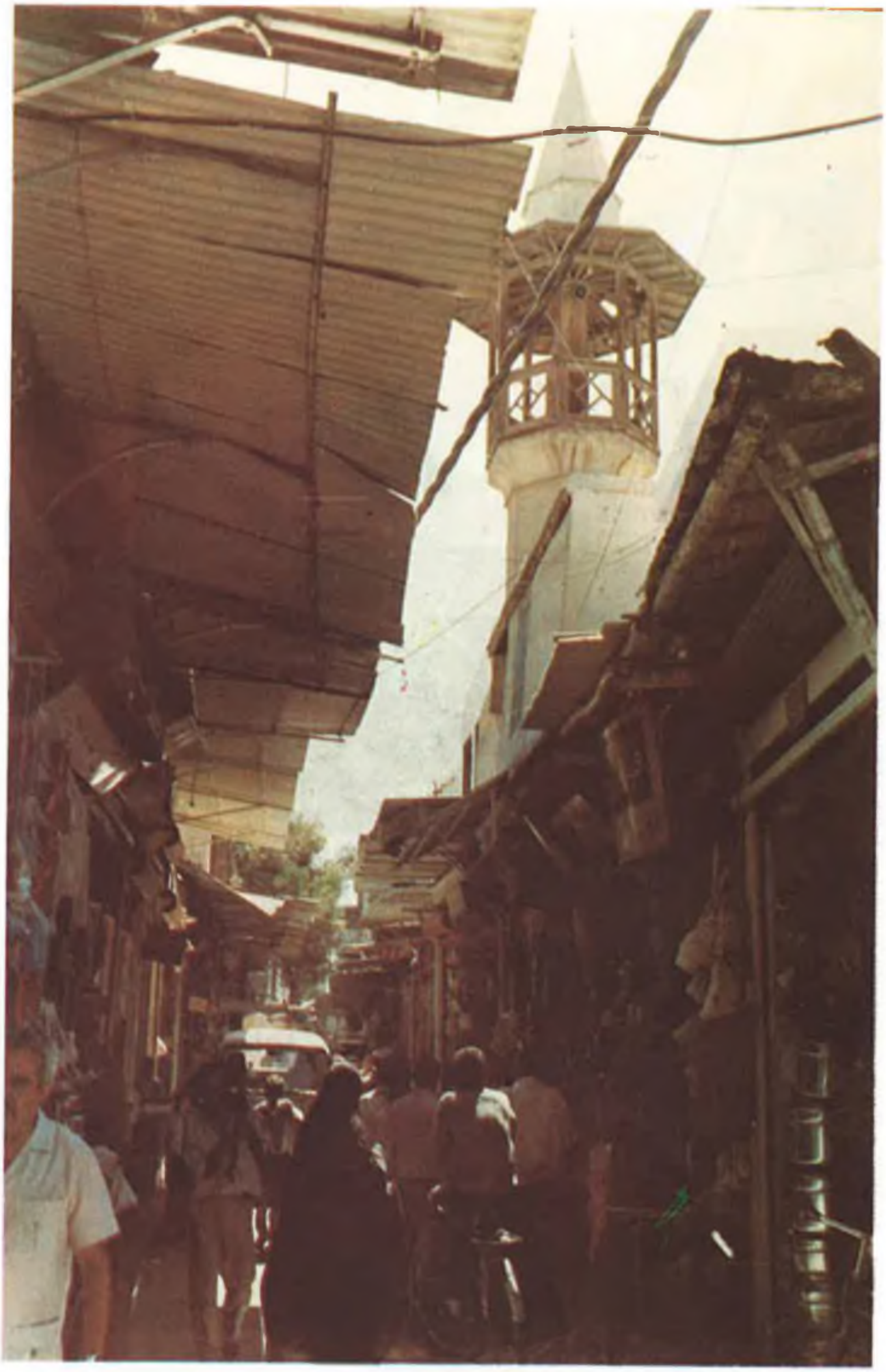
---

(٣) ــ استنادا للوحة الرخامية المؤرخة للمدرسة بجوار بابهــا .

(٤) ــ المصدر الأول ص ١٤٧ .

(٥) ــ الدارس في تاريخ المدارس : النعيمي ج١ ص ٣٩٨ .

(٦) ــ منادمة الاطلال : عبد القادر بدران ص ١٣١ . وللتوسع انظر المدارس العصرونية في بلاد الشام : د. صادق احمد داود جودة مؤسسة الرسالة دار عمار بيروت ١٩٨٦ ص ١٧٣ .



زقاق ابن أبي عصرون رقم ١ ، الممتد بين سوق العصرونية وسوق شاكر غــازي : يكتــظ بحوانيت بيع المواد العصرونية ولعب الأطفال ، وفي جهة اليمين مئذنة دار الحديث الأشرفية الجوّانية .

(بعدسة المؤلف من الغرب الى الشرق صيف عام ١٩٨٩ م)



ألعاب الأطفال البلاستيكية تتدلّى في الهواء أمام واجهات متاجر زقاق ابن أبي عصرون رقم ١ فتخلق (كوكتيلا) شكلياً لونياً في هذا السوق ٠

(بعدسة المؤلف من الغرب الى الشرق صيف عام ١٩٨٩ م)



اللوحة الرخامية المؤرخة لانشاء دار الحديث النورية بجانب اطار بابها الحجري المنحوت في زقاق ابن أبي عصرون رقم ١٠

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)



واجهة المدرسة العادلية الصغرى في زقاق ابن أبي عصرون رقم (١) بجوار جادّة بحرة الدفاقة .

(بعدسة المؤلف عــام ١٩٨٩ م)



اللوحة الرخامية المؤرخة لانشاء المدرسة بجوار بابها

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



من طريف ما شاهدت أثناء جولتي الميدانية في زقاق ابن أبي عصرون قرب نهايته الشرقية طُنْبُر المازوت المتجوّل في هذا الزقـاق وقد تفنن صاحبه بتلوينـه ، وزخرفـة دابّتـه (الكَدِيش) الذي يجرّه فزينه بعصائب جلدية منقوشة بالورود و (الوَدَع) ، وبالطُرَر الصوفية المتدلية من كل مكان ، كما رفع فوق رأسه (باقة) من الريش يسير بهـا اختيالا ، وفوق رقبته هرم مجدول من النحاس كأنه سنام الجمـل .

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

جادة بحرة الدفاقة

JAHDET BAHRET - EL - DAFFAQAH (Road)

يتركّز سوق هذه الجادّة في قسمها الممتد بين زقاق ابن أبي عصرون رقم ١ وشارع المراسم ولا يشغل أكثر من ثلثيها (أنظر مخطط سوقي الحميدية والعصرونية) ، وهو على قصر طوله يعتبر سوقا تخصصيا بتجارة ألعاب الأطفال البسيطة على اختلاف أنواعها الى جانب عدد قليل من حوانيت بيع النوفوتيه وزينة الفتيات الصغيرات منهنّ واليافعات ، والداخل اليه كالداخل في عمق ملحمة لونية رشقت فيها الألوان بشكل عفوي متنافر ومنسجم في نفس الوقت •



سوق جادّة بحرة الدفّاقة ومتاجره المتخصصة بلعب الأطفال البسيطة الى جانب بعض المحالّ القليلة التي تعرض لوازم الفتيات التزيينية ، لذلك يعتبر (سويقاً) تخصصياً بهذا النوع من السلعة •

(بعدسة المؤلف من الجنوب الى الشمال صيف عام ١٩٨٩م)



شارع (المراسم) الممتد من الغرب الى الشرق والواصل بين سوق العصرونية قبالة الجدار الشرقي لقلعة دمشق وسوق المسكية أمام الباب الغربي للجامع الأموي ، والذي فتح منذ عهد قريب (أنظر مخطط سوقي الحميدية والعصرونية) •

تشاهد في مركز الصورة الملتقطة من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي بقية امتداد جادة بحرة الدفاقة من هذا الشارع وقد أشرت اليه بسهم ، وهي تمتد أساسا بين زقاق ابن أبي عصرون رقم (١) وسوق المناخلية ، كما تبدو في العمق من الصورة قبتا المدرسة العادلية الكبرى ثم الظاهرية •

(بعدسة المؤلف من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي صيف عام ١٩٨٩)



مدخل جادّة بحرة الدفّاقة في شارع المراسم،وهو المدخل الذي يؤدي الى سوق المناخلية وبجواره سبيل للماء مجدّد في نفس الموضع الذي كانت تشغله (بحرة الدفّاقة) القديمة التي عرفت على ألسنة الناس باسم (سبيل بنت البواشي) •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩م)

طالعتني في الزقاق الضيّق لجادة بحرة الدفّاقة قرب سوق المناخلية، دكّان قديمة تنتشر في واجهتها (قطرميزات) زجاجية تراثية يرجع صنعها الى بدايات هذا القرن أو لربما قبل ذلك، وقد ملئت بالسكاكر الدمشقية المميّزة بألوانها الزاهية وطعمها الطيّب وصنعتها الدقيقة .

سألت صاحب الدكان عن اسم صانعها فقال باستحياء : أنا أبو عدنان (محمـد سعيد الحموي) وأنا آخر من تبقّى من صنّاع هذا النوع من السكاكر التي نسمّيها (بَنْـدِيرَه) . ثم وجّه بعضاً من القطع نحو الضوء فتبيّنت فيها مساحات ملوّنة شفّافة تتوسطها كتابات ملوّنة معتمة مثل (الله) و (الدفّاقة) و (دمشق) ولفتت انتباهي قطعة متعددة الألوان كالزجاج المعشّق قال لي أبو عدنان أنه استوحاها من نوافذ جامع الأموي .

والمدهش في هذه السكاكر أمران ، أولهما ندرة صنعتها اليدوية التي ستنقرض ان لـم يحافظ عليها من منطلق الحفاظ على التراث ، وثانيهما طعمها اللذيذ الغريب فهناك العنبر والموز والمسكة وغير ذلك من (النكهات) التي لم نعد تتذوقها منذ أن تحولت هذه الصناعة من يدوية الى آليـة .



سكاكر البنديرة التي تباع في جادّة بحرة الدفّاقة وفي وسطها نقوش كالزجاج المعشّق ، وكتابات تحمل تسميات (الله ، دمشق ، الدفّاقة ، الشرق ، كما يحمل بعضها الآخر اسم سان باولو ؟) .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

سوق البورص

Souk EL - BOURS

يقع هذا السوق الى الغرب المجاور لسوق مردم بك بينه وبين سوق العصرونية،ويتوازى معهما ، كما يفتح في سوق الحميدية وزقاق ابن أبي عصرون رقم (١) بامتداد جنوبي شمالي (أنظر مخطط سوقي الحميدية والعصرونية) • سمي بالبورص نسبة الى البورصة (وأصلها بورسا) وهي لفظة تركية مأخوذة عن الايطالية وتعني (الصيرفة أو تجارة العملات)[1] ، وقد أطلق عليه هذا الاسم عندما كانت متاجر الصيارفة تشغله قبل الغاء هذه المهنة •

ذكرته خارطة شرطة دمشق الصادرة خلال الأعوام (١٩٢٢ ـ ١٩٢٤ م) باسم (العصرونية) كما حددت موضعه في نفس المكان الذي يشغله الآن ، وذلك قبل تنظيم سوق العصرونية الحالي •

تباع في هذا السوق حالياً الملبوسات النسائية خصوصا منها (الجلابيات) الى جانب حقائب اليد ومواد التجميل والنوفوتيه وما شابه •

---

(١) ـ انظر كتاب معاني لهجة : جيمس رداوس كلمة (بورسا) ص ٣٩٤ •



سوق البورص من مدخله في سوق الحميدية نحو زقاق ابن أبي عصرون رقم (١) .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩م)

سوق مردم بك

Souk MARDAM BEH

يمتد هذا السوق الصغير من الشمال الى الجنوب ، متعامدا مع زقاق ابن أبي عصرون رقم (١) وسوق الحميدية ، ومتوازيا مع مجاوره سوق البورص من جهة الشرق (أنظر مخطط سوقي الحميدية والعصرونية) ، وعند مدخله الشمالي لوحة جدارية زرقاء قديمة كتبت عليها العبارة التالية (ابن أبي عصرون ــ زقاق رقم ٤) بينما تعلو مدخله الجنوبي لافتة كبيرة تحمل عبارة (سوق مردم بك يرحب بكم) ، وقد ورد ذكر هذا السوق في خارطة شرطة دمشق الصادرة خلال الأعوام (١٩٢٢ ــ ١٩٢٤ م) باسم (سوق الطحّان) كما حدّدته في نفس موقعه الحالي ، ومن المؤسف أن لا تتوفر لدينا خرائط مفصّلة لمدينة دمشق في العهد العثماني ، وأول خارطة نشرت لها هي (خريطة دمشق الشام) التي كتب في أسفلها العبارات التالية : (ديوان الشورى الحربي ــ غرفة الخريطة المقياس ١/١٠٠٠٠ مطبعة الحكومة العربية دمشق الشام) وهذا يدل على أنها نشرت خلال الأعوام (١٩١٨ ــ ١٩٢٠ م) لكنها غير مفصّلة ولا تفي بالغرض •

يستنتج مما تقدّم أن هذا السوق كان في السابق بملكية شخص من آل (الطحّان) قبل أن يتحوّل الى ملكية شخص من آل (مردم بك) ، وأنه في نفس الوقت يحمل تسمية رسمية هي (ابن أبي عصرون ــ زقاق رقم ٤) •

تتنوّع الاختصاصات في سوق مردم بك المغطّى بسواتر محدثة بين متاجر المجوهرات والشرقيات والالبسة الرياضية والجاهزة ، وأعمها متاجر ألعاب الاطفال وما شابه •



سوق مردم بك (ابن أبي عصرون ـ زقاق رقم ٤) من الشمال الى الجنوب ، من زقاق ابن أبي عصرون رقم (١) الى سوق الحميديــة •

(بعدسة المؤلف عــام ١٩٨٩ م)

جادّة السليمانيّة

JAHDET EL - SOULAYMANIAH (Road)



مدخل جادّة بحرة الدقّاقة في شارع المراسم،وهو المدخل الذي يؤدي الى سوق المناخلية وبجواره سبيل للماء مجدّد في نفس الموضع الذي كانت تشغله (بحرة الدقّاقة) القديمة التي عرفت على ألسنة الناس باسم (سبيل بنت البواشي) ٠

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩م)



لوحات الكانفا مسبقة الرسم التي تشغّلها النساء بخيوط القطن أو الصوف الملونة وفق ألوانها والصورة المرسومة فيها ليأتي النتاج لوحة تعلّق فوق الجدار ، وتسمّى هذه العملية على ألسنة الناس باسم (شغل الإبرة) أو (الكاناويشا) وهي لفظة تركية محرّفة عن الايطالية، كما تسمى أيضاً (أوبيسون) بالفرنسية . وتباع هذه اللوحات غير المشغّلة تحديداً في جادة السليانية وتعميماً في مواضع أخرى .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

سوق الجرابات

Souk EL - JRABAT

سوق قصير جداً يمتد من النسق الشمالي لسوق الحميدية قبالة مدخل السليمانيـة حتى سوق شاكر غازي (أنظر مخطط سوقي الحميدية والعصرونيـة) ، وكـان يعرف في السابق باسم (الدقّـاقة) لأنه امتداد لهذه الجادّة غير أن تخصصه ببيع (الجرابات) أدى الى اطلاق التسمية عليه • وقد أشارت الى موقعه خارطة (شرطة دمشق) الصادرة خلال الأعوام ١٩٢٢ ــ ١٩٢٤ م دون أن تذكر تسميته ، وكذلك (خريطة دمشق) الصادرة خلال السنوات ١٩٢١ ــ ١٩٢٤ م ولم تسمّه أيضاً •

وما يزال المسنّون من أهل هذا السوق يذكرون (مكتبة القصيباتي) التي تواجدت فيه وكانت تحوي على مجموعات كبـيرة من الكتب القديمة والنادرة ، أما اليوم فتشغله متاجر بيع الأحذية على اختلاف أنواعها ، من نسائية ورجّالية وولادية وأما الجرابات التي أطلقت تسميتها عليه فلم أر لها أثراً •



سوق الجرابات من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي، من سوق الحميدية حتى سوق شاكر غازي .

(بعدسة المؤلف في مطلع ثمانينات هذا القرن)



سوق الجرابات من سوق شاكر غازي باتجاه سوق الحميدية عنـد القسم المعتم من مركز الصورة .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩م)

سوق شاكر غازي

Souk SHAQER GHAZI

يقع هذا السوق عند النهاية الشرقية لزقاق ابن أبي عصرون رقم (١) ويسايره باتجاهه مع انحراف قليل نحو الشمال الشرقي حتى يفتح في سوق باب البريد (أنظر مخطط سوقي الحميدية والعصرونية) • تسميه خارطة (شرطة دمشق) الصادرة خلال الأعوام ١٩٢٢ — ١٩٢٤م سوق (الداغستاني) بينما يطلق عليه اليوم أسم سوق (شاكر غازي) ويظهر أن تبدّل تسميته كانت نتيجة تبدل مالكه • وهو حالياً سوق تخصّصي تنتشر فيه حوانيت بيع المواد القرطاسية والمكتبية ولوازم الطلاب وما شابه •



سوق شاكر غازي من الشرق الى الغرب ، من سوق باب البريد نحو زقاق ابن أبي عصرون رقم ١ ، وعلى طرفيه حوانيت بيع المواد المكتبية •

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)



زاوية التقاء سوقي الجرابات في جهة اليمين من الصورة وشاكر غازي في جهة اليسار منها ، ويبدو أن زحف تجارة القرطاسية الى السوق الأول قد بدأ بدليل ظهور (مكتبة) في مدخل هذا السوق .

(بعدسة المؤلف من الغرب الى الشرق صيف عام ١٩٨٩ م)

وكالة العشّا

WAQALET EL - ASHSHA

هي منزل مشيّد من طابقين تتوسطه فسحة سماوية تغطيها قبّـة أقيمت على طراز قباب الحمّامات ، ومن المعتقد أن تاريخ بنائها يرجع الى عام (١٣٤٤ هـ/١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ م) أو ربما قبل ذلك ، وتمثل هذه الوكالة المرحلة الأخيرة من مراحل تطـور الخانات التجاريـة (القيسارات) قبل انقراضها النهائي[1] •

تفتح وكالة العشـا في سوق الحميدية بالقرب من المدخل الجنوبي لسوق باب البريد ، والى الغرب منه (أنظر مخطط سوقي الحميدية والعصرونية) ، كما تشاهد قبّتها المرتفعة اذا نظر اليها من ساحة المسكيّة أمام الباب الغربي للجامع الأموي باتجاه الغرب ، وقـد حدثني المسنّون في السوق عند زيارتي الميدانية للموقع أن هذه الوكالة كانت في الأصل منزلاً ، كما اختلفت الآراء حول تاريخ بنائها ، فمنهم من يرجعها الى نهاية العهد العثماني ومنهم من يظن بأنها شيّدت خلال الربع الأول من هذا القرن العشرين ، ولكن الجميع متفقون على أنها كانت ملكاً لشخص من (آل العشّا) قام ببنائها كقيسارية أو وكالة ، ثم انتقلت ملكيتها الى أشخاص مـن آل (الكحّالـة والكزبري والخطيب) ، وأنها كانت مستأجرة من قبل شركة (المُحاصَصَة) خلال السنوات (١٩٣٢ ـ ١٩٣٥ م) •

تشغل الوكالة حالياً بضع متاجر للوازم النسائية من أحذية ومطرّزات وحقائب يـد متنوعة كما تشغل طابقها الثاني متاجر لبيـع السـجّاد •

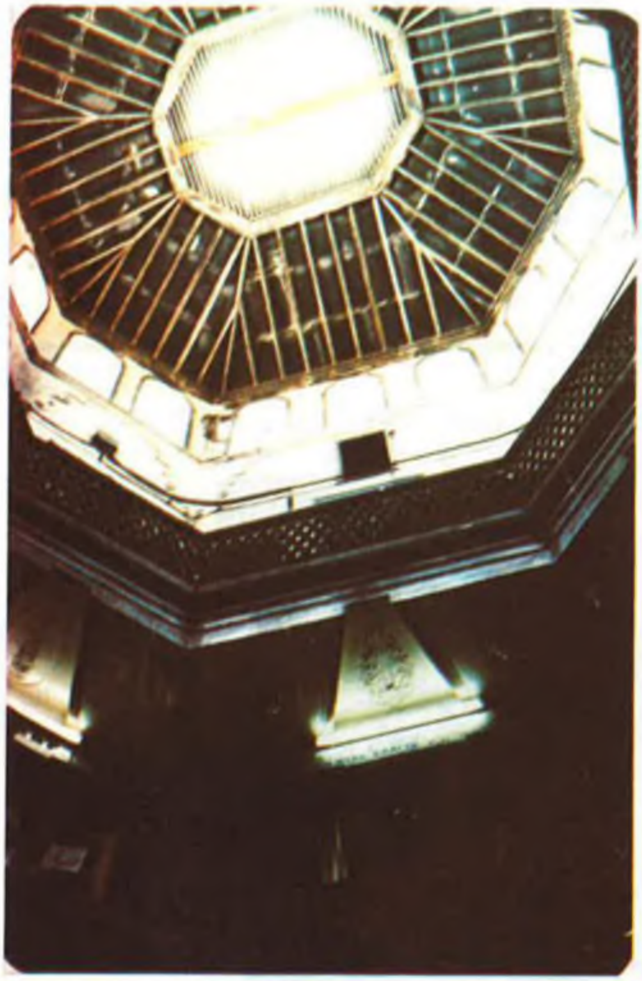
---

(١) جرد اثري لخانات دمشق : د. فؤاد يحيى الحوليات الاثرية مجلد ٢١ / ١٩٨١ ص ٨٩ و ص ٩٨ .



مدخل وكالة العشا في سوق الحميدية بجوار باب البريد من جهة الغرب

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



قبّة وكالة العشا طابقها الثاني من الفسحة السماوية التي تغطيها هذه القبة •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



المطرزات المختلفة في واجهة أحد المتاجر المتحلقة حول الفسحة السماوية المغطاة في وسط مبنى وكالة العشا •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

سوق باب البريد

Souk BAB EL - BARID

سوق مسقوف بساتر هرمي من الحديد والتوتياء يمتد بين النهاية الشرقيـة لسـوق الحميدية قبالة جادة سوق الحرير وزقاق الكلاسة باتجاه جنوبي شمالي (أنظر مخطط سوقي الحميدية والعصرونية) .

ذكره ابن طولون[١] وهو يؤرخ لسنة (٨٨٦ هـ/١٤٨١ م) بقوله (وفي هذا الشهر ـ ويقصد رجب ـ أخربوا سوق باب البريد ليعاد أحسن ما كان ، على كيفية غير الأولى) ثم يقول (وسقط حبس الدم بباب البريد على المحابيس ، فمات بعضهم وسلم بعضهم ، وذلـك بسبب هدم سوق باب البريد ، وهدم الناحية الشمالية بسوق باب البريد) . يستدلّ من هاتين المقولتين أن سوق باب البريد كان متواجداً في العهد المملوكي وربما كان أقـدم من ذلك .

كما ذكره القساطلي[٢] بأنه (أجمل أسواق المدينة كلها وأحسنها وبه تباع منسوجات هذه البلاد ومنسوجات بلاد الإفرنج الثمينـة ولا يخلو من مئات بل من ألوف الناس ، وفي وسطة قبّة شاهقة قائمة على أعمدة عظيمة عليها كتابات كثيرة بالعربية والكوفيـة) . وهي القبّة التي بناها الوالي العثماني (مراد باشا) فوق مربّعة باب البريـد لصيق العمودين العظيمين الباقيين عن يمين باب البريد وشماله ـ يقصد أعمدة معبد جوبيتر ـ وشرع بالبناء أواخر سنة (١٠٠٢ هـ / ١٥٩٤ م) كما يذكر المحبّي[٣] ، ومن المفروض أن يكـون انتهاؤه سنة (١٠٠٥ هـ/١٥٩٦ م) وهو نفس تاريخ انتهاء تشييد خان وسوق المرادية المعروف حالياً بجادة سوق الحرير . وقد هدمت هذه القبّة (حين فتح سوق الحميدية الى سوق الجديد) كما يقول الحصني[٤] ، وهي المرحلة الثانية من انشاء سوق الحميدية الممتد بين باب البريد وسوق العصرونية سنة (١٣٠١ هـ/١٨٨٣ ـ ١٨٨٤ م) أيام الوالي العثماني راشد ناشد باشا في عهد السلطان عبد الحميد الثاني[٥] .

---

(١) مفاكهة الخلاّن في حوادث الزمان : ابن طولون ج١ ص ٤٩ ـ ٥٠ .
(٢) الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي ص ٩٨ .
(٣) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر : المحبّي دار صادر بيروت ج٤ ص ٣٥٦ .
(٤) منتخبات التواريخ لدمشق : الحصني دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٧٩ ج٣ ص ١١١٤ .
(٥) انظر كتابنا دمشق تاريخ وصور وزارة الثقافة ١٩٨٦ ص ٢٣٣ .

ومن مقولات ابــن طولون والمحبّي والقساطلي نستطيع التوصّل الى أن سوق باب البريد كان في العهدين المملوكي والعثماني سوقاً واسعاً هامّاً لا كما هو عليه الآن ، فقد تبيّن لي عند زيارتي الميدانية له أنه انكمش الى سوق قصير ضيّق مغطّى وبدايته الجنوبية معتمة ينتشر فيها باعة الكتب والقرطاسية ، وكلما أوغلنا في عمقه الشمالي كلما تزايد عــدد متاجر الأحذية والأقمشة وألعاب الأطفال وغير ذلك .



سوق باب البريد ؛ أو بالحرى" ما تبقّى من السوق الذي تغنى بجماله المؤرخون ، بضع حوانيت لباعة الكتب والأحذية والملبوسات الرخيصة البسيطة وألعاب الأطفال البلاستيكية ، وعند طرفيه بدأ الزحف الاستيطاني لحوانيت الكتب من جهة سوق الحميدية ، ولحوانيت القرطاسية من جهة سوق شاكر غازي ، مما أفقد هذا السوق روعته وجماله القديمين .

(بعدسة المؤلف من الجنوب الى الشمال صيف عام ١٩٨٩ م)

سوق المسكية

Souk EL - MISQIAH

سوق صغير مكشوف يحتل حاليا منطقة معبد جوبيتر الدمشقي عند الطرف الشرقي لسوق الحميدية في باب البريد (أنظر مخطط سوقي الحميدية والعصرونية) .

ورد ذكر هذا السوق عند ابن عبد الهادي[1] من العهد المملوكي باسمين مختلفين : سوق (الورّاقين) وسوق (الكتبيين) وكلاهما في باب البريد مما يؤكد على تواجده بنفس اختصاصه الحالي في ذلك العهد ولو اختلفت التسميات ، وربما كان أقدم من ذلك .

كما ذكره القاسمي[2] في العهد العثماني المتأخر بقوله : (الصحّاف هو بائع الكتب على أصنافها ، خطاً وطبعاً ، ولبائعي الكتب بدمشق سوق مخصوص يعرف بالمِسْكية وهو غربي جامع بني أمية الشهير ، يتعاطعون به بيع الكتب) . ويذكر نفس المؤلف في موضع آخر (الكتبي هو بائع الكتب ، وللكتب سوق بدمشق يعرف بالمِسْكية عند باب الجامع الأموي الشهير المعروف بباب البريد ، يبيعون به الكتب ، وهي حرفة قديمة شريفة ، وقد ازداد رواجها بواسطة كثرة المطابع الحادثة في هذا العصر ، ولباعتها أسلوب في الاتجار بها ، والربح منها) .

وأشار العلاّف [3] اليه عند حديثه عن سوق الحميدية بقوله : (الى أن ينتهي ــ ويقصد سوق الحميدية ــ عند سوق المسكية أمام الجامع الأموي حيث دكاكين بيع الكتب والقرطاسية) .

والغريب في الأمر أن تسمية سوق المِسْكية التي سمعناها لأول مرة في العهد العثماني غلبت تسمية الكتبيين أو الورّاقين التي كانت تطلق في العهد المملوكي ، رغم أن هذا السوق كان تخصصيا ببيع الكتب والقرطاسية منذ نشأته ، ويظهر أن الجهل الذي انتشر بين الناس في بدايات العهد العثماني أدى الى تراجع تجارة الكتب مما جعل باعة المِسْك يحتلّون

(١) رسالة نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق : يوسف بن عبد الهادي نشرها حبيب الزيات في الخزانة الشرقية مجلة المشرق العدد ٣٧ بيروت ١٩٢٩ .

(٢) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي دار طلاس دمشق ١٩٨٨ ص ٢٦٩ و ص ٢٨٣ .

(٣) دمشق في مطلع القرن العشرين : العلاّف دار دمشق ١٩٨٣ ص ١٣ .

السوق فيطلق اسمهم عليه ، أو أنهم تواجدوا فيه بكثرة الى جانب باعة الكتب الأمر الذي دفع بهذه التسمية الى الشيوع على ألسنة الناس وما تزال الى يومنا هـذا • أما المِسْك فهو طيب من دم دابّة كالظبي يدعى (غزال المِسْك) ، والقطعة من المسك تدعى (مِسْكَة) ج مِسَك ومِسْك[٤] •

وتبيّن لي عند زيارتي الميدانية للسوق صيف عـام ١٩٨٩ م أنه ما زال محافظـا على تخصصه القديم ببيع الكتب بأنواعها المختلفة ، الجديدة منها والقديمة ، والمدرسية المستعملة على وجه الخصوص ، وغالبية هذه الكتب ذات مواضيع دينية أو تاريخية أو تراثية أو حكايا الأولين (كسيرة الملك سيف ، والزير سالم ، وقصة عنترة) وغيرها • ومن الغريب أن بعضها كان يحمل عناوين اوردها على سبيل الطرفة : (الكباريت في اخـراج العفاريت ـ اللؤلؤ والمرجان في تسخير ملوك الجان ـ سحر بارنوخ ـ الجواهر اللماعة في استحضار ملوك الجن في الوقت والساعة ـ سحر الكهّان في حضور الجان) وغير ذلك كثير ، وتبيّن لي انها جميعا مطبوعة في القاهرة ، وكانت أمنيتي في تلك اللحظة لو أنها حملت العناوين البديلة التالية : (الليزر والذرة في اكتشاف المجرّة ـ الحاسوب في ضبط العيوب ـ الرادار والقمر في رقيّ البشـر) •

كما تبيّن لي أن عددا من باعة الكتب افتتحوا حوانيت لهم في سـوق باب البريـد المجاور ، وتركز باعة القرطاسية في سوق (شاكر غازي) النافذ من سوق باب البريد الى زقاق ابن أبي عصرون رقم (١) باتجاه الغرب ، أما باعة (المسك) فلم يبق منهم سوى بائع متجول واحد يعرض بضاعته من العطورات ضمن صندوق خشبي ، والى جانب ذلـك ، صارت أعمدة معبـد جوبيتر الضخمة واجهات لعرض الكتب وبعض المنسوجـات والتحف الشـرقية •

وفي سوق المسكيّة مشيّدتان هامّتان هما : الجامع الأموي ، وأعمدة معبد جوبيتر •

---

(٤) معجم المنجد في اللغة والاعلام ـ قسم اللغة كلمة (مسك) •



ما زال سوق الكتبيين قائما في باب البريد منذ العهد المملوكي الى اليوم ، وما زالت أعمدة معبد (جوبيتر الدمشقي) عند سوق المسكية أسنادا للكتب التي يعرضون .

الصورة بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ وهي ملتقطة من النهاية الشرقية لسوق الحميدية باتجاه مدخل سوق المسكية في جهة اليمين منها، وفي اليسار مدخل سوق باب البريد ، وبينهما احد اعمدة المعبد المذكور الضخمة التي يستند اليه باعة الكتب الجديدة والمستعملة على حد سواء .



حانوت للورّاقين والكتبيين في سوق المسكية

(عن المجلة الجغرافية الوطنية الصادرة في امريكا ، عدد شهر كانون الأول عام ١٩٤٦ م) .



مكتبة المدارس ومكتبة محروس وغيرهما من المكتبات التي تواجدت في سوق المسكية عند مطلع الخمسينات وزالت اثر تنظيم المنطقة في بدايات الثمانينات .

(الصورة من مجموعة الصور الراحل جورج درزي) .



الناس في سوق المسكية حركة دائمة لا تتوقف منذ الصباح الى المساء ، وخليط بشري من مواطنين وسوّاح ، ولا عجب فهذا السوق الصغير همزة الوصل بين سوق الحميدية والجامع الأموي ومجاوراته من المناطق الأثرية والتراثية .

(بعدسة المؤلف من الجنوب الى الشمال ، من باب البريد نحو الجامع الأموي ، صيف عام ١٩٨٩ م) .



ـ سوق المسكية من الشرق الى الغرب بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م وفي العمق سوق الحميدية وأعمدة معبد جوبيتر الضخمة ،وحركة سير المشاة التي لا تفتر لحظة واحدة .





الكتبيون أو باعة الكتب في سوق المسكية .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٦ م)

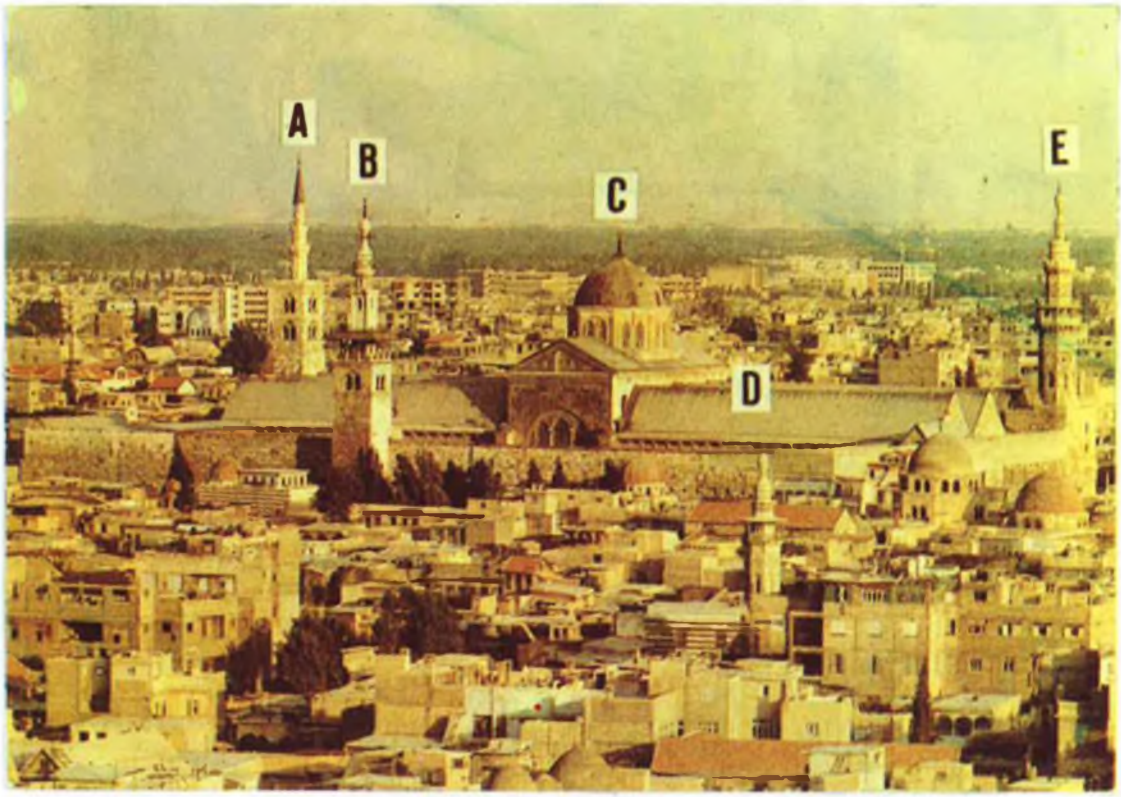


بضاعة المسكّي الوحيد المتبقي في سوق المسكية : حقيبة من الخشب صناعتها متقنة ، وزجاجات تحوي على العطور التالية : مسك ، عنبر ، ماء الورد ، بنفسج ، فلّ ، صندل ، صندل على ورد ، ورد ، ياسمين ، مالونيا ، وغير ذلك من المواد العطرية الأخرى .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٦ م)

الجامع الاموي :

شيد جامع بني أمية الكبير في قلب المدينة القديمة وفي موضع المعبد الآرامي (حدد) الذي يرجع الى مطلع الألف الأول قبل الميلاد ، والذي بني عنده المعبد الروماني للإله (جوبيتر الدمشقي) في القرن الثالث الميلادي ، وبعده شيدت كنيسة القديس (يوحنا المعمدان) المعروف بالنبي يحيى أواخر القرن الرابع الميلادي أيضاً . وقد أمر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بتشييده سنة (٨٦ هـ/٧٠٥ م) واستغرق البناء نحو عشر سنوات فجاء آية في جمال وروعة وعظمة فن العمارة والزخرفة العربية الاسلامية في تلك الحقبة[1] .



(١) للتوسع في الجامع الاموي انظر : الجامع الاموي : علي الطنطاوي ، مطبعة الحكومة بدمشق ، ايضا خطط دمشق .: اكرم حسن العلبي ، دار الطباع ـ دمشق ١٩٨٩ ، ص ٢٨٤ ، ايضا الآثار الاسلامية في مدينة دمشق: ولتسينجر . تعريب قاسم طوير ، دمشق ١٩٨٤ ص ٣٠٦ و ٣٥٠ ، وغير ذلك من المراجع كثير .

بطاقة بريدية للجامـع الأموي يحيطه نسيج المدينة العمراني ، وقـد التقطها أحـد المصورين في الثمانينات من هذا القرن ، من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ، وأضفت اليها الحروف اللاتينية للدلالة على أقسام الجامع وهي :

A ــ مئذنة عيسى (المئذنة الشرقية ويقال لها المئذنة البيضاء أو مئذنة النوفرة لاطلالتها على هذا الحي) .

B ــ مئذنة العروس (المئذنة الشمالية وتعرف بمئذنة الكلاسة نسبة للحي الذي تطل عليه ، وأحياناً المئذنة البيضاء أيضاً) .

C ــ قبّة النسر .

D ــ الحرم (المصلّى) .

E ــ مئذنة قايتباي (المئذنـة الغربية وتسمى أيضاً مئذنة المسكية لاطلالها على سوق المسكية) .



واجهة الحرم المزخرفة بالفسيفساء ، التي تعلوها قبّة النسر

(بعدسة المؤلف من الشمال الى الجنوب صيف عام ١٩٨٩ م)



قبّة الخزنة في المقدمة من الصورة ، وفي العمق منها مئذنة العروس المطلة على حي الكلاسة .

(بعدسة المؤلف من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي صيف عام ١٩٨٩)



قوس النصر وأعمدة الاله الروماني (جو بيتر الدمشـــقي) المشيّد في القرن الثـالث الميلادي وعندها سوق المسكية ، وكان هذا المعبد في السابق موضـغـاً لمعبد الاله الآرامي (حَدَدْ) الذي يعود الى مطلع الألف الأول قبد الميلاد[1] .

(الصورة عن كتاب آثار مدينة دمشق في العهود البيزنطية والرومانية : ولتسينجر ، الذي صدر في برلين عام ١٩٢٤ م ـ النسخة الالمانية) .

---

(١) العمارة العربية الاسلامية : د. عبد القادر الريحاوي . وزارة الثقافة ١٩٧٩ ص ٤٥ .

جادة سوق الحرير

JAHDET SOUK EL - HARIR

هذه الجادة هي سوق ضيق مغطّى بساتر هرمي مجدد من الحديد والتوتياء ، يمتد من الطرف الشرقي لسوق الحميدية عند أعمدة معبد جوبيتر ، الى سوق القلبقجية الآخذ الى سوق الخياطين ، باتجاه شمالي جنوبي متعامد مع سوق الحميدية (أنظر مخطط الأسواق والخانات) •

كانت التسمية القديمة للموقع الذي يتواجد عنده هذا السوق : باب البريد ، وكانت تسمية بدايته من سوق الحميدية : الطّواقين ، بدليل ما أورده المحبّي[١] في ترجمته للوالي العثماني مراد باشا قوله : (ولاه السلطان مراد نيابة دمشق فعمّر بها السوق الذي عند باب البريد وكان يعرف بسوق الطواقية ، شرع في تعميره أواخر سنة ١٠٠٢ هـ/١٥٩٤ م[٢] فهدم الحوانيت القديمة وجدد بناءها ووسع الطريق ورفع السقف وبنى على مربّعة باب البريد قبّة عظيمة عالية ملاصقة للعمودين العظيمين الباقيين عن يمين باب البريد وشماله ، فجاءت قبة حسنة وجاء البناء حسناً محكماً ، وأخذ البيوت التي وراءه وعمرها وكالة حسنة ، وأمر أن يسكن فيه تجار سوق السباهية[٣] فنقلوا اليه برهة حتىمات وأعيدوا الى السوق المعروف بهم الآن ، ثم عمّر الى جانبه سوقاً آخر ونقل اليــه تجار سوق الذراع) • وفي نصّ آخر للمحبّي[٤] عند ترجمته لشوربزة حسن قوله : (وكذلك فعل معه الوزير الأعظم مراد باشا فعمّر له سوق المرادية بباب البريد والخان وسوق الذراع) • وكان الغزّي[٥] أسبق الى الحديث عنه من المحبّي ، لكنه لم يتطرق الى ذكر سوق الطواقيّة ، ويظهر أن هذه التسمية لم تكن تطلق على هذا الموضع من السوق بعد •

نستنتج من هاتين المقولتين أن :

---

(١) خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر : المحبّي . دار صادر ـ بيروت ، ج٤ ص ٣٥٦ .

(٢) انتهى البناء سنة (١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦ ـ ١٥٩٧ م) حسب ما يذكره الغزّي .

(٣) كان سوق السباهية الى الجنوب من قلعة دمشق تجاهها ، وهذا يشير الى وقوعه عند جامع الخرّاطين (المدرسة السيبائية او السباهية كما يلفظها العامة) ومن اسم هذه المدرسة اشتقّ اسمه . انظر : لطف السمر وقطف الثمر للغزّي ج٢ ص ٦٥٢ الحاشية ٤ .

(٤) المصدر السابق : ج٢ ص ٢٥ .

١ ـ سوق المرادية (جادة سوق الحرير الحالية) أنشيء في العهد العثماني في موضع سوق الطواقية ، ولم يكن هذا السوق الأخير في هذا الموضع إبّان العهد المملوكي ، ففي النص الأصلي للغزّي الذي نقل عنه المحبّي لم يرد له ذكر كما أسلفت ، وكانت مصادر العهد المملوكي قد حددت موضعه بشكل دقيق ، اذ ورد عند ابن عبد الهادي[٦] بقوله : (سوق الطواقيين خلف سوق البزوريين من جهة الغرب) كما ذكر ابن طولون[٧] : (وشكى على ابن شاد بك أهل سوق الطواقيين وجقمق بسبب السُكْر) وتشير هاتين المقولتين بشكل واضح الى وقوع سوق الطواقية في الطرف الجنوبي لسوق الخيّاطين الحالي في العهد المملوكي ، ويبدو أنها أنتقلت من ذلك الموقع الى الموضع الذي ذكره المحبّي خلال العهد العثماني ، وفي أيام هذا المؤرخ أو قبيلها بقليل ، بدليل اختفائها عند الغزّي • أو لعل الأمر التبس على المحبّي بين بداية السوق ونهايته فكان الخطأ ، لكن هذا الاحتمال ضعيف ، وانني أرجّح الاحتمال الأول •

٢ ـ منعاً للالتباس الذي وقع فيه البعض أقول : سوق المرادية هو غير خان المرادية رغم أنهما متجاوران وبانيهما واحد هو الوالي العثماني مراد باشا •

٣ ـ ان تسمية (سوق الذراع) التي يطلقها العلاف على سوق المرادية ـ أو جادة سوق الحرير الحالية ـ قد تكون خاطئة بدليل ما جاء في النص أعلاه : (ثم عمّر الى جانبه ـ ويقصد الى جانب سوق المرادية ـ سوقاً آخر ونقل اليه تجار سوق الذراع) • أو أن التسمية وردت على ألسنة الناس في الفترة التي كتب عنها هذا المؤلف عند مطلع القرن العشرين •

وكان العلاف[٨] في سياق تعداده لأسواق دمشق الكبيرة ، قد حدد موضع سوق الذراع ووصفه بقوله :

(يمتد من سوق الحميدية حتى ينتهي بسوق العبجية من سوق مدحت باشا ، ويتفرّع منه : سوق القاشاني ، والقباقبية وهو مغطى أيضاً بسقف في جميع تفرعاته ، وتكثر فيه

(٥) لطف السمر وقطف الثمر : الغزّي تحقيق محمود الشيخ . وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٨١ ، ج١ ، ص ٣٩٨ و ج٢ ص ٦٥٣ .

(٦) رسالة نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق : يوسف بن عبد الهادي . الخزانة الشرقية ، مجلة المشرق ، العدد ٣٧ لسنة ١٩٣٩ ، السوق رقم ٢٢ .

(٧) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان : ابن طولون . القاهرة ١٩٦٢ ، ج١ ص ٤١ .

(٨) دمشق في مطلع القرن العشرين : العلاف . دار دمشق، دمشق ١٩٨٣ ، ص ١٣ ـ ١٤ .

المخازن الكبرى وتباع فيه لوازم نسائية من أمتعة وخيطان وعطورات ولوازم الخياطة ولباس الأفراح النسائية) . ومثل هذا الوصف لا ينطبق حالياً الا على جادة سوق الحرير ، ومرة أخرى يخطيء العلاف عند ذكره لسوق القباقبية ، اذ أن هذا الأخير يتفرّع عن سوق القوّافين بعيداً عن سوق الذراع الذي يقصده ، ولعل تقارب اللفظين : (القباقبية والقوافين) أديا الى هذا الخطأ اللفظي .

ومن التسميات التي أطلقت على جادة سوق الحرير ، تسمية (سوق الحرير) الواردة في خريطة البلدية التي وضعتها بلدية دمشق خلال السنوات (١٩٢١ ــ ١٩٢٤ م) ، ومنها أيضاً (سوق القيشاني) التي وردت في خارطة شرطة دمشق الموضوعة خلال الأعوام (١٩٢٢ ــ١٩٢٤ م) نسبة لحمّام القيشاني الذي يفتح في هذه الجادة ، كما يطلق البعض عليها اسم (باب البريد) والبعض الآخر (القلبقجية) علماً بأن هذه التسمية الأخيرة تطلق على امتدادها الجنوبي بين سوق الحرير وزقاق بين البحرتين (أنظر مرّة أخرى مخطط الأسواق والخانات) .

غير أن التسمية الطريفة التي يطلقها الناس على جادة سوق الحرير هي : (سوق تفضّلي يا ستّ) كناية عن الحاح الباعة المتوقفين أمام حوانيتهم على دعوة كل سيدة تمر في هذه الجادة للدخول اليها علّهم يغرونها بالشراء ، ولم تكن هذه الدعوة مقتصرة على العنصر النسائي فقط ، بل تعدّته اليّ ، وظل البائع يسير بجانبي محاولا إغرائي (بالتفرّج) على بضائعه حتى خرجت من الجادة ، والمضحك بالأمر أنه كان يحدثني بكل لغات الأرض التي يحفظ منها (المكسرات من الجمل) الا العربية ، اذ لم يخطر بباله أنني عربي ، ومثل هذا الأمر تكرر معي في غالبية الأسواق المجاورة .

وقد لاحظت أن هذا السوق غير تخصصي ، شأنه شأن الأسواق المحيطة به ، ففيه تباع أنواع الأقمشة المختلفة والملبوسات النسائية بصورة خاصة (كالعبي والجلابيات) وما شابه، الى جانب النوفوتيه وأدوات الزينة النسائية والشالات وغير ذلك من البضائع .

من الخانات التي أصبحت أسواقاً في جادة سوق الحرير وفيها تفتح : خان المرادية ، وخان قطنا ، وخان الجمرك الذي تحولت تسميته حديثاً الى (سوق الجمرك) ، وخان الحرمين ، ثم حمّام القيشاني وصارت تسميته (سوق القيشاني) ، وأخيراً خان الزعفرنجية الذي تسميه خارطة شرطة دمشق : خان القهوجي ، ولم أجد لهذه التسمية أي ذكر في المصادر التي تتحدث عن خانات مدينة دمشق في مختلف العهود .



جادّة سوق الحرير من الجنوب الى الشمال باتجـاه سوق الحميديـة

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)



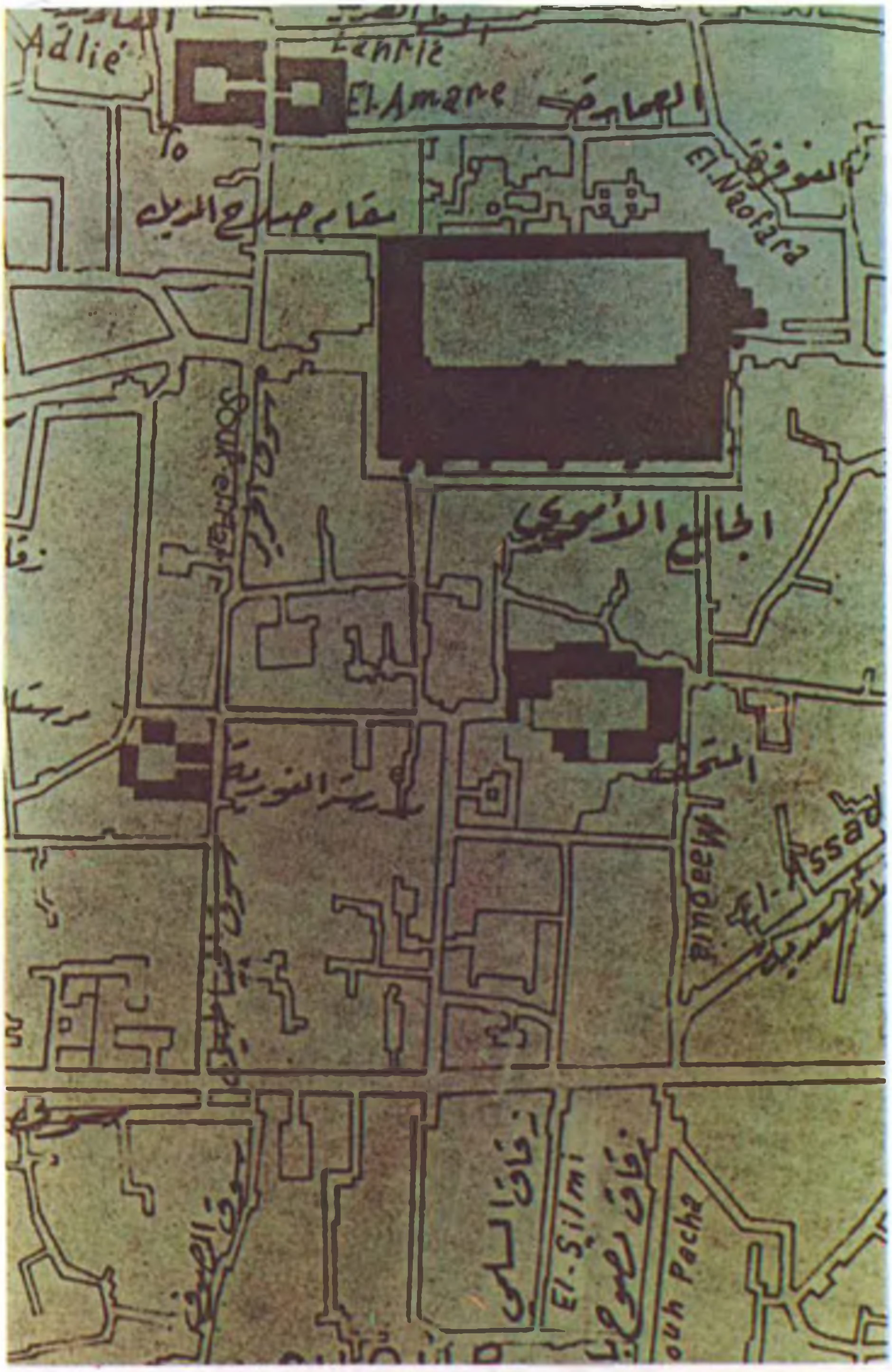
بداية جادّة سوق الحرير عنـد سوق الحميدية ، من الشـمال الى الجنـوب

(بعدسة المؤلف اواخر السبعينات من هذا القرن العشرين)

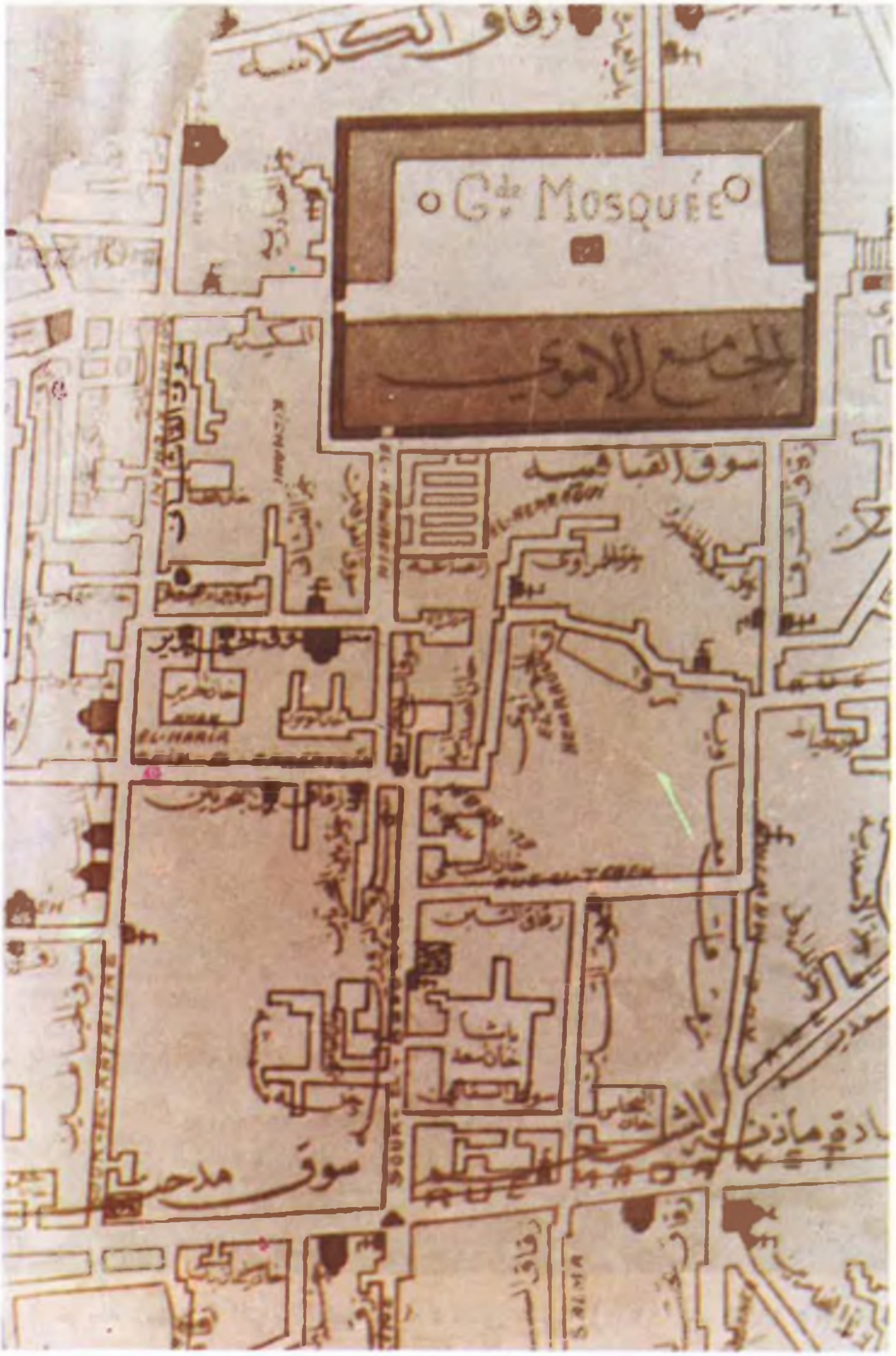


ورود الشعر الاصطناعية الملونة والحلي التزيينية التي تباع عند البداية الشمالية لجادة سوق الحرير من جهة سوق الحميدية .

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)



جزء من (خريطة دمشق) التي نظمتها بلدية دمشق سنة (١٩٢١ – ١٩٢٤ م) تحت ادارة المسيو فيبر مدير هندسة البلدية ابّان الاحتلال الفرنسي لسورية ويبدو فيها اختلاف التسميات بينها وبين خارطة دمشق الصادرة في نفس الحقبة ، فهي تسمي جادة سوق الحرير الحالية (سوق الحرير) في حين تسميه خارطة الشرطة (سوق القاشاني) وتطلق اسم (سوق الحرير) على السوق الحالي بينما تهمله الأولى كما أن هناك فروقات في تخطيط الحارات بين هاتين الخارطتين • وهنا أود الاشارة الى كلمة (المتحف) الواردة في هذه الخريطة وهي تدل على قصر العظم الحالي اذ كان المتحف في تلك الحقبة في المدرسة العادلية الكبرى وليس في هذا الموضع •



جزء من خارطة شرطة دمشق الموضوعة خلال السنوات (١٩٢٢ ـ ١٩٢٤ م) وتتميز بتفاصيل أكثر دقة من سابقتها خريطة دمشق ، كما أنها تذكر تسميات المواقع والحارات بشكل مفصل الأمر المفقود في الخارطة الأخرى ، والشيء الملفت للنظر أنها أهملت الاشارة كلياً الى قصر العظم رغم أنه كان مقراً للمعهد الفرنسي في ذلك العهد .

خان المرادية (البَزْستان) (١) :

من خانات العهد العثماني في جادة سوق الحرير ، شيّده الوالي مراد باشا سنة (١٠٠٢ هـ/١٥٩٣ م) وانتهى البناء سنة (١٠٠٥ هـ/١٥٩٦ م) ومن المحتمل أن تسميته نسبت الى هذا الوالي(٢) ، أما كلمة بَزْستان فهي فارسية الأصل وتعني (سوق البَزْ) أي القماش ، الأمر الذي يشير الى كون هذا الخان سوقاً للقماش ربما منذ انشائه ، أو لعله صار سوقاً بعد أن تخلّى عن وظيفته كخان .

يفتح خان المرادية في جادة سوق الحرير بمدخلين من جهة الشرق ، وفي السليمانية بجوار سوق الجمرك من جهة الغرب ، كما يفتح أيضاً في سوق الحميدية من جهة الشمال، وتعلوه قبّة جددت ربما في بدايات القرن العشرين اذ تظهر الصورة التي التقطها (بونفيس) لهذا الخان بين الأعوام (١٨٦٧ ــ ١٨٩٥ م) وجود قبّة تغاير في شكلها القبّة الحالية (أنظر كتابنا : دمشق تاريخ وصور ص ٢٣٧) .

الخان بحالته الراهنة سوق تجاري تشغله محال بيع الملبوسات النسائية والمطرّزات والأصواف وغيرها .

---

(١) البزستان : تحريف لفظي للكلمة التركية (بدستان) التي تحمل معنيين ، أولهما سوق البضائع الثمينة المغطى، وثانيهما سوق المقصّبات والمطرّزات . أنظر قاموس (كتاب معاني لهجة) لرد حاوس مكتبة لبنان بيروت ١٩٨٧ ص ٣٤٧ .

(٢) جرد أثري لخانات دمشق : د. فؤاد يحتى . الحوليات الأثرية مجلد ٣١ / ١٩٨١ ص ٩٣ .



مدخل خان المراديّة من جادّة سوق الحرير

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)



تكـّون فساتين السهرة والمناسبات المطـّرزة جزءا أساسيا من معروضات خان المرادية ،

(بعدسة المؤلف عــام ١٩٨٩ م)



القبّة الغريبة القائمة على قاعدة مربّعة والمجددة ربما في بدايات هذا القـرن ، تغطّي الفسحة الداخلية الواسعة لخان المرادية الذي تشغل طابقيه المحالّ التجارية وورشات التطريز وما شابه .

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)



خـان قطنـا :

من خانات العهد العثماني المبكّرة في جادة سوق الحرير ، شيّده موسى بن القطّـان بجوار خان المرادية حسب ما جاء في رقفية مراد باشا ، وأطلقت تسميته نسبة لقربه من منزل الشيخ قطنا ولا تتوفر لدينا معلومات تحدد تاريخ بنائه غير ما ذكـرت ، وهو يدعى أيضـا (قيسارية ابن القطّان) وكذلك (خان الصابون[1]) وتسميه خارطةشرطة دمشق خطأ (خان الجوار) علماً بأن هذه التسـمية هي لخان الحرمين الواقع قبالته .

الخان في حالته الراهنة سوق للملبوسات النسائية الحريرية والمطرّزة وكل ما يقع تحت هذا التصنيف من أنواع مشابهه .

الفسحة السماوية الصغيرة لخان قطنا تشغلها متاجر الملبوسات النسائية وأقمشة الكريتون وما شابه .

(بعدسة المؤلف من الشرق الى الغرب صيف عام ١٩٨٩ م)

---

(١) جرد أثري لخانات دمشق : د. فؤاد يحيى . الحوليات الأثرية مجلد ٢١ ، ١٩٨١ ، ص ٩٢ .



مدخل خان قطنا من الغرب الى الشرق ، من فتحته السماوية باتجاه سوق الحرير ، وفيه تعرض الألبسة النسائية كالجلابيات وفساتين الرقص ووجوه المفارش والبرادي والأقمشة والسلك ، وعند المدخل دكان صغير لبيع المرطّبات والقهوة والشاي .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)

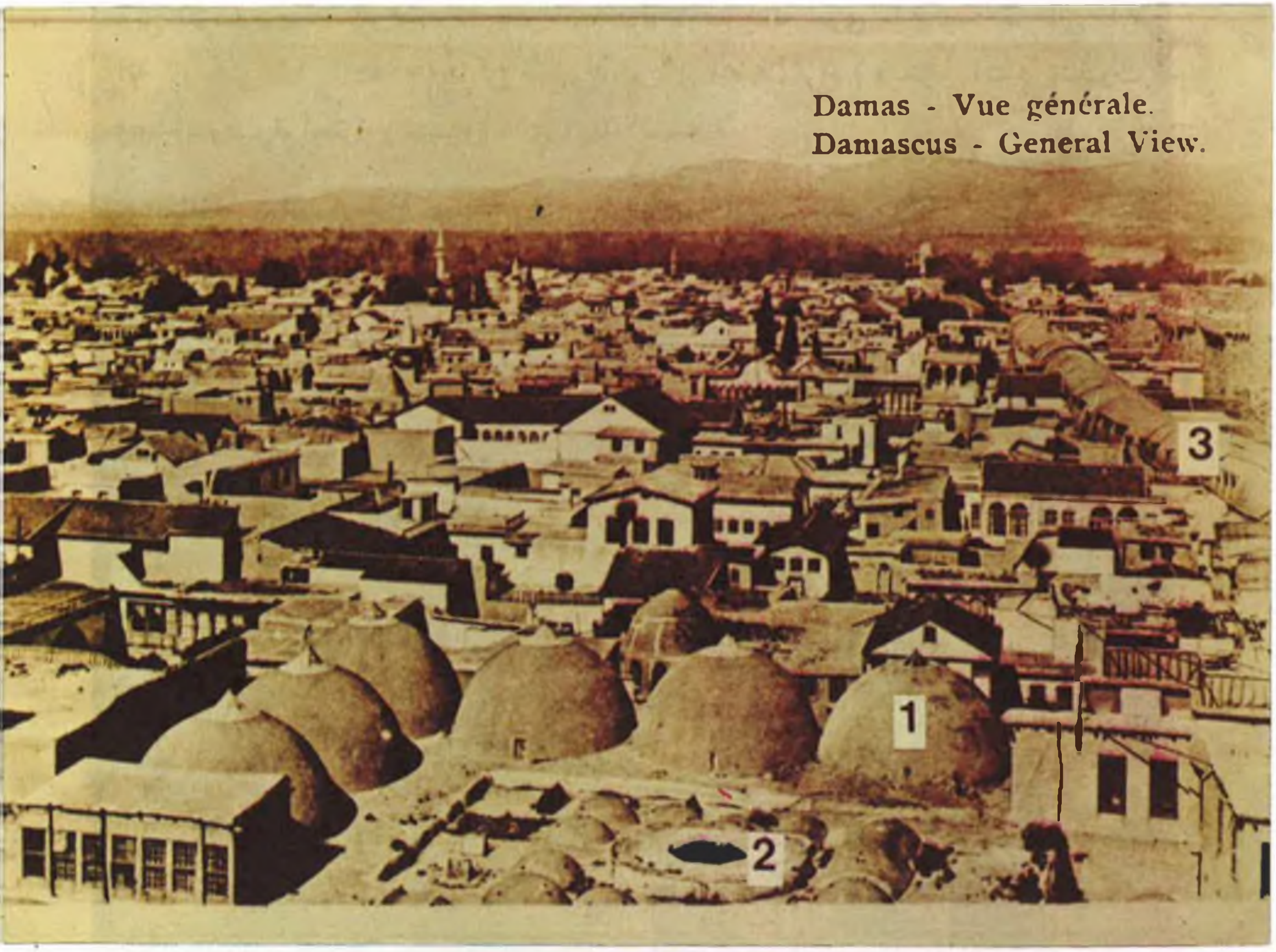
خان الجمرك

يعرف هذا الخان حاليا باسم (سوق الجمرك) وهو فريد بهندسته المعمارية اذ يمتد على شكل زاوية قائمة من دخلة السليمانية باتجاه الجنوب الى جادة سوق الحرير باتجاه الشرق ؛ ومن المؤسف أن لا تتوفر لدينا معلومات حول تاريخ بنائه سوى ما ذكره القساطلي[1] من أنه كان حتى عام (١٨٦٤م) مركزا للجمرك ثم نقل منه فاشتراه (ديمتري أفندي شلهوب) وعمله سوقا ، ثم اشتراه (شمعايا أفندي) بعد ذلك •

والخان بحالته الراهنة سوق تخصصي بالأقمشة الحريرية والبروكار وما شابه من هذه الأصناف •

---

(١) الروضة الغناء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي . دار الرائد العربي ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ١١٠.



النسيج العمراني لمحلّة الحريقة (سيدي عامود) من الشرق الى الغرب حوالي بدايات القرن العشرين حيث تبدو المشيدات التالية :

1 ـــ قباب خان الجمرك .

2 ـــ خان قطنـا .

3 ـــ سوق الحميدية .



مدخل سوق الجمرك من جادّة سوق الحرير ، من الشرق الى الغرب ، بعد أن زوّد سقفه بالمراوح الكهربائية أواخر الثمانينات من هذا القرن لتعديل درجات الحرارة المرتفعة في أشهر الصيف .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



مدخل سوق الجمرك من جهة السليمانية

من الشمال الى الجنوب .

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٤ م)



من المنسوجات الحريرية المعروضة في سوق الجمرك بشكل جميل ملفت للنظر .

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

خـان الزعفرنجية :

من خانات العهد العثماني وتاريخ بنائه مجهول اذ لم يذكره أحـد قبل القساطلي ، وهـو يفتح في جادّة سوق الحرير الى الجنوب من خان قطنا قبالـة سوق القيشاني ، وباحته محاطة برواق قائم على عضائض وأقواس حجرية [1] ويذكر د. فؤاد يحيى أنه من الممكن أن يكون بانيه هو (أحمد آغا الزعفرنجي) آغا الانكشارية ، أو أحد الباشات واسمه زعفرنجي [2] ، والخان في حالته الحاضرة عبارة عن مستودعات ومتاجر للأقمشة والملبوسـات النسائيـة ولوازمهـا •

أما خارطة شرطة دمشق الصادرة خلال الاعوام ١٩٢٢ ــ ١٩٢٤م فلديها تسمية مغايرة هي (خان القهوجي) ولم أجد لهذا الاسم ذكر في المصادر المختلفة التي تتحدث عنها الخانات •



مدخل خان الزعفرنجية من الغرب الى الشرق وفي العمق من الصورة جادّة سوق الحرير •

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

(١) خانات مدينة دمشق : د. عبد القادر الريحاوي . الحوليات الاثريـة مجلد ٢٥ ، ١٩٧٥ ، ص ٦٣ .
(٢) جرد اثري لخانات مدينة دمشق : د. فؤاد يحيى . الحوليات الأثرية ، مجلد ٣١ ، ١٩٨١ ، ص ٩٧ .



الجزء الشرقي لخان الزعفرنجية بطابقيه من فسحته السماوية ، والملاحظ هنـا أن الطابق العلوي مجدّد بألواح من التوتياء المدّعمة بسنادات من الخشب أو الحديد ، بينما بقيت أقواس الطابق الأرضي دون تعديل •

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

خان الحرمين (خان الجوار) :

يقع هذا الخان في الجانب الشرقي لجادة سوق الحرير قبالة خان قطنا ، ذكره البديري الحلاق[١] مما يشير الى تواجده في منتصف القرن الثامن عشر للميلاد وربما قبل ذلك ، ومن المعتقد بأنه جدد في القرن التاسع عشر[٢] . تسميه خارطة شرطة دمشق الصادرة بين الأعوام ١٩٢٢ – ١٩٢٤م (خان قطنا) وهي تسمية خاطئة لأن هذا الاخير يقع قبالته في الجانب الغربي للجادة . أما تسميته بخان الجوار فنسبة الى الجواري أو العبيد التي كانت تباع فيه ، وكانت تطلق قبل ذلك على خان الدكة الكائن في سوق مدحت باشا الى أن تخلى هذا الأخير عن هذه التجارة فانتقلت الى خان الحرمين .

وتشغل حاليا طابقي الخان محال لبيع الأقمشة والملبوسات وأصناف الدامسكو والبروكار والأغباني الى جانب الشراشف والمناشف والبرانص وما شابه .



متاجر الواجهة الداخلية الشرقية لخان الحرمين المطلة على فسحته السماوية من الغرب الى الشرق .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩م)

---

(١) حوادث دمشق اليومية : البديري الحلاق . القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١٧٦ .

(٢) خانات مدينة دمشق : د. عبد القادر الريحاوي . الحوليات الاثرية ، مديرية الآثار والمتاحف ، مجلد ٢٥ ، ١٩٧٥ ، ص ٦٣ .



الطابق الثاني لخان الحرمين تشغله متاجر للمطرزات ومطبعة ومستودعات .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



بعض نوافذ الطابق الأرضي لخان الحرمين المدعّمة بالقضبان الحديدية المزخرفة تحيطها المداميك الحجرية المتناوبة والمجددة منذ عهد قريب .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)

حمّام القيشاني :

شيّده الوالي درويش باشا في العهد العثماني ابّان ولايته التي امتدّت بين السنوات (٩٧٩ هـ / ١٥٧١ م) و (٩٨٢ هـ / ١٥٧٤ م) [١] ، وقد استمر هذا الحمّام في عمله حتى أبطل سنة (١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م) وتجدد بمكانه سوق فاق على الأسواق جميعا حتى لم يرخّص بدخول الحيوانات اليه ولا مرورها منه لكونه مفروشاً بالرخام والمرمر وبنصف بركة ماء من ألطف مصنوعات المرمر [٢] ، وقد أطلقت تسميته نسبة الى البلاط القيشاني (القاشاني) الذي كان يكسو جدرانه .

يتألف حمّام القيشاني المسمى في الوقت الحاضر (سوق القيشاني) من باحة محاطة بطابقين تعلوهما قبّة محمولة على أقواس مزخرفة بالرسوم التزيينية ، أما البلاط القاشاني فلم أشاهد منه عند زيارتي الميدانية للمكان عام ١٩٨٩ الا نذرا يسيرا ، ويعرف الطابق العلوي باسم (سوق القيشاني الفوقاني) حسب ما كتب على اللافتة المعلّقة عنده وتباع فيه المطرّزات بصورة خاصّة الى جانب أثواب العرائس ، أما الطابق الارضي فتشغله متاجر مشابهة في تخصصها لمتاجر الطابق العلوي .

يفتح سوق حمّام القيشاني من جهة الغرب في جادة سوق الحرير ، بينما يفتح مدخله الشرقي في دخلة الأميم (والأميم لفظة عامّية صوابها : الإقميم) التي تسمّيها خارطة شرطة دمشق (دخلة القيشاني) .

---

(١) ولاة دمشق في العهد العثماني (قسم الباشاوات والقضاة في دمشق لمحمد بن جمعة المقار) تحقيق د. صلاح الدين المنجد ص ١٦ ، ص ١٧ وحاشيتها رقم ١ .

(٢) الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية : عز الدين عربي كاتبي العسيادي ص ٣٥ .



مدخل ســوق القيشاني كما كتب على اللوحــة المعدنية الزرقاء المعلّقة تحت الباب والعائدة للنصف الأول من هذا القرن وفي العمق منها اللافتة التي تحمل عبارة (سوق القيشاني الفوقاني) .



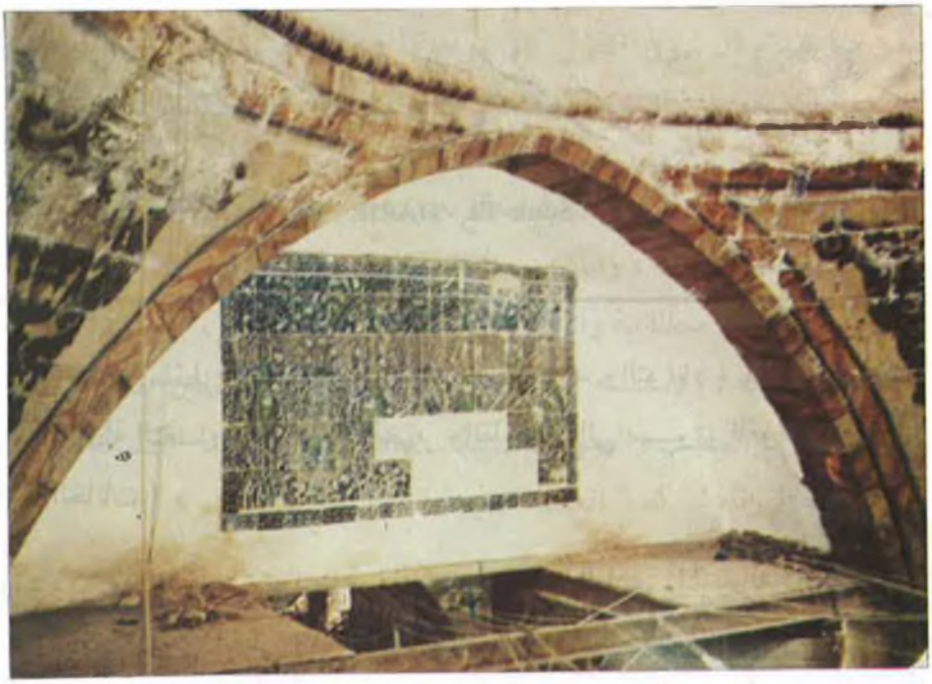
سوق حمّام القيشاني من الشرق الى الغرب
وفي عمق الصورة جادة سوق الحرير

(بعدسة المؤلف عــام ١٩٨٩ م)



سوق حمّام القيشاني من الغرب الى الشرق
وفي عمــق الصــورة دخلــة الأمّيــم

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)





ما تبقّى من البلاط القاشاني الذي كان يملأ جـدران الحمّام تحيطه الأقواس المزخرفة بالرسـوم التزيينية ، وتتجـه النيّة حاليا أن تقوم السلطات المختصّة بأعادة ترميمه لارجاعه الى حالته السـابقة .

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

سوق الحرير

Souk EL - HARIR

سوق ضيّق مغطّى بساتر هرمي مجدد من الحديد والتوتياء ، يمتد من الغرب الى الشرق ، من نقطة التقاء جادة سوق الحرير والقلبقجية الى سوق القوافين (أنظر مخطط الأسواق والخانات) .

ورد ذكر هذا السوق وتحديد موقعه عند ابن عبد الهادي [١] بقوله : (سوق الحرير عند باب الجامع الأموي القبلي ويباع فيه الحرير) وهذا التحديد يوحي بوقوع السوق في منطقة سوق القوافين الحالية في الفترة التي كتب فيها المؤرخ رسالته عن أسواق العهد المملوكي (حوالي ٨٨٣ هـ / ١٤٧٨ م) ، غير أن ابن طولون [٢] ذكر وقوع (سوق الحريرية) عند مربع باب الجابية مما يشير الى تواجده في غير الموضع الذي ذكره ابن عبد الهادي .

ثم يأتي القساطلي [٣] في العهد العثماني فيذكر اسم السوق دون تحديد لموضعه فيقول : (سوق الحرير وكان يقيم فيها باعة الحرير وأما الآن ففيها عملة الكنادر وباعة المانيفاتورة) . وتنهي الاشكال خارطة شرطة دمشق الصادرة خلال الأعوام (١٩٢٢ ــ ١٩٢٤ م) عندما تحدد هذا الموقع في نفس المكان الذي يشغله حاليا .

وكان ولتسينجر [٤] قد ذكره بقوله : (سوق الحرير ويباع فيه أنواع الفراء ، كما تباع القباقيب في قسمه الشرقي) غير أنه أخطأ عندما عيّن موقعه على الخارطة الملحقة بكتابه مكان زقاق بين البحرتين . كذلك أشار الى خان الحرير المتواجد فيه وقال : (حاليا سوق الفرو) . وقبل ذلك ذكر القاسمي [٥] هذا السوق وفيه خان الفرو عند حديثه عن صنعه (الفرّاء) .

---

(١) رسالة نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق : يوسف عبد الهادي ، نشرها حبيب الزيات في الخزانة الشرقية من مجلة المشرق ، العدد ٣٧ / ١٩٣٩ ، السوق رقم ٤ .

(٢) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان : ابن طولون ج١ ص ١٥٦ .

(٣) الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي ص ٩٨ .

(٤) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر تعريب قاسم طوير . دمشق ١٩٨٤ ، ص ١٤١ رقم ٦ ــ ص ١٤٣ ــ رقم ١٣ .

(٥) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس ١٩٨٨ ، ص ٣٣٩ .

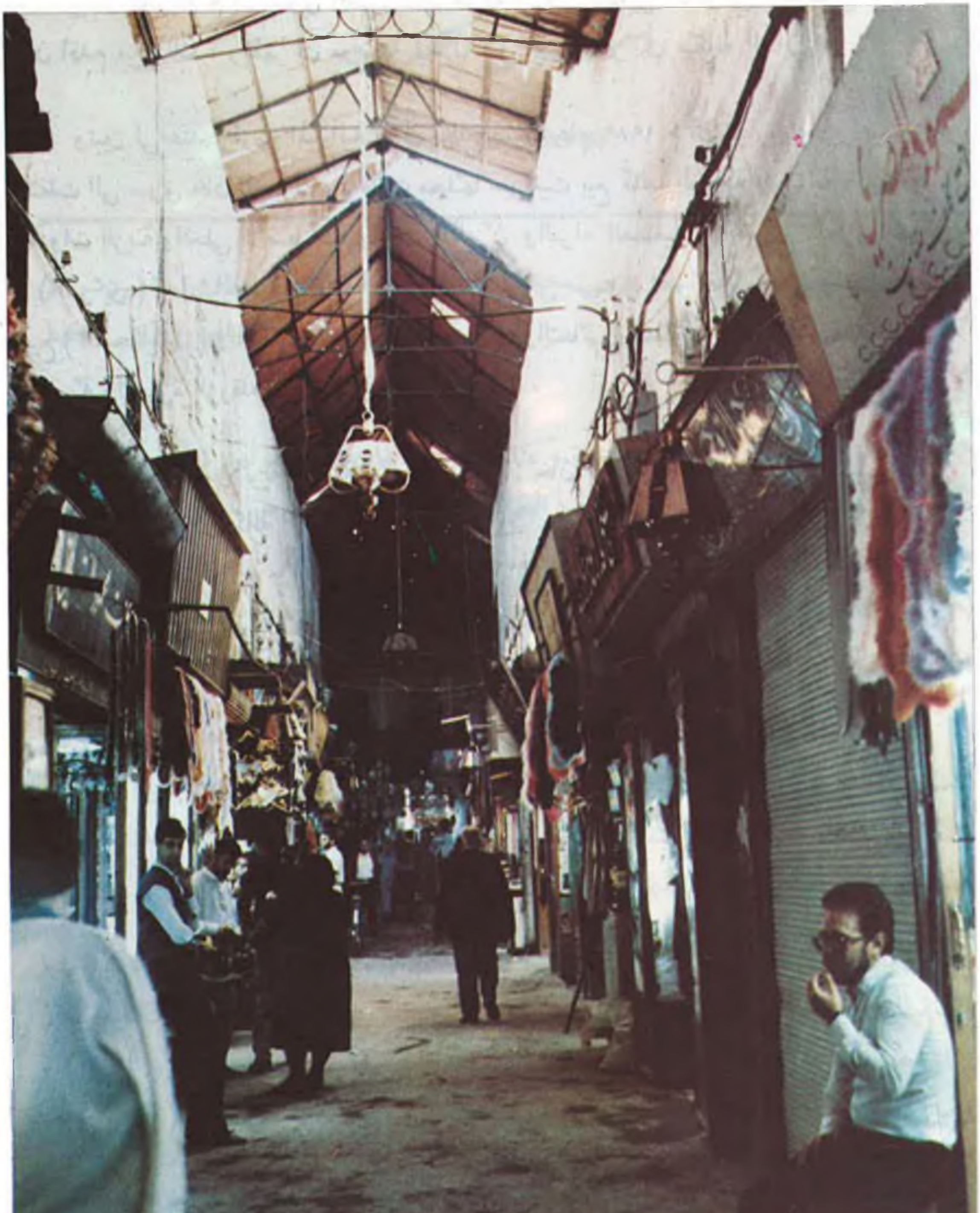
يبدو مما تقدّم أن سوق الحرير كان موجوداً في العهدين المملوكي والعثماني ، وربما كان أقدم من ذلك ، ويظهر أن موضعه تبدّل قبل أن يستقرّ في مكانه الحالي .

وتبين لي عند زيارتي الميدانية له في مطلع صيف عام ١٩٨٩ م أن تجارة الحرير فيه قد انتقلت الى سوق خان الجمرك ، وحلّت محلّها حوانيت بيع كلف الخياطة النسائية ولوازمها ، وأدوات الزينة والحلي الاصطناعية والريش الملوّن والفراء الصنعية ، وأنواع الخرز الملوّن و (البرّيق) وما شابه ، وفي قسمه الشرقي الآخذ الى سوق القوّافين بضع حوانيت متبقية لبيع (الشحّاطات) والقباقيب والعطور الشعبية ، والتمائم والتعاويذ السائدة عند العامّة كالشبّة والخرزة الزرقاء ثم كفّ الحاسد وغيرهما .

من المشيّدات الأثرية المتبقية في هذا السوق : خان الحرير ، والمدرسة الأمينية التي تحولت الى متاجر ووكالة (٦) .

---

(٦) للتوسع في المدرسة الأمينية انظر (خطط دمشق) : اكرم حسن العلبي . دار الطبّاع ، دمشق ١٩٨٩ ، ص ١٠٤ .



سوق الحرير من الشرق الى الغرب وفي العمق من الصورة جادة سوق الحرير وسوق القلبقجية

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)



الشّحاطات والقباقيب وما شابه من الأحذية المنزلية التي تباع في بضع حوانيت متبقية في آخر سوق الحرير من جهة الشرق عند التقائه مع سوق القوّافين •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



الفرو الاصطناعي الملوّن في سوق الحرير •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩)



تعويذة الكفّ وعبارة (ما شاء الله) التي تباع في النهاية الشرقية لسوق الحرير .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩)

تعتبر أصابع الكفّ المفتوحة من التمائم او التعاويذ التي يؤمن بتأثيرها الدمشقيون ، فيعلقونها فوق البيت ، وهي تصنع عادة من المعدن (نحاس مسكوب) لتقاوم الاهتـراء ؛ وتنقش في وسطها عبارات (ما شاء الله) او (عين الحاسد تبلى بالعمى) أو (الحسود لا يسود) الخ ، كما يستعمل الكفّ المفتوح او الملوّث بدم الضحية (الخروف عادة) لطباعة شكله على مدخل البيت أو السيارة الجديدين درءا للحسد والأذى ، كما جرت العادة أن يوزع اللحم على الفقراء والمحتاجين مجانا ولا يجوز عرفا ان يأكل منه صاحب الضحية ولا أهله .



تعويذة (الشبّه والخرزة الزرقا والكف" الأزرق) التي تبـاع عند النهايـة الشرقية لسوق الحرير •

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٧٦ م)

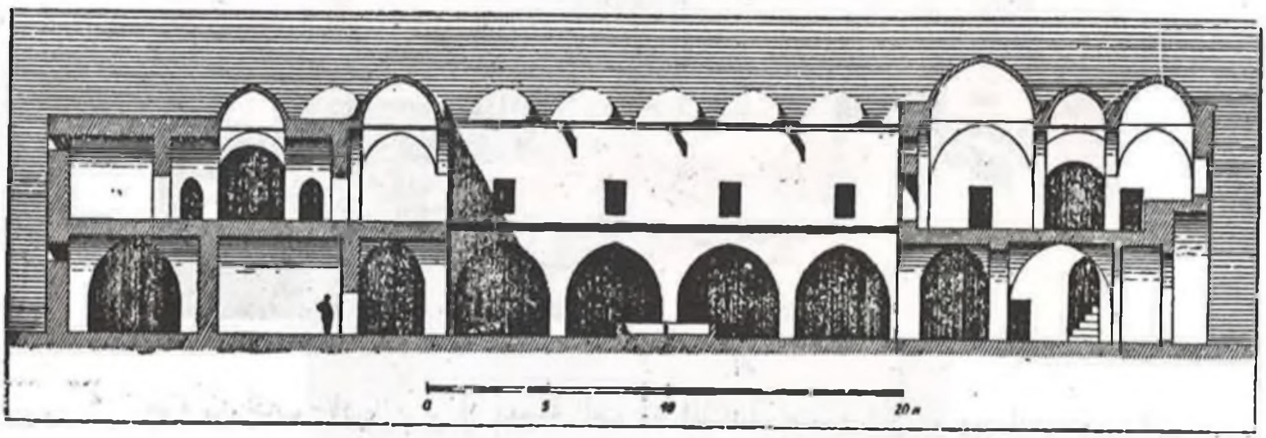
من التعاويذ (التمائم) التي يعتقد بها الناس في مدينة دمشق تعويذة (الشبّه والخرزة الزرقا والكفّ الأزرق) التي يعلقونها فوق كتف المولود أو الطفل حماية له من العين الشريرة (العين الصائبة) أو (عين الحسود) خصوصاً العين الزرقاء منها والتي يؤكدون بأنها ترسل سيالة (كهرطيسية) تؤدي الى الأذى والضرر ، وفي الحالات القصوى الى وفاة هذا المولود أو الطفل ، ومن لون هذه العين جاء الاعتقاد السائد بأن اللون الأزرق يدفع أذى العين الزرقاء من منطلق الحكمة القائلة (لا يفل الحديد الا الحديد) .

تنوعت أشكال هذه التميمة رغم انها لغرض واحد ، فمنها قطعة (الشبّه) التي يستعملها الحلاقون عادة لقطع النزف من ذقن الزبون اثناء (قشّ ذقنه) ، وهي مادة مقبّضة وكاوية للنسيج ، ومن هنا كان الاعتقاد بأنها (تكوي عين الحسود) ، ومنها (الخرزة الزرقا) التي تخرز تلك العين او تقلعها فتمنع أذاها اضافة للونها الازرق الذي نوهت عن تأثيره قبل قليل ، ثم هناك (الكفّ الازرق) والكفّ هو وسيلة الدفاع الغريزية عند الانسان لصدّ الاعتداء خصوصا عندما يدفع نحو الامام وأصابعه مفتوحة ، وتعرف هذه الحركة على السنة الناس باسم (خمسة وخميسة) نسبة نعدد الاصابع ، كما تعرف (بالتلبيع) .

لم تبق هذه التمائم محصورة بالاطفال فقط ، بل وصل الامر الى حد تعليقها حول اعناق (الدواب) ، ومع تطور واسطة الركوب من دابّة الى سيارة ، صار البعض يعلقونها تحت مرآة السائق ، علها تحميهم ووسائطهم من الحسد والأحداث .

خان الحرير:

يقع هذا الخان في منتصف سوق الحرير على يمين الداخل اليه من جادة سوق الحرير ، شيّده والي دمشق درويش باشا سنة (٩٨١ هـ/١٥٧٣ م) وجعله وقفاً على جامعه المعروف في الدرويشية (جامع درويش باشا) وكان في الأصل يعرف باسم (قيسارية درويش باشا) وهي تسمية تعني السوق المغطّى والمغلق ، ثم اطلقت عليه فيما بعد تسمية (خان الحرير)[١] ، وتشغل طابقيه في الوقت الحاضر مستودعات وورشات ومتاجر .



مقطع لخان الحرير يلي محور المدخل ، ويبدو في وسطه قسم من الواجهة الداخلية . (عن كتاب الأوابد التاريخية في دمشق لجان سوفاجية) .

---

(١) ـ خانات مدينة دمشق : د. عبد القادر الريحاوي الحوليات الاثرية مجلد ٢٥ ، ١٩٧٥ ص ٦١ ، ايضا (جرد اولي لخانات دمشق) : د. فؤاد يحيى الحوليات الاثرية مجلد ٣١ ، ١٩٨١ ص ٩١ .



جزء من قباب خان الحرير في مقدمة الصورة الملتقطة بعدسة المؤلف من الجنـوب الى الشمال عام ١٩٨٩ م ، وفي العمق منها جامع بني امية الكبير .



رواق الطابق الثاني في خان الحرير الذي تشغله حاليا متاجر ومستودعات وورشات •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩)

دخلة الأمّيم

DAKHLET EL - AMMIM (Lane)

هذه الدخلة سوق صغير مغطّى بساتر مسطّح حديث، يمتد من الجنوب الى الشمال، ويتعامد مع سوق الحرير الذي يفتح فيه ، كما يفتح في سـوق القوّافين قبالـة الزاوية الجنوبية الغربية للجامع الأموي (أنظر مخطط الأسواق والخانات) •

ورد ذكر هذا السوق في خارطة شرطة دمشق الصادرة بين الأعوام (١٩٢٢ ـ ١٩٢٤ م) باسم (دخلة القيشاني) بينما يطلق عليه بعض أهل السوق اسم (دخلة القوّافين) وغالبيتهم يسمونه (دخلة الأميم) وهو خطأ شائع صوابه (الإقميم)[١] •

وتبين لي عند زيارتي الميدانية له صيف عام ١٩٨٩ م أنه سـوق تخصصي بملبوسـات العرائس كفساتين العرس والتيجان التي تكلّل رأس العروس ويطلق عليها المسنّون اسـم (ضنُوك) وهي تسمية تركية الأصل ، الى جانب بعض الملبوسات الأخرى ، وعند نهاية هذا السوق الآخذة الى القوّافين ينتشر باعة الأحذية الشعبية كالشحّاطات والكنادر وما شابه •

(١) ـ انظر خطط دمشق : اكرم حسن العلبي دار الطباع دمشق ، ١٩٨٩ ، ص ٤٤٠ .



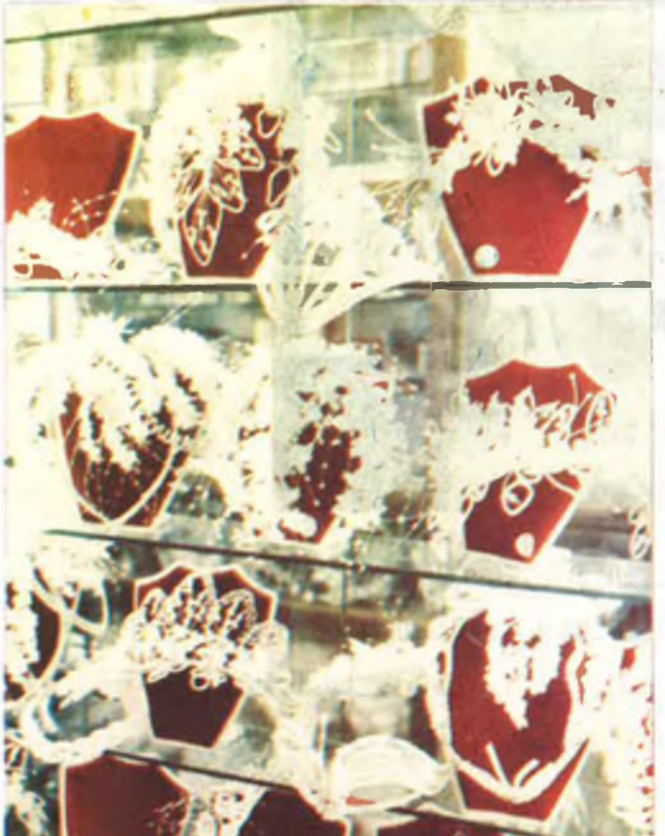
دخلــة الأمّيم من الجنــوب الى الشمال ، من سوق الحرير نحــو النهاية المسدودة للدخلة ، ويلاحظ الساتر التوتيائي المسطّح وعوارضه المعدنية الحاملــة واضاءة النيــون المنتشرة فيه خلافاً لبقية الأسواق المغطّاة بسقوف هرمية أو منحنية.

(بعدسة المؤلف عــام ١٩٨٩ م)



دخلة الأسيم من الشمال الى الجنوب وفي العمق سوق الحرير .

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)



التيجان أو الأكاليل التي تزين بها العروس رأسها ليلة العرس والتي ما يزال المسنون يطلقون عليها التسمية التركية (ضُوك) وتصنع عـادة من قمـاش الأورغانزا أو التـول ، وتزخرف بالمـاس أو اللؤلؤ الصنعيين على شكل تزينات نباتية ، وهي تباع في دخلة الأسيم على وجه الخصوص.

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)

سوق القلبقجية

Souk EL - QALBAQJIAH

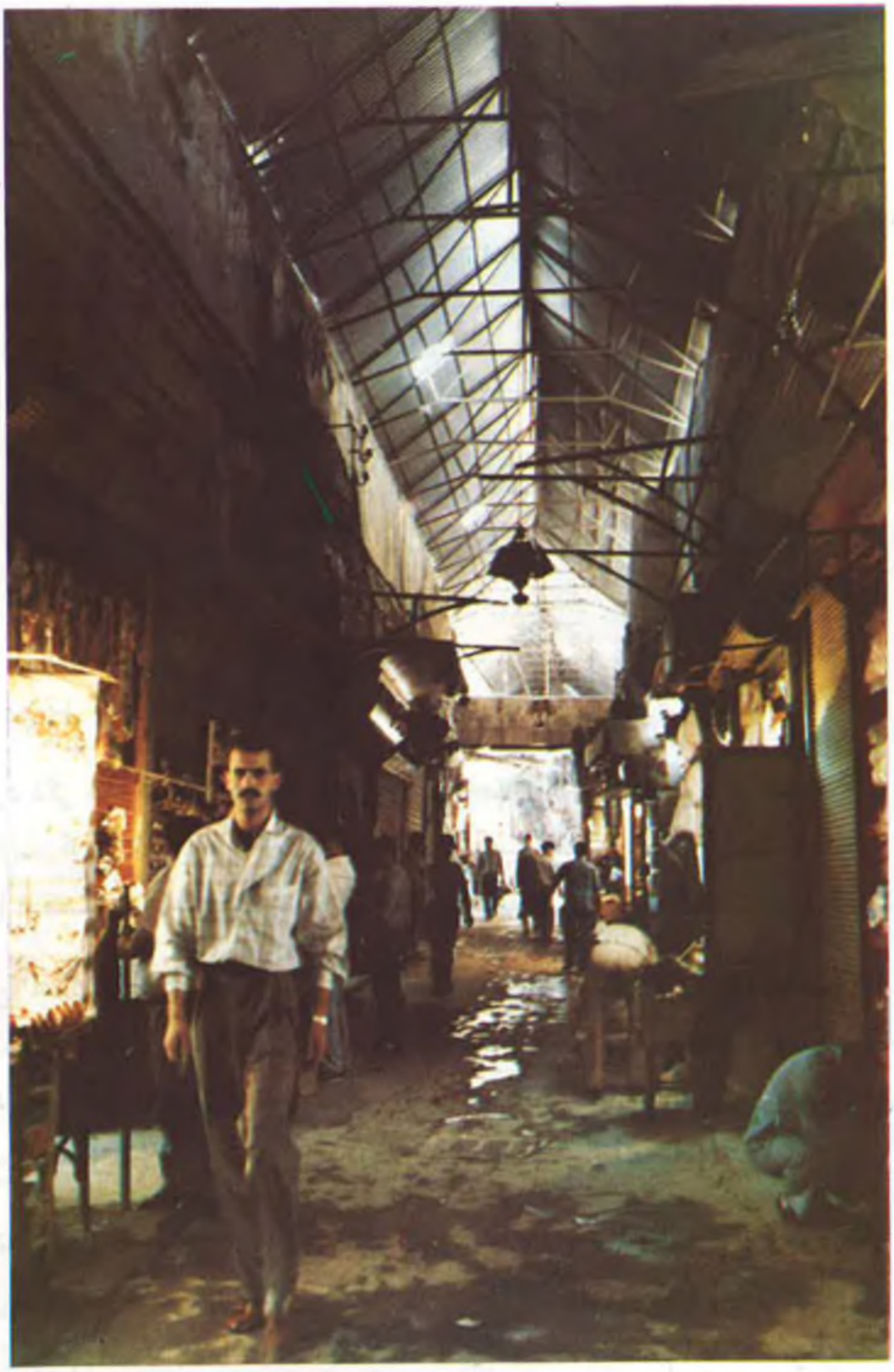
يقع هذا السوق على امتداد جادة سوق الحرير ، بينها وبين سوق الخياطين (أنظر مخطط الأسواق والخانات) وقد انكمش حاليا الى بضع محال تتجر بالأقمشة بعد ان فقد تخصصه ببيع (القلبق) اثر بطلان استعماله : وكان العسكريون العثمانيون يعتمرون القلبق لباسا رسميا للرأس ، وهو يشبه الطربوش في الشكل الا أنه أسود اللون مغشى بجلد (الجدي) الصغير ، وكذلك اعتمره الدرك ، والحراس الليليين (العسس) حتى ألغي نظامهم منذ زمن ليس ببعيد ، وباختفاء تجارة (القلبق) بقيت تسمية (القلبقجية) تطلق على هذا الموقع من قبل العامة .

ورد ذكر هذا السوق عند القساطلي[1] والحصني[2] بينما لم يرد في المصادر التي تؤرخ العهد المملوكي ، مما يدعو الى الاعتقاد بأن التسمية أطلقت عليه في العهد العثماني بعد أن انتشر (القلبق) لباسا عسكريا للرأس كما يذكر القاسمي[3] عند الحديث عن (القلبقجي)

من المشيدات المتواجدة في سوق القلبقجية جامع المجاهدية (المدرسة المجاهدية الجوانية) التي بناها الامير مجاهد الدين بزان المتوفى سنة (٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) وكان واحدا من كبار القادة أيام السلطان نور الدين محمود بن زنكي (نور الدين الشهيد) وتعرف ايضا باسم (جامع الحجازية)[4] وعلى ألسنة الناس حاليا (جامع القلبقجية) .

وتذكر خارطة دمشق الصادرة خلال الأعوام (١٩٢٢ ـ ١٩٢٤ م) وجود خان في هذا السوق قريب من جامع القلبقجية وعلى نسقه من جهة الشمال وتسميه (خان ام ادريس) ، ولم أجد عند بحثي الميداني في السوق أي أثر يشير الى وجوده ، كما لم أجد له ذكر في المصادر التي تتحدث عن خانات العهدين المملوكي والعثماني .

(١) الروضة الغناء في دمشق الفيحاء : نعمان القساطلي ص ٩٨ .
(٢) منتخبات التواريخ لدمشق : الحصني ج٣ ص ١١١٤ .
(٣) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس ، دمشق ١٩٨٨ ، ص ٣٧٩ .
(٤) العمارة العربية الاسلامية : د. عبد القادر الريحاوي . وزارة الثقافة ، ١٩٧٩ ، ص ١٠٣ .



سوق القلبقجية من الشمال الى الجنوب يغطّيه الساتر المعدني الهرمي المجدّد ، الذي يقيه حرّ الصيف ومطر الشتاء ، كما يمنع سريان النار منه اذا شبّ الحريق ، غير ان العتمة التي يفرضها هذا الساتر تتطلّب الاستعانة بالمصابيح الكهربائية التي تتدلّى على طول امتداده ، شأنه شأن بقية الأسواق المجاورة له في تلك المنطقة .

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)



من متاجر بيع الأقمشة الحريرية والعادية والمبلوسات النسائية في سوق القلبقجية المنار بالكهرباء لتبديد العتمة التي يضفيها ساتره المعدني الممتد فوقه وفوق جادة سوق الحرير وسوق الخياطين ، ولم يكن سوق القلبقجية هذا سوقا بالمعنى الصحيح ، بل بضع محال متخصصة ببيع (القَلْبَق) تواجدت في جادة سوق الحرير ؛ وقد أطلقت التسمية عليها نسبة لتخصصها ثم عممت على هذا الموقع من الجادّة .

(بعدسة المؤلف في السبعينات من هذا القرن)



سوق القلبقجية من الجنوب الى الشمال حيث البداية الغربية لسوق الحرير في عمق الصـورة .

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)



القَلْبَق الذي اعتمره العسكريون في العهد العثماني والمصنوع من الحرير أو المطرّز به . والمغشّى بجلد الخروف الصغير الأسود (الجدي) وفي ترسه أعلام من سيم أو قصب[1] ، واليه نسبت تسمية سوق القلبقجية .



سرّية من الدرك في دمشق يعتمر أفرادها (القَلْبَق) لباسا للرأس عام ١٩٢١م .

(١) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس ، دمشق ، ص ٣٧٩ .



القَلْبَق القديم الطويل الذي كان جنود فرقة الموسيقى الانكشارية في الجيش العثماني وغيرهم من الجنود يرتدونه في القرن التاسع عشر للميلاد قبل أن يصبح اقصر من ذلك ، وهو القَلْبَق الذي ذكره القاسمي في كتابه (قاموس الصناعات الشامية ص ٣٧٩) بقوله : (قال لي بعض المعمّرين : كان القَلْبَق في طوله كعلبة اللبن المعروفة بالشام وليس فوقه عمامة وكان يلبسه جنود الحكومة) .



لوحة تجـريدية لبعض معروضات سوق القلبقجية تؤلف بعناصـرها اللونية والكتلوية تكويناً عفوياً أساسه الحلي البسيطة الرخيصة مـن أسـاور وأقـراط وقلائـد ، وورود **الشعر التزيينية ، وعلب أدوات ومواد التجميل النسائية المختلفة ، رتّبت جميعها ببدائية تنم** عن حسّ جمالي وقدرة على الابداع والذوق •

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

سوق الخيّاطين

Souk EL - KHAYATIN

يمتد هذا السوق المغطى بساتر هرمي (جملوني) من الحديد والتوتياء من زقاق (بين البحرتين) جنوباً الى سوق مدحت باشا شمالا ويقع على امتداد جادة سوق الحرير وسوق القلبقجية (أنظر مخطط الأسواق والخانات) •

عرف في العهد المملوكي باسم (سوق الخوّاصين)[1] ، وورد ذكر هـذه التسـمية في خارطتي دمشق القديمة اللتين وضعهما د• المنجد[2] ، كما ورد فيهما أن قسمه الشـمالي الآخذ الى سوق القلبقجية كان يعرف (بالقبّانين) وهم الذين يقومون بوزن الأشياء الثقيلة التي لا يستطيع الميزان العادي أو البلدي أن يرفعها لذلك يستعاض عنها (بالقبّان) ، أمـا قسمه الجنوبي الآخذ الى سوق مدحت باشا فكان يعرف (بالطوّاقين أو الطوَاقيين) وقد وردت هذه التسمية في رسالة (نزهة الرفاق في شرح حال الأسواق) لابن عبد الهادي كما وردت عند ابن طولون[3] و (الطوّاق) لفظة تركية تعني الخِمَار أو ما تغطّي به المرأة رأسها وهو الستر عموماً ، ويظهر أنهم كانوا يصنعون الأخمرة في هذا الموقع خلال العهد المملوكي أو ربما قبل ذلك الى أن زالت هذه الحرفة بزوال ذلك العهـد أو استمرت الى فتـرة غير معروفة خلال العهد العثماني ثم انقرضت •

أما تسمية سوق (الخيّاطين) فقد وردت الينا لأول مرة عند القساطلي[4] الذي ذكر : (به باعة الأجواخ والمنسوجات وغيرها) وعند القاسمي[5] بقوله : (الجوخيّ بائع الجوخ، وغالبيتهم في سوق الخيّاطين) مما يشير الى نشوء هذه التسمية في العهد العثماني •

---

(١) في معجم المنْجِد ، الخوْص : ورق النخل ، والخوّاص : بائع الخوْص ، وخوّاص التاج : زيّنه بصفائح الذهب . ايضا انظر كتاب الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر تعريب قاسم طوير دمشق ١٩٨٤ ص ١٥٥ والحاشية رقم ٢ .

(٢) خارطة دمشق القديمة ١/٢٠٠٠ للفترة بين السنوات (٤٩١ ـ ٨٦٨ هـ) : وضع د. صلاح الدين المنجّد . منشورات مديرية الآثار العامة (وهي ملحقة بكتاب مختصر تنبيه الطالب للعلموي) . وخارطة دمشق القديمة ١/٤٠٠٠ للقرن السادس الهجري : وضع د. صلاح المنجّد . منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق .

(٣) مفاكهة الخلاّن في حوادث الزمان : ابن طولون . القاهرة ١٩٦٢ ، ج١ ، ص ٤١ سطر ١٥ .

(٤) الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي . دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٩٨ .

فقد سوق الخيّاطين كثيراً من تخصصه القديم ، وتبيّن لي عند زيارتي الميدانية له أنه صار خليطاً من متاجر بيع الخيوط الحريرية والصوفية ولوازم الخياطة النسائية وحقائب اليد والملبوسات الجاهزة الشعبية وما شابه .

وحدّثني مسنّو التجار في هذا السوق أنه كان في بدايات القرن العشرين على ثلاثة أقسام هي :

١ ـ سوق النورية أو الغزولية[٦] : يمتد بين سوق القلبقجية والمدرسة النورية الكبرى .

٢ ـ سوق العقّادين[٧] : بين المدرسة النورية الكبرى وجامع الخيّاطين . وقد انتقلت التسمية الى هذا الموقع بعد أن كان سوق العقّادين القديم متواجداً بجوار سوق الصاغة في القوّافين وزال كلياً إثر حريق الجامع الأموي عام (١٣١١ هـ/١٨٩٣ م)، وفي هذا السوق كانت تباع خيوط (التَخْرِيج) للصايات والشراويل والصداري والميتان .

٣ ـ سوق الخيّاطين : ويمتد من العقّادين الى سوق مدحت باشا ، وتطلق تسمية (سوق الخيّاطين) في أيامنا هذه على كامل أقسامه الثلاثة .

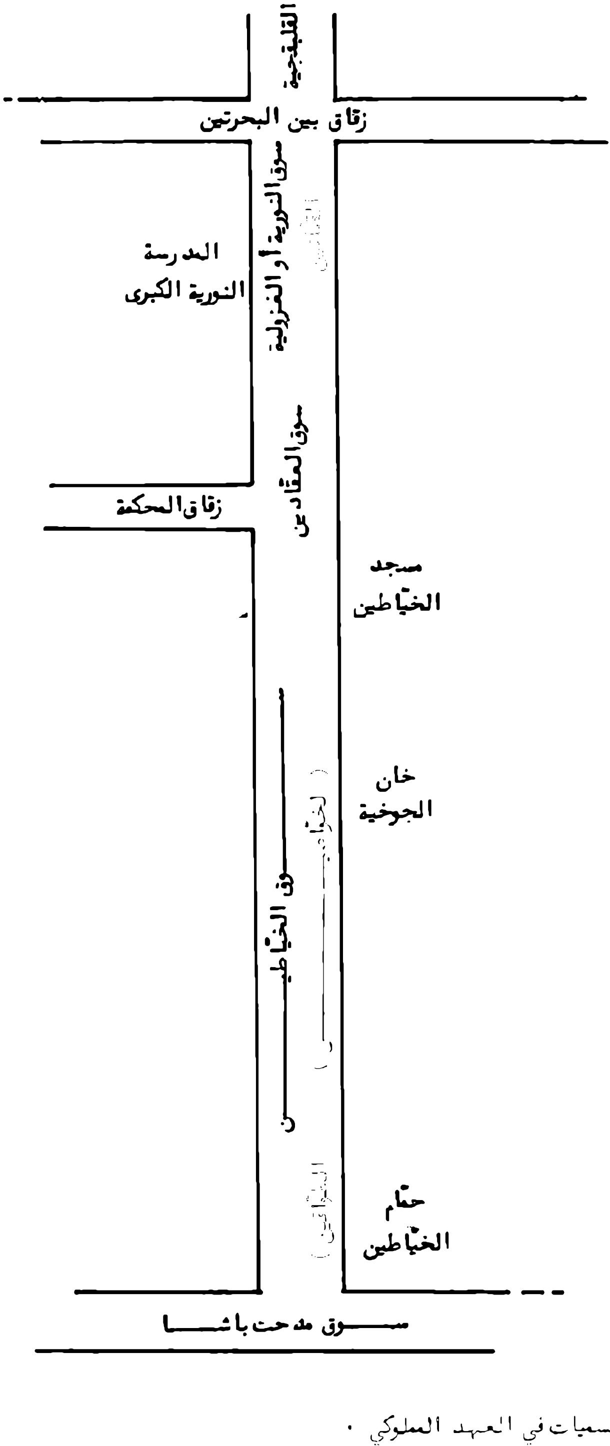
من المشيّدات التاريخية الهامة في سوق الخيّاطين : (المدرسة النورية الكبرى) و (مسجد الخيّاطين أو مدرسة اسماعيل باشا العظم) و (خان الخيّاطين أو خان الجوخية) و (حمّام الخياطين) وقد تخلّى الأخيران عن وظيفتهما وتحوّلا الى مستودعات ومتاجر وورشات .

---

(٥) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس ، دمشق ١٩٨٨ ، ص ٨٥ .

(٦) الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي . دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٩٨ .

(٧) منتخبات التواريخ لدمشق : الحصني . دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ج٣ ، ص ١١١٤ .



— التسميات في العهد المملوكي .

— التسميات في العهد العثماني المتأخر وبدايات القرن العشرين .

مخطط تقريبي لتسميات أقسام سوق الخياطين التي أطلقت خلال العهدين المملوكي والعثماني المتأخر ومطلع القرن العشرين وبداياته .

(وضع د. قتيبة الشهابي)



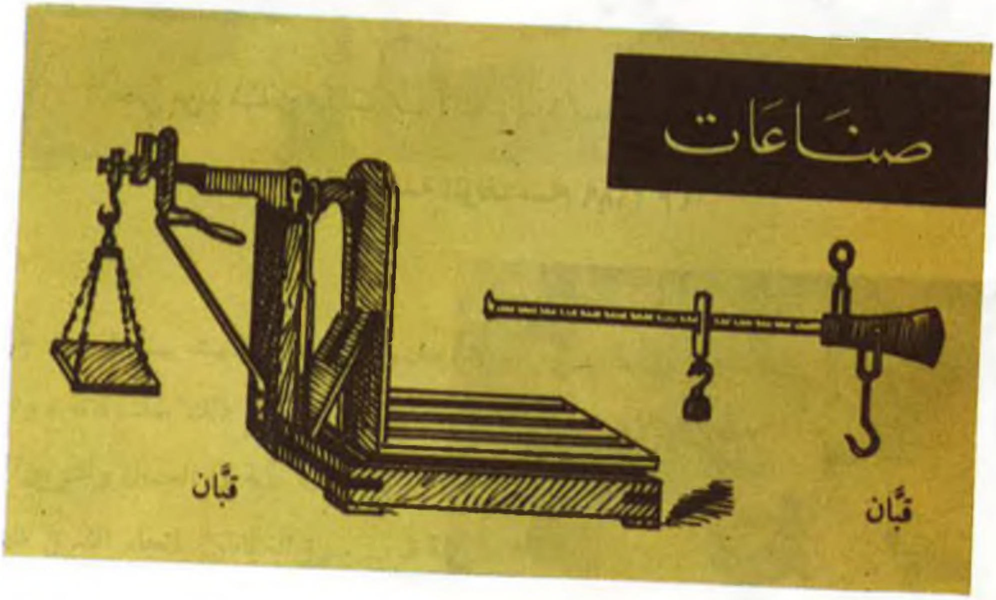
سوق الخيّاطين من الشمال الى الجنوب ، وفي عمق الصورة نهايته الجنوبية التي يلتقي فيها مع سوق مدحت باشا متعامداً معه ، وعند هذه النهاية كان سوق (الطوّاقين) الـذي ورد ذكره في العهد المملوكي ، وفي جهة اليسار مئذنة جامع الخيّاطين أما الموقع الذي التقطت منه الصورة وحتى مئذنة الجامع فكان في العهد العثماني المتأخر (سوق العقّادين) •

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)



الطرف الشمالي لسوق الخياطين عند التقائه بسوق القباقبية ، من الجنوب الى الشمال ، وعند هذا الطرف في مقدمة الصورة تواجد سوق (القبّانين) في العهد المملوكي ، وسوق (النورية أو الغزولية) أواخر العهد العثماني وبدايات هذا القرن .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



القبّان الذي وجد بديلاً عن الميزان البلدي أو الاعتيادي لوزن البضائع الثقيلة التي لا يتمكن الميزانان المذكوران من رفعها والبالغة لحد (القنطار) وزناً أو أكثر من ذلك . ومن هنا أطلقت تسمية (مال القبّان) على تجارة الحبوب التي لا يمكن الحصول على أوزانها الا بواسطته .

(الصورة نقلا عن معجم المنجد في اللغة والاعلام)



بعض من (شـلـل وكـبـاكيب) الصوف الملـوّن في سـوق الخيّاطـين

(بعدسة المؤلف عــام ١٩٨٩ م)



الكـلـف الملونة الزاهية في سوق الخيّاطين ، والتي تستعمل لزخرفة وتزيين الملبوسات وتشغيلها على اختلاف أنواعها .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩)



المدرسة النووية الكبرى :

بناها في سوق الخيّاطين السلطان نور الدين محمود الملقب بالشهيد سنة (٥٦٧ هـ / ١١٧١ ـ ١١٧٢ م)[١] ودفن فيها ولم يكن بناؤها قد انتهى بعد اذ تم ذلك بعد وفاته ، وتعلو التربة قبة رائعة الزخارف من المقرصنات ، كما أن الضريح نفسه غاية في الجمال والتزيين[٢]. ويلاحظ في الصورة الملتقطة من نهاية محلة الحريقة قرب سوق الخياطين باتجاه الشرق ظهور القبتين المشيدتين فوق المدرسة على طراز العمارة السلجوقية ، وهي نفس طراز عمارة القبة التي تعلو البيمارستان النوري (متحف الطب والعلوم عند العرب حالياً) المشيد في نفس الحقبة وقبلها بقليل .

(الصورة ملتقطة بعدسة المؤلف أواخر الثمانينات من آخر محلّة الحريقة باتجاه الشرق لاستحالة تصوير القبتين من داخل سوق الخيّاطين بسبب الساتر الذي يغطّيه) .

---

(١) استنادا للوحة المؤرخة عند باب المدرسة .

(٢) ورد تاريخ بناء المدرسة في (العمارة العربية الاسلامية) : د. عبد القادر الريحاوي ص ١٠٢ . انها شيدت سنة (٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م) .



قبة المدرسة النورية الكبرى (مدرسة وتربة نور الدين) المزينة بالمقرنصات الخارجية من الجنوب الى الشمال .

(الصورة عن كتاب الآثار الاسلامية في مدينة دمشق لولتسينجر ـ النسخة الألمانية ـ المطبوع في برلين عام ١٩٢٤ م) .



(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

مسجد الخياطين :

ويعرف ايضا بمسجد العظم ، شيّده في سوق الخياطين والي دمشق اسماعيل باشا العظم كمدرسة ومسجد سنة (١١٤١ هـ / ١٧٢٨م) ثم جعل فيه ابنه الوالي اسعد باشا العظم سنة (١١٦٢ هـ / ١٧٤٨ م) مكتبة وطابقاً علوياً[1] وجددت مئذنته عام (١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م) .

---

(١) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر تعريب قاسم طوير . ص ١٦٠ رقم ٤ والحاشية (٤) ، ايضا ثمار المقاصد في ذكر المساجد : ابن عبد الهادي . ص ٢٤٠ رقم ٢١٠ ، ايضا العمارة العربية الاسلامية : د. عبد القادر الريحاوي . وزارة الثقافة ، ١٩٧٩ ، ص ٢٢٩ .

خان الجوخية (خان الخيّاطين) :

من الخانات المشيّدة في بدايات العهد العثماني ، بناه في سوق الخيّاطين والي دمشق (أحمد شمسي باشا) عام (٩٦٠ هـ/١٥٥٣ م) استنادا للكتابة المنقوشة فوق بابه ، وتشغله حاليا متاجر ومستودعات ومشاغل •



واجهة خان الجوخية أو خان الخيّاطين قرب النهاية الجنوبية لسوق الخيّاطين

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

حمّـام الخيّاطـين :

من حمّامات العهد العثماني في سوق الخيّاطين ، ذكر تواجده الأدهمي سنة (١١٥٠ هـ / ١٧٣٧ م)[1] ولا تتوفر عنه معلومات تشير الى تاريخ انشائه على وجه التحديد ، وتشغله حاليا مستودعات وورشات •



قبة حمّام الخيّاطين المزّينة بالزخارف الملونة

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

---

(١) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر تعريب قاسم طوير . ص ١٦١ ، الحاشية رقم (١) .

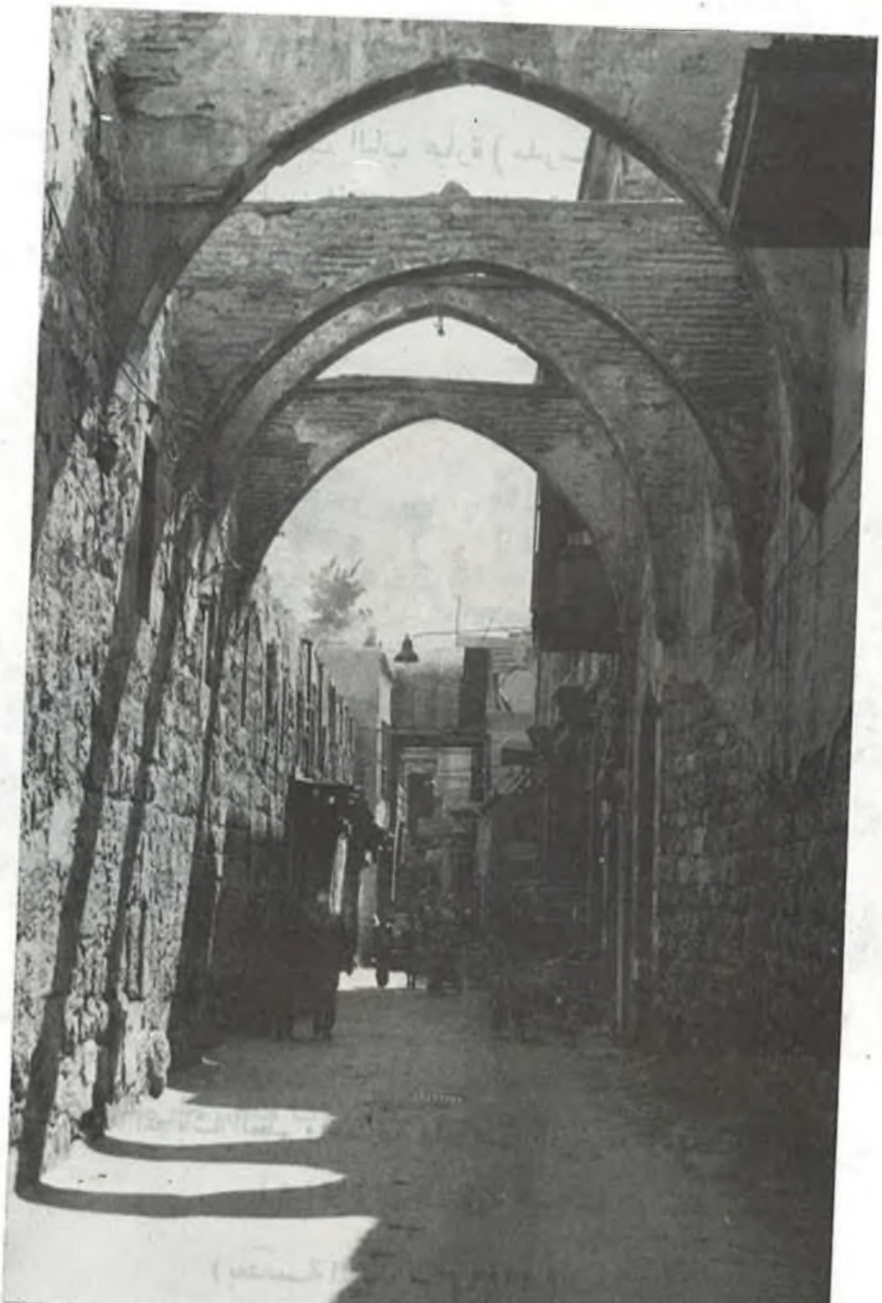
زقاق بين البحرتين

ZOUQAQ BAIN EL - BAHRATAIN (Lane)

زقاق (بين البحرتين) الضيق الممتد من النهاية الشرقية لمحلة الحريقة الى قصر العظم (متحف التقاليد الشعبية) ، فاصلاً بين القلبقجية وسوق الخيّاطين من جهة الغرب ، وبين سوقي السلاح والبزورية من جهة الشرق (أنظر مخطط الأسواق والخانات) •

في مقدمـة الصورة من جهة اليمين تتواجد مدرسة (عبد الله باشا العظم) ، أما الاقواس فمن العهد العثماني ولعلها كانت تحمل مشيّدات سكنية أو سقفاً يغطي هذه الزقـاق ، وقد لاحظت اثناء زيارتي الميدانية له في بدايات عام ١٩٨٩ م أن متاجر مواد البزورية قد بدأت بالانتشار في طرفه الشرقي كامتداد لمتاجر سوقي البزورية والسـلاح ، ومتاجـر النوفوتيه والتحف الشرقية في طرفه الغربي كتكملة لسوقي القلبقجية والخيّاطين ، ولولا الجـدران الصمّاء المتبقية على ناصيتيه لأصبح سوقاً متكاملاً •

المشيّدات التاريخية في هذا الزقاق مدرسة : عبد الله باشا العظم ، وخان الصدرانية •



زقاق بين الجرتين
(بعدسة المؤلف في سبعينات هذا القرن)

مدرسة عبد الله باشا العظم :

شيّدها عبد الله باشا العظم في زقاق بين البحرتين سنة (١١٩٣ هـ / ١٧٧٩ م) من العهد العثماني كما ورد في الكتابة الحجرية المنقوشة فوق ساكف بابها ، وذلك قبل أن يصبح والياً لدمشق سنة (١٢٠٥ هـ / ١٧٩١ م) [١] .

وتحمل اللوحة المحدثة بجانب الباب عبارة (مدرسة العظم للصناعات الشرقية ـ شيّدت عام ١٧٧٠م) وهذا يخالف التاريخ المنقوش على اللوحة الحجرية التي تعتبر اكثر مصداقية في التوثيق والدّقة . والمبنى بحالته الراهنة متجرا لبيع المصنوعات الشرقية والتحف .



باحة مدرسة عبد الله باشا العظم وأعمدتها وأقواسها المزخرفة ومداميكها الحجرية ذات الألوان المتناوبة

(بعدســة المؤلف عــام ١٩٨٩ م)

(١) استنادا لكتاب (ولاة دمشق في العهد العثماني) : د. صلاح الدين المنجّد . دمشق ، ١٩٤٩ ، ص ٩٠ . ضمن القسم المعنون (الوزراء الذين حكموا دمشق : رسلان بن يحيى القاري) .



اللوحة الحجرية المؤرخة لبناء مدرسة عبد الله باشا العظم تعلو ساكف الباب.

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

خـان الصدرانية :

يفتح عند النهاية الشرقية لزقاق بين البحرتين قبالة سوق البزورية ، وهو من خانات العهد العثماني . ورد ذكره لأول مرة في سجلات المحكمة الشرعية عام (١١٧١ هـ / ١٧٥٨ م) مما يحمل على الظن بأنه مشيّد حول هذا التاريخ ، وهو مغطّى بثلاث قباب وتشغله حاليا مخازن ومستودعات تجارية ما زالت تحتفظ بأبوابه الخشبية القديمة [1] .

(١) جرد الري لخانات دمشق : د. فؤاد يحيى . الحوليات الاثرية ، المديرية العامة للآثار والمتاحف ، مجلد ٣١ ، ١٩٨١ ، ص ٩٦ .



مدخل خان الصدرانية في زقاق بين البحرتين قبالة النهاية الشمالية لسوق البزورية ، من الجنوب الى الشمال

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



داخل خان الصدرانية من الجنوب الى الشمال ، وتلاحظ في الاعلى اقواسه الحاملة لقبابه الثلاث ، وتتجـه النية حاليا الى ترميمه لاعادته الى مظهره السابق .

(بعدسـة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

سوق القوافين

Souk EL - QAWAFIN

كان هذا السوق في الأصل ضيّقاً مسقوفاً يمتد على طول النصف الغربي والجنوبي من جدار الجامع الاموي ، بين بابه الغربي المعروف بباب المسكية وبابه الجنوبي المعروف بباب الزيادة حيث يصبح سوقاً مكشوفاً متسعاً ينتهي عند سوق السلاح من الشمال الى الجنوب ، اما تسميته بالقوّافين فنسبة (للقوّاف) وهو بائع أصناف النعال من (صرامي وجزمات وبوابيج)[1] وغيرها (انظر مخطط الأسواق والخانات) .

ورد ذكر سوق القوّافين عند القساطلي[2] اذ قال : وبه تباع الأحذية العربية . كما ورد في خارطة شرطة مدينة دمشق الموضوعة خلال الاعوام (١٩٢٢ — ١٩٢٤ م) ، أما الخرائط الحديثة[3] فتسميه (الصاغة) نسبة لسوق الصاغة القديم الذي كان بجواره من جهة الشرق واحترق عام (١٩٦٠ م)[4] وكذلك يسميه العامّة ، أما المصادر القديمة التي تؤرخ العهد المملوكي وما قبله فلا تورد ذكره الأمر الذي يدعو للاعتقاد بأن هذه التسمية قد اطلقت عليه في العهد العثماني . أما في الوقت الحاضر فتشغله متاجر الصيّاغ وبضع محالٍ محدودة لبيع الاحذية الشعبية (قباقيب شحاطات وما شابه) وهي تتركّز عند زاوية التقائه مع سوق الحرير بجوار سوق السلاح .

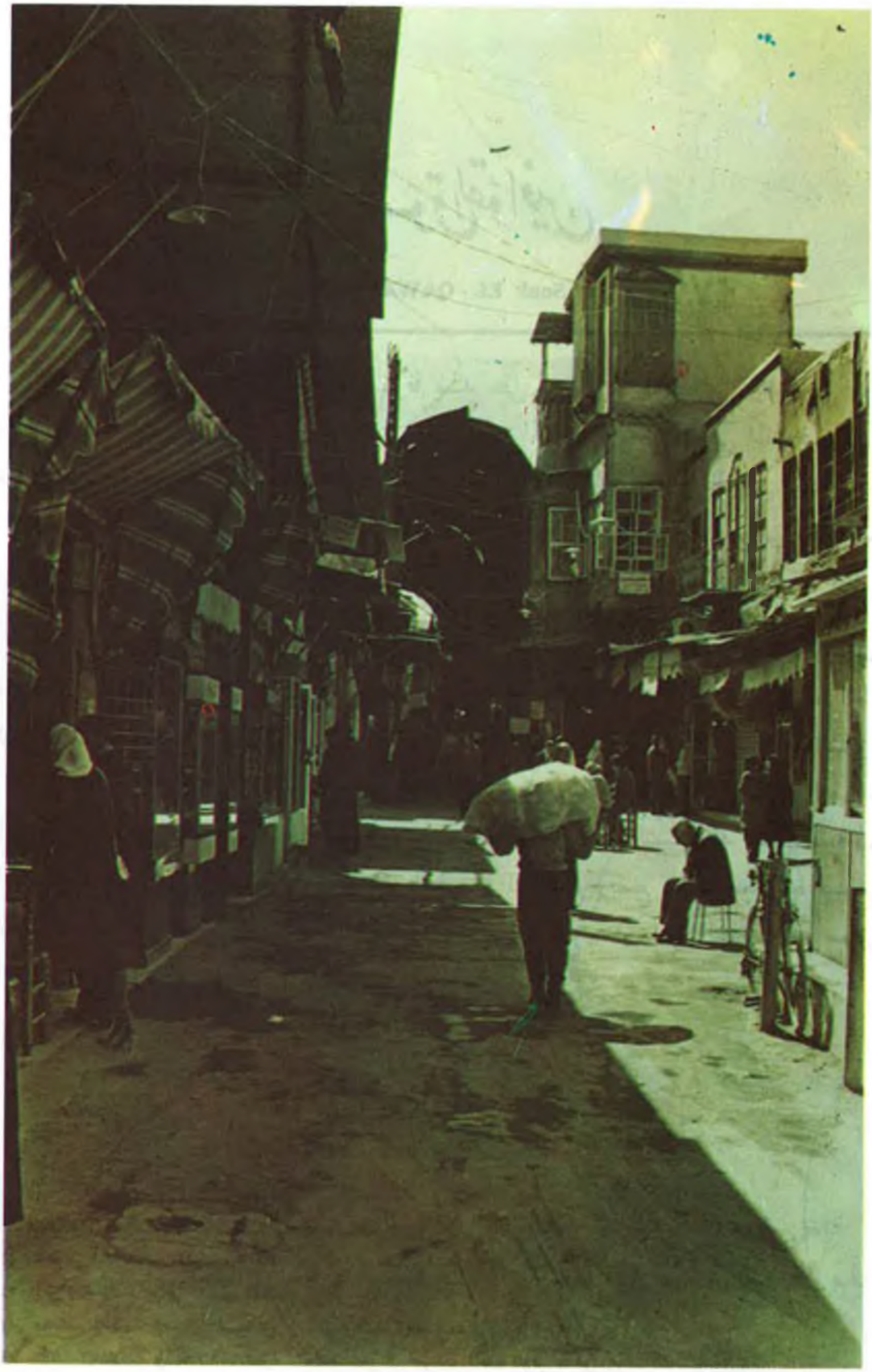
---

(١) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس ، ص ٣٧٢

(٢) الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء : ص ٩٨ .

(٣) مخطط مدينة دمشق السياحي : ادارة المساحة العسكرية ، ١٩٨٢ .

(٤) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر . تعريب قاسم طوير . ص ١٤١ الحاشية (٢) .



سوق القوافين من الشمال الى الجنوب بعدسة المؤلف في السبعينات من هذا القرن ، وفي العمق سوق السلاح المسقوف ، وفي جهة اليسار حوانيت الواجهة الغربية المجددة لسوق الصاغة القديم الذي احترق عام (١٩٦٠ م) .

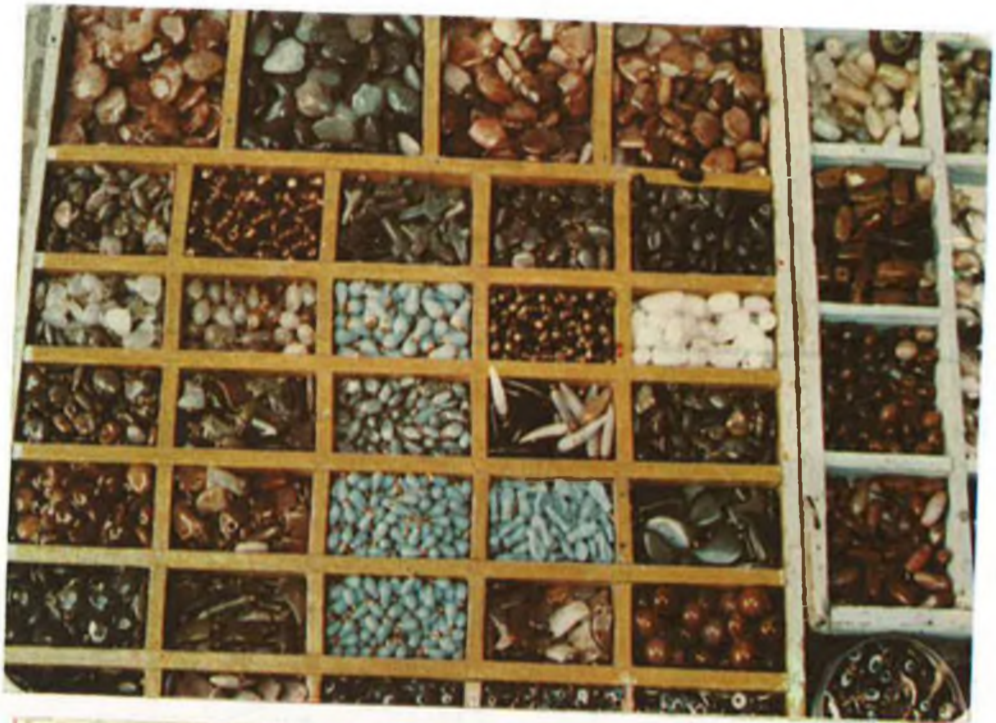


سوق الذهب والفضّة في مدينة دمشق بريشة فنان أوروبي زار السوق خلال القرن التاسع عشر ، ولعل هذا الرسم كان في سوق الصاغة القديم الذي احترق عام (١٩٦٠ م) أو في موضع آخر قريب ضمن هذه المنطقة من الأسواق اذا لم يرد في المصادر التاريخية موقعا لسوق الصاغة يبعد كثيراً عن موقعه الحالي المعروف في القوّافين •

والطريف في هذه اللوحة عملية (المفاصلة) بين البائع الجالس في الطرف الأيسر وهو يشير للمشترية قبالته بثلاث أصابع وهي تشير اليه باصبعين ، وكأنه يقول لها : بثلاثة دنانير فتجيبه بدينارين •



مدخل سوق القوافين الضيّق المسقوف من جهة المسكية بعدسة المؤلف أواخر السبعينات قبل ازالته لكشف ما كان يحجبه من جدار الجامع الاموي الغربي ، والملاحظ ان متاجر الصياغة منتشرة فيه بعد ان فقد اختصاصه في بيع الأحذية كما كان في السابق. وفي جهة اليمين من مقدمة الصورة تواجد محل (لجلخ المقصّات والسكاكين) الى جانب (المطاهر العامة) التي كانت في هذا الموضع ، أما في جهة اليسار وعلى ما تبقى مكشوفا من جدار الجامع ، فكان باعة (المسابح) يعرضون بضاعتهم في هذا الموضع .





(أبو أسامة) بائع المسابح المعلّقة فوق جدار الجامع الأموي بجوار مدخل القوّافين من جهة المسكية يعيد مبلغ عشر ليرات (كمالة الحساب) الى احد المشترين، بينما يعرض لوازم هذه المسابح من عقيق وخرز وأحجار صنعية وما شابه مصنّفة في صندوق خشبي راقد فوق الأرض •

(عدسة المؤلف في بدايات الثمانينات من هذا القرن)

سوق القباقبية

Souk EL - QABAQBIAH

يمتد سوق القباقية من الغرب الى الشرق ، بين سوق القوافين وبداية النوفرة ، مسايرا في امتداده الجدار الجنوبي للجامع الأموي (انظر مخطط الأسواق والخانات) •

ذكره ابن عبد الهادي[1] وحدد موقعه (شمالي الجامع داخل باب الفراديس) مما يشير الى وقوعه في ذلك الموضع ابان العهد المملوكي ، أما القساطلي[2] فوصفه بقوله (بهذا السوق يعملون القباقيب والصناديق والصواني الجميلة المطعّمة بالصدف ، وهذه السوق تمتاز عن غيرها بكون سقفها معقود (بالحجارة) وهذا الوصف يعني استمرار السوق في العهد العثماني أولا ، ثم وقوعه في موضعه الحالي الذي كان مسقوفا بعقود من الحجارة ثانيا • أما تسميته فمشتقّة من صنّاع القباقيب •

والقبقاب عبارة عن حذاء من الخشب ينتعل بالقدم بواسطة (سير) من الجلد يثبّت بالمسامير المعروفة باسم (مسامير قباقبية) وله انواع منها (قبقاب المهاجرين) وهو أعمّها لأنه مصنوع من قبل المهاجرين الشراكسة ، ثم (القبقاب الشبراوي) وهو مرتفع عن الارض بواسطة قدمين اضافيين ، و (نصف الكرسي) وهو اقصر من السابق ، وقد يطعّم القبقاب احيانا بالصدف او يلوّن سيره بألوان مختلفة[3] • اما عن الضجيج الذي يصدره فلا تسل خصوصا اذا استعمل في الأبنية الطابقية الحديثة وفوق بلاط الحمّام ، كما يعتبره بعض الرجال تندّرا من الأسلحة الفتّاكة بيد الزوجات •

وفي بدايات الثمانينات تمّت ازالة النسق الشمالي من المحال الملاصقة لجدار الجامع الاموي وقاية له من الحريق من جهة ، ولكشف هذا الجدار الهام أثريا من جهة أخرى : ففقد السوق تخصصه واصبح في الوقت الحاضر مزيجاً من بقايا (خرّاطين الخشب) الذين يصنّعون الادوات المنزلية والمطبخية ، الى جانب محال (الصيّاغ) الذين يشغلون نصف هذا السوق ان لم يكن اكثر •

(١) نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق : يوسف بن عبد الهادي . السوق ١٢٤ .
(٢) الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي . دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٩٨ .
(٣) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس ، ١٩٨٨ ، ص ٢٤٨ .



سوق القباقبية من الغرب الى الشرق بعدسة المؤلف في مطلع الثمانينات ويلاحظ فيه فقد الانسجام بين متاجر الصياغة وحوانيت الخراطين •



زاوية التقاء سوقي القباقبية (في جهة اليسار) والقوّافين (في جهة اليمين) والى الخلف منهما كانت (الصاغة القديمة) التي احترقت صيف (١٩٦٠ م)[١] .

(بعدسة المؤلف من الغرب الى الشرق عـام ١٩٨٩ م)

---

(١) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : فولتسينجر . تعريب قاسم طوير . دمشق ، ١٩٨٤ ، ص ١٤١ ، الحاشية ٢ .



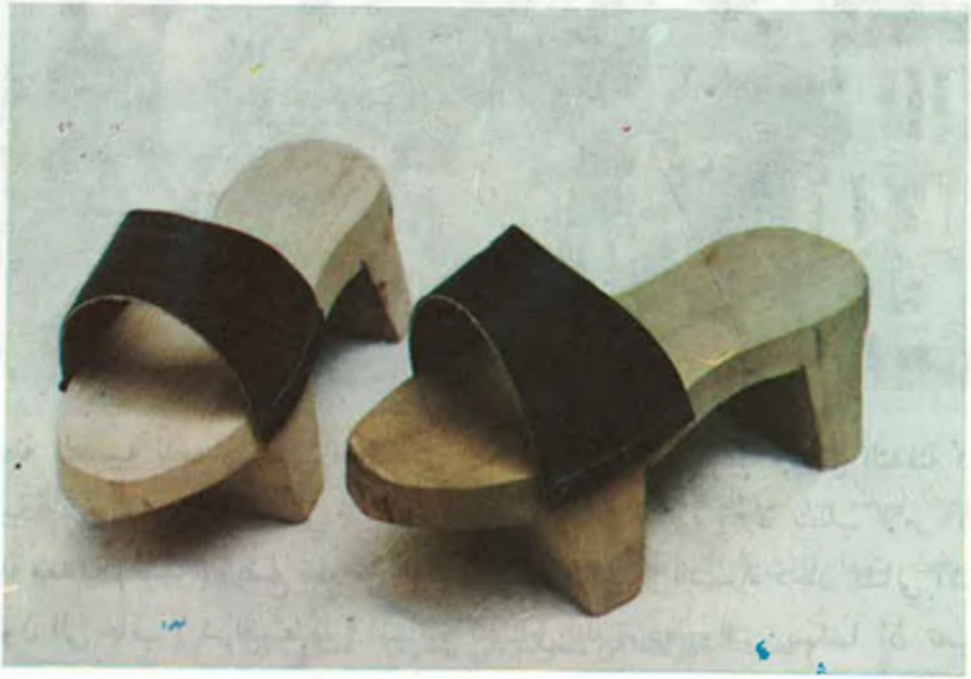
الواسطة الشعبية للحصول على الدفء في الأماكن التي لا تتوفر فيها وسائل التدفئة كسوق القباقبية وغيره من الأسواق التي لا تملك محالها واجهات ساترة ، ولا يتطلب الأمر أكثر من صفيحة معدنية (تنكة) وبضع قطع من الخشب لتتأجج النار ناشرة دخان ثاني أكسيد الكربون الى جانب (شراقيْطِها) المتناثرة كالقنابل العنقودية والتي يمكنها أن تصيب ما حولها فيندلع الحريق ويلتهم الأخضر واليابس ٠

(عدسة المؤلف في سوق القباقبية عند مطلع الثمانينات)



القبقاب الخشبي الاعتيادي الذي كان شائعاً في دمشق لوقاية القدمين من البلل والذي نسبت اليه تسمية (سوق القباقبية) .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



(قبقاب كندرة رجلتين) وهي التسمية التي تطلق على هذا النوع من القباقيب المستعملة في الحمّامات العامّة ، وبصورة أضيق في الحمّامات الخاصة ، وهو يتميز بارتفاعه عن سطح الأرض أكثر من النوع الاعتيادي الأمر الذي يحمي منتعله من خطر (التزحلق) في أرض الحمّام السابحة في بحر من الماء والصابون .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

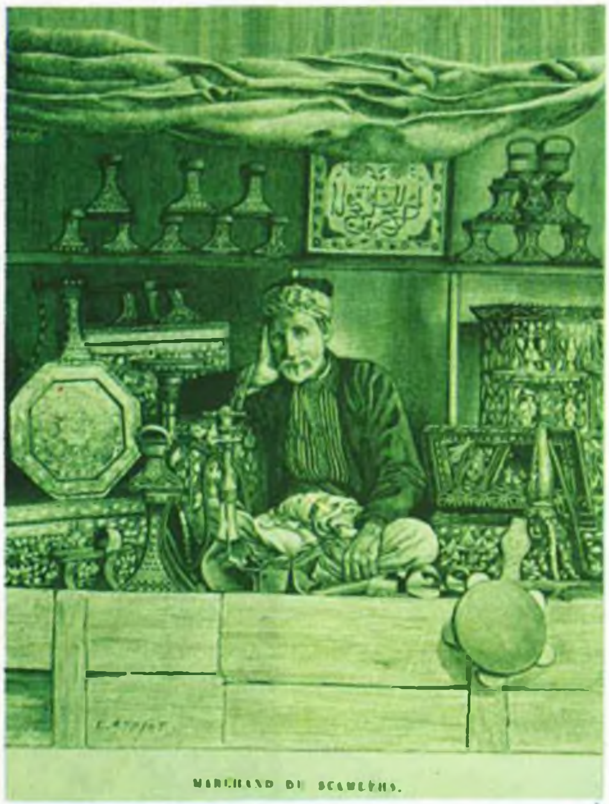
صورتان من كتاب (سورية اليوم) لمؤلفه الدكتور لورتيـه المطبـوع في باريز عام ١٨٨٤ م تمثلان (القبقاب الشبراوي) المطعّم بالصدف و (سيره) الجلدي المطرّز بخيوط القصب أو الفضّة أو الذهب ، وقد اشتهرت دمشق بصناعة هذا القبقاب ونماذجه المختلفـة خلال النصف الثاني من العهد العثماني ، وكانت نساء دمشق ينتعلنه فيزيدهنّ طولاً كمـا يضفي على مشيتهنّ غنجاً ودلالاً وإيقاعاً كنقر المقارع •



قبقاب نساء دمشـق الخشبي المعروف (بالقبقاب الشبراوي) المصدّف (المطعّم بالصـدف) وسـيره المطرّز بخيـوط القصب أو الفضّة أو الذهب ، وقد جاءت تسميته نسبة الى ارتفاعه عن سطح الأرض بحدود (الشبر) •



شابّة تنتعل القبقـاب الشبراوي المزيّن بسلاسل من الفضّة أو الذهب المتدلية من أطرافه زيادة في زخارفه وايقاعه وجماله •



MARCHAND DE SCAMLEHS.

بائـع السكَملات

الصورة من كتاب (سورية اليوم) المنشور في باريز عام ١٨٨٤ م وفيها يبدو بائع السكملات (الطرابيزات) والمصنوعات الخشبية المطعّمة بالصدف ، كما تبدو فوق رأسه لوحة قرأت كتابتها المعكوسة بواسطة المرآة فكانت (انّا فتحنا لك فتحاً مبيناً) ، ويعود السبب في هـذا الخطأ الى جهل المصوّر بالكتابة العربية واتجاهها ، فكان ان طبع سلبية الصورة بشكل مقلوب ثم حولها الرسـام الى لوحة مرسومة بأسلوب الحفر فاستمرّ الخطـأ



خليل عنتر الشهير (بأبي عثمان) خرّاط الخشب في سوق القباقبية عام ١٩٨٤م •

(لوحة زيتية بريشة المؤلف من مقتنيات المركز الثقافي العربي بدمشق)



من أدوات المطبخ الخشبية المصنّعة يدوياً في سوق القباقبية وهي :

1 ـــ مدقّة لحمة (مطرقة لحمة) •

2 ـــ شوبَك (لرقّ العجين وبَسْطِه) وهو السلاح الذي يصرّ رسامو الكاريكاتور على اعتباره من أسلحة الزوجات المضادة لأزواجهن عند عودتهم الى بيوتهم بعد منتصف الليل •

3 ـــ مدقّة كبّة •

4 ـــ هاون للثوم •

5 ـــ مدقّة حمّص وباذنجان مشوي •

(بعدسة المؤلف في منتصف الثمانينات)



1 ــ كَفْكِير •

2 ــ قوالب الحلويات المنزلية التي تحضّر أيام الأعياد بصورة خاصّة كالمعمول والتويتات والعجوة •

3 ــ قالب خاص لعمل نوع من الحلويات يشبه شكلها رغيف الخبز وتصنع على نوعين : حلوة ومالحة ، وتسمى (كليشة) •

4 ــ ملعقة تحريك كبيرة •

5 ــ كليشة خشبية لطباعة الأقمشة الشعبية •

(بعدسة المؤلف في منتصف الثمانينات)



1 ــ نملية (لحفظ الطعام بعيداً عن الحشرات والحيوانات) •

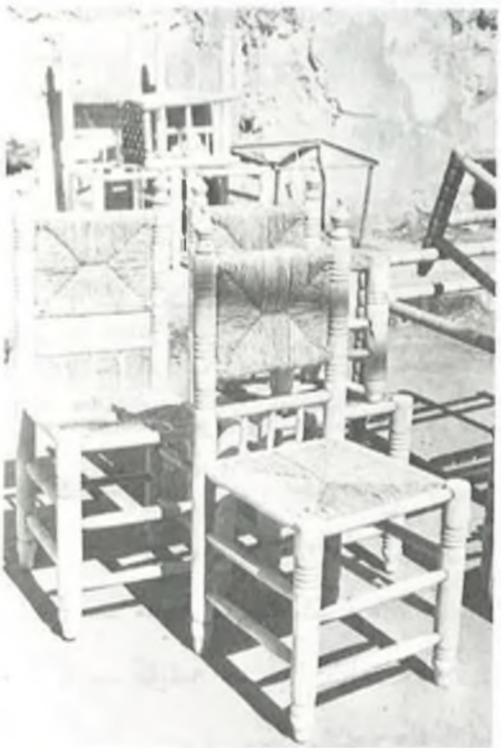
2 ــ كراسي حمّام أو مطبخ •

3 ــ طارات للناموسية أو للتطريز •

4 ــ شكّاكة أو علاقة صحون •

5 ــ منخل •

(بعدسة المؤلف في منتصف الثمانينات)



كراسي القش الخشبية المخروطة في سوق القباقبية ، هذا السوق الذي اشتهر بأسلوب (النجارة العربية) التي تعتمد العمل اليدوي أكثر من اعتمادها على الميكنة (المكننة الآلية) رغم أن هذه الأخيرة بدأت بالانتشار فيه منذ عهد قريب، الأمر الذي أصبحت معه اللمسة الانسانية مهددة بالانقراض •

(بعدسة المؤلف في منتصف الثمانينات)

سوق السلاح

Souk EL - SILAH

سوق صغير مسقوف بالتوتياء يمتد بين سوق القوافين وزقاق بين البحرتين قرب بداية سوق البزورية ، ويعتبر امتداد لهذا السوق الأخير لأنه يشاطره بيع نفس المواد الى جانب محال أخرى غير تخصصية ، اما تسميته فجاءت نسبة لما كان يبـاع فيه من أسلحة بيضـاء وغيرها كالسيوف والرماح والخناجر[1] ، ومع بطلان استعمالها فقد السوق تدريجيا تخصصه وتحول الى محال تجارية مختلفة ، وقد ورد ذكره عند ابن طولون[2] مما يدل على تواجده في العهد المملوكي وربما قبل ذلك ، وايضا ذكره النعيمي[3] والقساطلي[4] الذي قال انه يسمى ايضا (سوق التتن) وهي كلمة تركية تعني التبغ ، وكذلك ورد عند الغزي[5] الذي أشار بأن (أحمد المغربي) المتوفى سنة (١٠٠٨ هـ/١٥٩٩ م) قام بتوسيع هذا السوق (أنظر مخطط الأسواق والخانـات) .

---

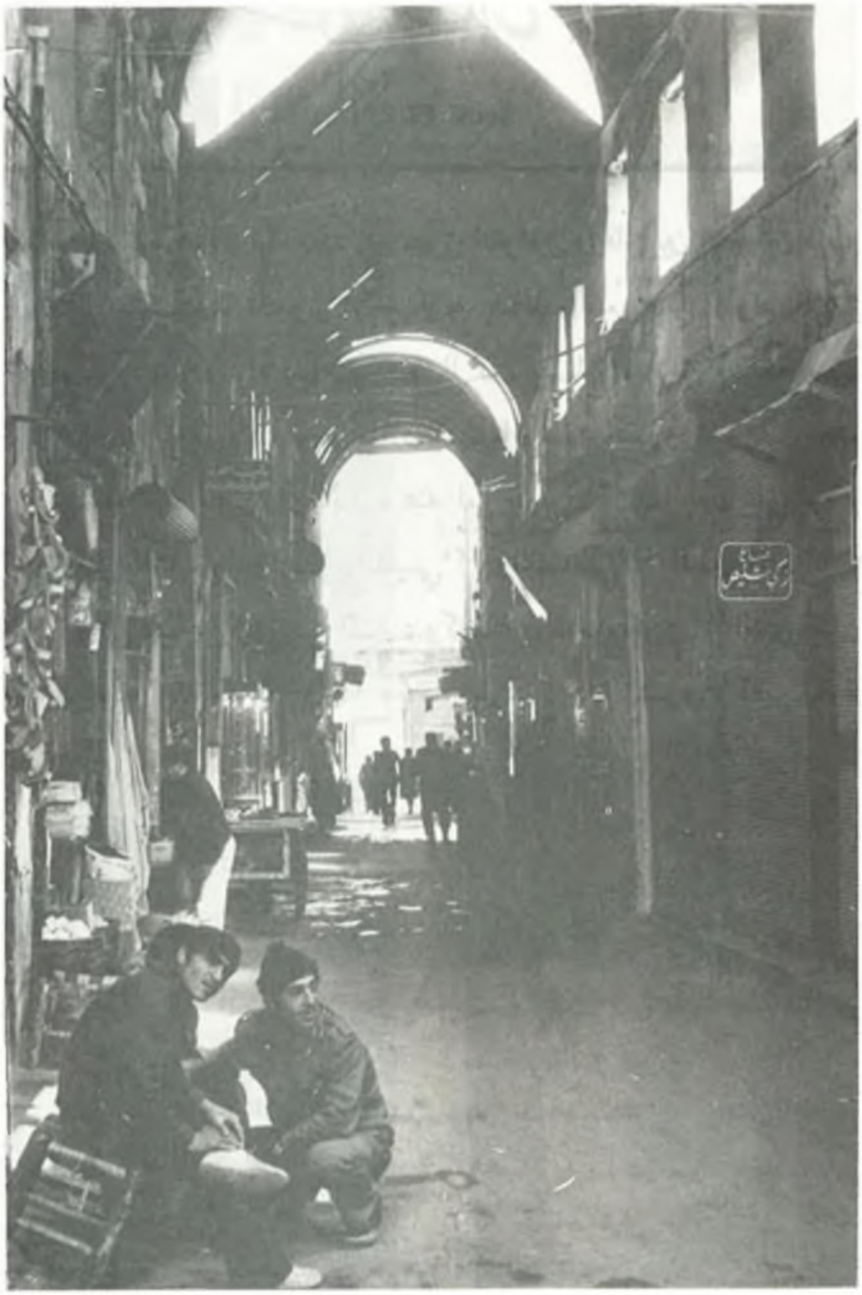
(١) مجتمع مدينة دمشق : د. يوسف نعيسة ج١ ص ١٠٥ والحاشية ٤ .

(٢) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان : ابن طولون ج١ ص ١٦٤ .

(٣) الدارس في تاريخ المدارس : عبد القادر النعيمي ج١ ص ١٧٨ - ١٧٩ - ٤٢٩ .

(٤) الروضة الغنـاء في دمشق الفيحاء : نعمان القساطلي ص ٩٨ .

(٥) لطف السمر وقطف الثمر : نجم الدين محمد بن محمد الغزي الدمشقي . تحقيق محمود الشيخ . وزارة الثقافة ، ١٩٨١ ، السفر الأول ص ٣٢٧ .



سوق السلاح بعدسة المؤلف من الجنوب الى الشمال في سبعينات هذا القرن ، وفي العمق من الصورة سوق القوافين •



Pl. 25.— Armes damasquinées.

المختلفة ، وتعود تسمياتها الى أصول فارسية على الغالب وهي :

1 — دبّوس •

2 — خنجر •

3 — سِنان حربة •

4 — طَبَر (فأس) •

5 — مِزْراق أو خِشْت ، ومنها قول العامّة في الشتيمة : (وخِشْت !) •

6 — مِغْفَر أو خوذة أو بيضة •

7 — رمح •

8 — جاكوش •

خـان التتـن :

من خانات العهد العثماني في سوق السلاح ، نسبت تسميته الى (التتن) وهي كلمـة تركية تعني التبغ والتنبـاك ويظهر أنـه كان مخصصاً لتجارة التتن في ذلك العهد[1] ، ولا تتوفر لدينا معلومات تشير الى تاريخ انشائه على وجه التحديد ، وتشغل الخان حالياً متاجر ومشاغل وورشات ومسـتودعات ، كما تقوم الدوائر المختصـة بترميمه في الوقت الحاضر •



الفسحة الداخلية لخان التتن من الشرق الى الغرب أثنـاء عمليات الترميم التي تجريها الجهـات المختصـة لاعادتـه الى مظهره الأصلي •

(بعدسـة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

(١) خانات مدينة دمشق : د. عبد القادر الريحاوي . الحوليات الاثرية ، مديرية الآثار والمتاحف ، المجلد ٢٥ ، ١٩٧٥ ، ص ٦٣ .

خان السفرجلانية (السفرجلاني) :

من خانات العهد العثماني في سوق السلاح ، ورد أول ذكر لـه في سـجلات المحاكـم الشرعية سنة (١١٧١ هـ/١٧٥٧ م) وهــو مغطّى بثلاث قباب[1] وتشغله حالياً مستودعات ومخازن وورشات .



المدخل المعتم لخان السفرجلانية من الغرب الى الشرق

(بعدسـة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

---

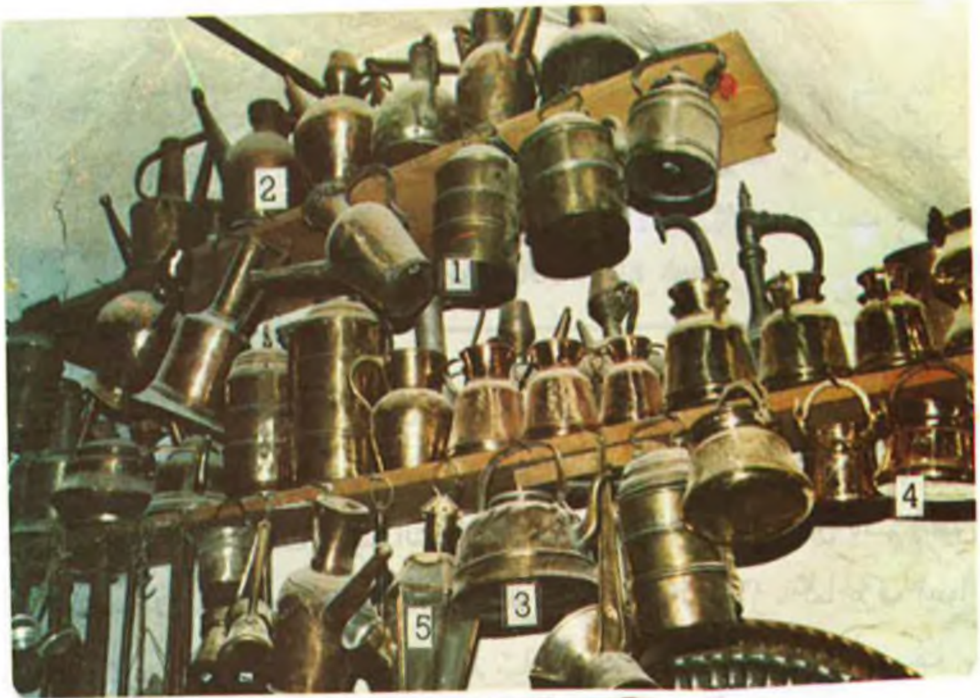
(١) المصـدر السـابق ص ٦٤ .



بعض من المواد التي تباع في سوقي البزورية والسلاح وهي :

القرفة ، العصفر ، البهارات ، الفلفل الأسود ، الزنجبيل ، الزعتر ، لوازم الكراوية ، الصنوبر ، اللوز ، الجوز ، جوزة الطيب ، الكمّون ، دقّة الفلافل ، الهال ، عرق السوس ، نشاء ، يانسون ، قرنفل، زيت النارنج، بابونج، جوز هند، ماء الزهر ، ماء الورد ، نعنع ، مليّسة ، هندبة يابسة ، كركم ناعم ، طحين ، فرخة (سميد) ، أدوية شعبية ، زيوت ، أصبغة الدهانات (ويعرف اللون الأحمر مثلاً باسم : دودة ، والأصفر الترابي باسم : أُهْرا) ، اضافة الى عديد من المواد الأخرى المشابهة .







صورتان لبعض المصنوعات النحاسية العتيقة التي تباع في احد المتاجر من خان التتن في سوق السلاح ، وقد اوردت ذكر تسمياتها الدارجة على السنة الناس مع ذكر أصولها اللغوية وهي :

1 — سفرطاس : واصل اللفظة تركي(١) (سفرطاسي) وتعني علبة الرحلات او وعاء السفر . وكان الاطفال عندنا يحملون بواسطته الطعام عند ذهابهم للمدرسة ، ويعرف أيضا باسم (المطبقية) نسبة للطبقات المتعددة التي يحتويها .

2 — إبريق : وهي لفظة فارسية(٢) الاصل تعني اناء من خزف أو معدن له عروة وفم وبلبلة لصبّ الماء .

3 — ابريق الشـاي .

4 — سطل اللبن: سطل لفظة تركية(٣) تعني وعاء بحمّالة.

5 — فنار : لفظة تركية(٤) تعني مصباح (وكان يضاء بالكاز) .

6 — غلايـة قهوة .

7 — بطـَحـنـَة بن" .

8 — هاوَن : لفظة فارسية(٥) تعني مهراس لسحق الجوز والصنوبر وغيرهما ، ولسحن اللحمة والثوم وغير ذلك .

9 — سَمَاوَر : تسمية فارسية(٦) الأصل تعني وعـاء تحضير الشـاي بواسطة بخار المـاء .

(١) معجم (كتاب معاني لهجة) : ردهاوس . مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٧ .

(٢) معجم الألفاظ الفارسية المعرّبة : السيد آدى شير . مكتبة لبنـان ، بيروت ، ١٩٨٠ .

(٣) المصـدر رقم ١ . (٤) المصـدر السـابق .

(٥) المعجم الذهبي : د. محمد التونجي . دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠ . (٦) المصـدر السـابق .

سـوق البزورية

Souk EL - BZOURIAH

يمتد هذا السوق المغطّى بساتر معدني قوسي من الشمال الى الجنوب ، من زقاق بين البحرتين الواصل الى قصر العظم ، وحتى سوق مدحت باشا ، عرف في السابق باسم (سوق القمح)[١] كما عرفت بدايته الشمالية الآخذة الى زقاق بين البحرتين باسم (سوق الدهيناتية) حيث كانت تعمل به سائر الأدهان كدهن اللوز وبه تباع[٢] ، كما عرف أيضاً باسم (سوق العطّارين) وبه تباع السكاكر والمربّيات والحلويّات[٣] ، وذكره يوسف بن عبد الهادي في العهد المملوكي بقوله : سوق البزوريين يباع فيه العطر والأبازير[٤] . الأمر الـذي يدل على تواجده في ذلك العهد وربما قبل ذلك ، كما ذكره ابن طولـون[٥] والنعيمي[٦] وابن شدّاد[٧] دون تحديد لموقعه . وفي العهد العثماني المتأخر قـام الوالي (حسين ناظـم باشا) بتغطيته بسقف ساتر من التوتياء والحديد حماية له وللمناطق المجاورة من امتداد النار منـه واليه عند شبوب الحرائق (أنظر مخطط الأسواق والخانات) .

ومما كتبه القاسمي حول هذا السوق ـ وهو يؤرخ للفترة العثمانية المتأخرة حوالي

(١) استنادا لخارطتي دمشق القديمة اللتين وضعهما د. صلاح الدين المنجّد . ونشرت مديرية الآثار العامة احداهما ، بينما نشر المجمع العلمي العربي الاخرى وهما تغطّيان العهد السلجوقي والزنكي والأيوبي والمملوكي .

(٢) نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق : يوسف بن عبد الهادي . تجدها في رسائل دمشقية . تحقيق صلاح محمد الخيمي . دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ٧٥ . أيضا مجتمع مدينـة دمشق : د. يوسف نعيسة دار طلاس ، دمشـق ، ١٩٨٦ ، ج١ ، ص ١٠٦ ، رقم السوق ١٨ .

(٣) الروضة الغنّـاء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي . ص ٩٨ .

(٤) نزهة الرفاق في شرح حال الأسواق : يوسف بن عبد الهادي . تحقيق حبيب الزيّات . مجلة المشرق ، عدد ٢٧ ١٩٣٩ م ، السوق رقم ١٧ .

(٥) مفاكهة الخلاّن في حوادث الزمان : ابن طولون . انظر فهارس الكتاب .

(٦) الدارس في تاريخ المدارس : النعيمي . الفهرس .

(٧) الأعلاق الخطيرة (تاريخ مدينة دمشق) : ابن شدّاد . تحقيق د. سامي الدهّان . المعهد الفرنسي للدراسـات العربية بدمشق ، دمشق ، ١٩٥٦ ، ص ٢٩٢ .

نهايات القرن التاسع عشر ـ قوله (العطّار في الأصل اسم لمن يبيع العطر ، أمـا الآن فهو اسم لمن يبيع أصناف شتّى من سكّر وأرزّ وملح وغيرها ، ثم من العطّارين من يتقن كيفية عمل السكّر لأنواع متعددة فيصنعها في داره ويبيعها في دكّانـه . ولهذه الحرف سـوق مهمّ بدمشق يعرف بسوق البزورية)[8] .

وكتب أيضاً يقول (الذهبي اسم لمن يبيع ويتجر بالذهب البسيط الساذج بسائر أنواعه كالمحلول والمسحوق وغير ذلك من كل ما يصلح للدهان والنقش به والكتابة وغير ذلك مـن سائر أنواع التزيين . وغالب الذهبيين في سوق البزورية)[9] . ومن المعروف أن التسمية التي يطلقها الناس على هذا النوع من الدهان هي (ماء الذهب) وتلفظ بالعاميـة اختصاراً (مادهب) .

تباع في سوق البزورية حالياً خلافاً للتوابل والبزورات ، رقائق الكلاج والقمر الدين . وأنواع الشموع ، والسكاكر والمربيات ، وعلب الأفراح والمناسبات السعيدة، والعطورات والنباتات العطرية والطبية (للطب العربي أو الشعبي) والزيـوت والدهانـات وصبغاتها ، والزيوت النباتية والسمنة الى آخر ما هنالك من المواد التموينية الأساسية .

وقد لاحظت أثناء زيارتي الميدانية لهذا السوق في مطلع عـام (١٩٨٩ م) أن السـلع التخصصية التي كانت وقفاً عليه كالتوابل وما شابه من البزورات ، صارت تباع في سوق السلاح وزقاق بين البحرتين بعد أن افتتحت فيهما محال تجارية متشابهة ما زالت تتزايد كل يـوم .

من المشيّدات الهامة في هذا السوق (خان أسعد باشـا) وقبالته (خـان العمود) ثم (حمّام نور الدين) ، كما يقع قصر العظم (متحف التقاليد الشعبية) قرب نهايته الشمالية بانحراف قليل نحو الشرق ، كذلك تقع (دار القرآن والحديث التنكزية) في زقاق معاويـة المجاور لحمّام نور الدين .

---

(٨) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٨ ، ص ٣١١ .

(٩) المصـدر السـابق ص ١٥١ .



سوق البزورية من الشمال الى الجنوب

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



سوق البزورية في مطلع القرن العشرين بعدسة (كيراكوزيان) الذي خلف المصور الشهير (بونفيس) وافتتح في بيروت محترفا للتصوير يحمل اسم (تصوير بونفيس) تخليدا لذكرى هذا المصور الذي سجّل وابنه بلاد الشام بعدستيهما خلال السنوات (١٨٦٧ ـ ١٨٩٥ م) •



سوق البزورية من نفس زاوية التقاط الصورة السابقة انما بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م ويلاحظ فيها اختلاف اقطار بعض الاقواس الزخرفية الحديدية التي تعلو الحوانيت الأمر الذي جعلها تفقد رتابة ايقاعها السابق • والطريف في هاتين الصورتين ظهور صفائح (الكلّاج) المستدير معلّقة عند مدخل الحوانيت بنفس أسلوب العرض الذي كانت عليه منذ العهد العثماني الى اليوم ، كذلك شكلها الدائري الذي لم يتبدّل منذ تلك الحقبة •



سوق البزورية من الشمال الى الجنوب بعدسة المؤلف في مطلع الثمانينات حين كانت أرتال السيارات تعبره باتجاه واحد، من الجنوب الى الشمال ، من سوق مدحت باشا الى زقاق بين البحرتين فالحريقة، مما كان يسبب في ازدحام هذا السوق بدرجة كبيرة، ناهيك عن الضجّة الناتجة من هدير محركات هذه السيارات ، والغازات الخطرة التي كانت تنشرها في هذا المكان المغلق . أما اليوم فالهدوء يخيّم على كامل السوق نتيجة منع الآليات من المرور فيه ، وخيرا فعلت الجهات المختصّة ، وأرجو أن تعمم هذا الأمر على كافة الأسواق الأخرى الضيقة .



لا زالت بعض الأقواس الحديدية التزيينية ، المزخرفة بالنحاس أحيانا ، تعلو عددا من المحال التجارية في سوق البزورية ، وبعضها يعود الى العهود السابقة منذ أن كانت معممة في كامل السوق ، بينما البعض الآخر محدث في الوقت الحاضر •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



واحد من المحال التجارية في سوق البزورية حيث تباع الشموع المزخرفة لكافة المناسبات الى جانب (الملبّس) وأنواع التوابل والسكاكر ورقاقات القمرد'ين وما شابه •

(بعدسة المؤلف في نهاية السبعينات من هذا القرن) •



كانت العادة عنند الزواج في دمشق ان يكون (سَبَتْ العروس) من الضروريات الأساسية لليلة العرس وهو عبارة عن حامل خشبي مزخرف بالالوان ومتعدد الطبقات يملأ بالملبس والسكاكر والنوغا والراحة واحيانا بالشوكولاته وغير ذلك من المصنوعات السكرية التي سآتي على ذكرها بعد قليل. يوضع هذا السَبَتْ أمام (الأسكي) وهو المكان المرتفع المجهز لجلوس العروسين أمام المدعوات من النساء فقط وهذه الجلسة تدعى (الصَمْدَة) ، وعلى العريس بين الحين والحين ان يغرف من محتويات السَبَتْ ويقذف بها الى المدعوات مع دعواته القلبية لهنّ بنفس (المصير) .

(بعدسة المؤلف في سوق البزورية اواخر السبعينات من هذا القرن)



لوحة زيتية (لليلة الدخلة) بريشة المؤلف عام ١٩٨٠م بعد أن ينتقل العروسان والسَبَت° الى غرفتهما ؛ ولهذا السَبَت° فوائد جمّة أهمها انه يشكّل فاتحة حديث بين اثنين لم يعرف احدهما الآخر قبل هذه الليلة ، كما ان مادة (السكّريات) هي من المصادر الهامة للطاقة اضافة الى كونها واسطة التسلية والمتعة .





الفاكهة المجفّفة (المربيات) التي كانت تباع في سـوق البزورية ضمن علب مستديرة مـن الخشب المزخرف بالألوان البدائية يعرف مفردها على ألسـنة الناس باسم (مَجْمَع) ، وأغلب هذه الزخارف تحمل عبارات (مأكول الصحّة أو مأكول الهنا أو مأكول العافيـة) ، وقد عانيت كثيراً حتى استطعت في نهاية الأمر أن أحصل عـلى مجمع قديم مرتفـع الثمن ، وأفادني التجّار في السوق أن صنّاعه توقفوا عن زخرفته توفيراً منهـم لبضع دراهم فقضوا على احدى المظاهر التراثية الفريدة في جمالها .

أما الفاكهة المجففة أو المربيات فتتكوّن عـادة من (المشمش والتفـّاح السكّري والأجاص والباذنجان والجوز وما شابه) وتغطى هذه بطبقة من (الجلاتين) بعد أن تكون قد عرّضت للغلي واضافة القَطْر وبعض المواد الأخرى الضرورية .

(بعدسـة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

ومن المربيات الأخرى التي كانت تصنع أو تباع في سوق البزورية ابّان العهد العثماني وربما قبله ما ذكره القاسمي[1] بقوله (مربّى الكباد والبرتقـال والدراقن الزهري والتفاح وغير ذلك من الفواكه أيضاً ، وراحة الحلقوم بسائر أنواعها ، كالقنابيب والجوارش وغزل البنات ، ويصنع السكّر نبات أيضاً ، وينوعون السكّر أنواعـاً ، ويربّون فيـه المشمش المحشو بالفستق ، العجيب ، اللذيذ الطعم ، ويجعلون منـه كأشكال الورد والزهر والصور والمشجّر والمشبّك بجوز الهند والفستق وغير ذلك) .

وتبين لي اثر زياراتي المتكررة لسوق البزورية عام ١٩٨٩ م في محاولة لتجنّب أي نقص حاصل في هذا البحث الميداني ، أن ما يصنع من هذه المربيات الآن خلافاً لما ذكر أعلاه (مربّى الكبّاد ومربّى التفاح) ، ومن الـسكّريات (السكّر نبات) و (غزل البنات) ، أما البقيـة فطواها النسيان ، وغاب طعمها عن اللسان ، وكفّ عن صنعهـا الانسـان ، ولكـم تمنيت الحصول ولو على نموذج واحد من تلك المصنوعات السكرية التي عايشت طفولتنـا ، وعشنا معها أعيادنا ، ولا زلت أذكـر (ليل تالله ، والشطّي مطّي ، وحلّي سنونك ، ودبّوسك يا ولد وغيرها) وقد اختفت جميعها في أواخر الخمسينات من قرننا هذا .



قرص (المشبّك) المصنوع من الفستق الحلبي والسـكر الأبيض الذي يعتبـر من حلويات الضيافة في الأفراح والموالد ، ويباع في سوق البزورية على وجه الخصوص ، كمـا يباع في متاجر الحلويات المتوزعة في أنحاء المدينـة .

(بعدسـة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

(١) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس دمشق ، ١٩٨٨ ، ص ١٨٤ .



مُلَبَّس الضيافة والأفراح والمناسبات السعيدة والموالد المصنوع من لوز محمّص مطلي بالسكّر المصقول ، وكان لون هذا السكّر في السابق أبيضاً حليبياً فقط ، أما اليوم فصار على ألوان متعددة ، ومن الأنواع الأخرى لهذا المُلَبَّس ما كان أساسه الفستق ، والصنوبر ، وجوز الهند ، والبندق كما يذكر القاسمي[1] . أما اليوم فلم يبق من هذه الأنواع سوى اللوز ، وبدرجة أقل الفستق الحلبي وهما يباعان في سوق البزورية وغيره .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

---

(١) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٨ ، ص ٣١٢ .



تعتبر (القضامة على سكّر) من المصنوعات الدمشقية العريقة المفضلة عند الأطفال والكبار على حدّ سواء ، وهي تصنع من الحمّص المحمّص المطلي بالسكّر الملوّن ، وتباع في سوق البزورية وغيره •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)





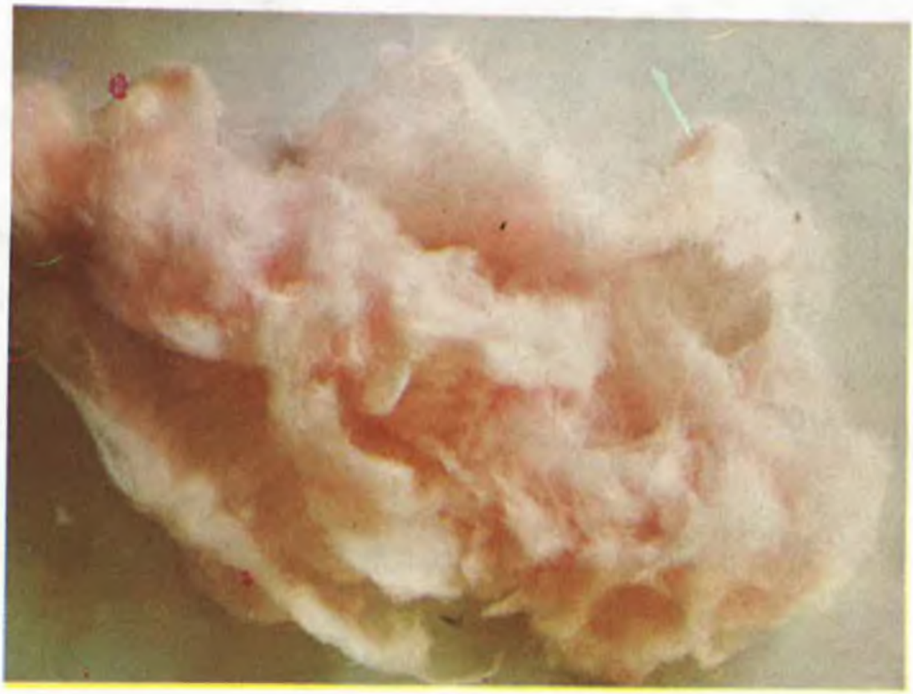
نماذج مصغّرة لأقفاص العصافير وأباريق الشاي وآلـة العـود الموسيقية والورود والبيض وغيرها مصنوعة من السكّر الأبيض الاعتيادي المزخرف بنقوش ملونـة من نفس المادة ، وهي صناعة دمشقية يدوية تعتمد على الحس الجمالي وعفوية الذوق والمهارة اليدوية لدى صانعها ، وتباع هذه المنتجات في سوق البزورية بصورة خاصة ويهواها الأطفال للعب بها فاذا ملّوها أو انكسرت تناولوها لطعمها الحلو اللذيذ .

(عدسة المؤلف في بدايات السبعينات من هذا القرن)



السكاكر المعروفة على ألسنة الأطفال باسم (ببابي أو بوابي أو ببّيات سكّر) وهي تحريف للكلمة الفرنسية Poupée وتعني (الدمية) اذ كانت هذه السكاكر في الأصل على شكل الدمى ولكن حجمها كان أكبر مما هو عليه الآن ، ثم أضيفت اليها أشكال جديدة كالقباقيب والأسماك ومسدسات (الكاوبوي) والموز • ويسمي التجّار هذه السكاكر (فاندان : Fondant) وتعني الذوّاب لأنها تذوب إثر وضعها في الفم ، وهي تصنع من مادة السكّر والقطر والجلاتين ، وصبغة طبيعية وماء ، وتباع عادة في سوق البزورية وباب الجابية والمحافظات ، كما يكثر استهلاكها في الأعياد •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



(غزل البنات) المصنوع من السكّر بعد تعريضه للدوران السريع والحرارة المرتفعة في جهاز خاص يؤدي بفعل (القوة النابذة) الى تناثر مادته على شكل خيوط دقيقة هشّة تشبه القطن المندوف فتصبح سريعة الذوبان في الفم كما أن طعمها لذيذ للغاية • ومن المؤسف أن صناعة غزل البنات آخذة بالتراجع في أيامناهذه وقد يأتي اليوم الذي يتوقف صنّاعها عن إنتاجها إسوة ببقية المواد السكّرية التي زالت من الأسواق •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

خـان اسعد باشـا :

من خانات العهد العثماني ، شيّده في سوق البزورية والي دمشق (أسعد باشا العظم) وشرع بالبناء سنة (١١٦٥ هـ/١٧٥١ م) وانتهى سنة (١١٦٧ هـ/١٧٥٣ م) ، وفي سنة (١١٧٣ هـ/١٧٥٩ م) أصابه زلزال أسقط ثلاثاً من قبابه ، وقـد أعجب به الشاعر الفرنسي الشهير (لامارتين) عندما زاره سنة (١٨٣٣ م) وكتب عنه يقول (من أجمل خانات الشرق ، وان شعباً فيه مهندسون لديهم الكفاءة لتصميم مثل هذا الخان ، وعمّال قادرون على تنفيذ مثل هذا البناء ، لجدير بالحياة والفن)[١] .

تحوّل الخان بعد أن فقد وظيفته الأساسية في بدايات القرن العشرين الى مستودعات تجارية ومشاغل وما شابه من محال ومتاجر ، حتى بدايات النصف الثاني من الثمانينات حين بدأت الجهات المختصة عمليات ترميمه لاستغلاله سياحياً بعد إعادته الى رونقه الأصلي ، وقد رأيت عند زيارتي له في الشهر الخامس من عام (١٩٨٩ م) أن عمليات الترميم هذه عـلى وشك الانتهاء .



الأقواس المزخرفة التي تعلو باب خـان أسعد باشـا

(حقبة الصورة بدايات القرن العشـرين)

(١) للتوسع انظر خانات مدينة دمشق : د. عبد القادر الريحاوي ، الحوليات الاثرية ـ مديرية الآثار والمتاحف المجلد ٢٥ ، ١٩٧٥ ص ٦٤ ، ايضا جرد اثري لخانات دمشق : د. فؤاد يحيى ، الحوليات الاثرية المجلد ٣١ ، ١٩٨١ ص ٩٥ .



قباب خان أسعد باشا العظم من الداخل وتلاحظ فيها الزخارف الغنيّة وتناوب المداميك الحجرية الملونة وطراز الهندسة المعمارية المميّزة .

(بعدسة المؤلف في منتصف الثمانينات)

خـان العمود :

، يعتبر هذا الخان المتواجد في سوق البزورية قبالة خان (أسعد باشا) من خانات العهـد العثماني وقد أطلقت تسميته نسبة الى عمود ضخم كان قائماً في باحته الثانية المكشوفة ثم زال وبقي الاسم[1] ، ولم أجد في المصادر التي تؤرخ العهد المملوكي أي ذكر له ، غير أن (القساطلي)[2] الذي تحدث عن خانات دمشق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أورد ذكره دون تفصيل ، والخان بحالته الراهنة عبارة عن مستودعات ومتاجر للمنظفات وما شابه .



مدخل خان العمود في سوق البزورية تعلوه اللافتة الزرقاء التي تحمـل اسمه دون تاريخ للبناء ، وتحتشد عند هذا المدخل علب الصابون والمنظفات وما شابه .

(بعدسة المؤلف صيف عـام ١٩٨٩ م)

---

(١) جرد اثري لخانات دمشق : د. فؤاد يحيى ، الحوليات الاثرية . مديرية الآثار والمتاحف مجلد ٣١ ١٩٨١ ص ٩٧ .

(٢) الروضة الغناء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي ، دار الرائد العربي ــ بيروت ١٩٨٢ ص ١١٠ .

حمـــام نور الدين الشهيد :

ينسب بنـــاؤه في ســـوق البزورية الى السلطان نور الدين محمود بن زنكي (الملقب بالشهيد) عام (٥٦٥ هـ/١١٧٠ م) كما تشير اللوحة الرخامية المثبّتة جانب بابه ، أما اللافتة في أعلاه فتحمل عبارة (جدد عام ١٤٠٠ هـ) وهذا التاريخ يوافق عام (١٩٨٠ م) ٠



واجهة حمّام نور الدين الشهيد في سوق البزورية

(بعدســة المؤلف عــام ١٩٨٩ م)



دار القرآن والحديث التنكزية في زقاق معاوية الآخذ الى سوق البزورية بجوار حمام نور الدين وقد أشرت اليها بسهم• شيّدها في العهد المملوكي نائب الشام الأمير تنكز سنة (٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م) وجـدد عمارتها الشيخ كامل القصّاب في أواخر العهد العثماني سنة (١٣٢٩ هـ/١٩١١ م) كما هو منقوش فـوق ساكف بابهـا •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م من سوق البزورية غربا نحو زقاق معاوية شرقا)



واجهة دار القرآن والحديث التنكزية من الشمال الى الجنوب

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

قصر العظم :

يقع هذا القصر شمالي سوق البزورية وشرقي زقاق بين البحرتين ، شيده الوالي أسعد باشا العظم سنة (١١٦٣ هـ/١٧٤٩ م) فوق جزء من معبد (جوبيتر) الروماني ، وتعددت احتمالات وقوعه فوق قصر معاوية بن أبي سفيان المسمى (قصر الخضراء) أو دار (خالد بن الوليد) ، ومن المعروف أنه كان يشغل مكان دار نائب السلطنة في العهد المملوكي (الأمير تنكز) المعروفة (بدار الذهب) لما كان فيها من غنى زخرفي والمشيدة فوق (دار الفلوس) .

وفي سبيل بناء هذا القصر ، جنّد الوالي أسعد باشا أمهر الصنّاع والعمال ، كما استولى على العديد من مواد البناء من دور أهل دمشق وأشجارها ، واستغرق انجاز العمل ثلاث سنوات فجاء آية في الابداع وحسن العمارة والفخامة ، وجمال الزخارف والنقوش ، وقسم الى (السلملك) وهو قسم الرجال و (الحرملك) للنساء . وفي عام (١٩٥٤ م) تم تحويله الى متحف للتقاليد الشعبية[1] .



بطاقة بريدية لباحة الحرملك في قصر العظم بدمشق ومشيداته التي نفذت بالمداميك الحجرية الملونة المتناوبة ، وأفقية الاتساع المريح في فسحته السماوية الغنية بالأشجار والنباتات والورود .

(١) للتوسع انظر : مدينة دمشق : د. عبد القادر الريحاوي ، دمشق ١٩٦٩ ص ١٩٥ ، ايضا دليل متحف التقاليد الشعبية ، ايضا قصر العظم بدمشق : د. صلاح الدين المنجد ، بيروت ١٩٤٧ ، ايضا العمارة العربية الاسلامية: د. عبد القادر الريحاوي ، وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٧٩ ص ٢٢٧ .

سوق الصقّالين

Souk EL - SAKKALIN

سوق صغير ضيّق يفتح طرفه الغربي قرب النهاية الجنوبية لسوق البزورية ، كما يفتح طرفه الشرقي في (نزلة معاوية) ، ويغطيه ساتر معدني مجزأ (أنظر مخطط الأسواق والخانات) .

لم يرد ذكره في المؤلفات التي تتحدث عن أسواق دمشق في العهد المملوكي ، كما لم يشر اليه القساطلي بهذا الاسم بل باسم (سوق الرزّ)[1] ، غير أن القاسمي ذكر تسمية الصقّالين عند الحديث عن الرزّاز بقوله (الرزّاز اسم لمن يتجر بالأرزّ وغالب مقر تجاره في الخان المسمى به ومحله عندنا في الشام بسوق الصقّالين الآخذ الى سوق البزورية)[2] .

والصقّال بالعربية : من يجلو ويملّس ويكشف الصدأ[3] ، ولم أتمكّن من الربط بين هذه التسمية وبين السوق ، وكذلك لم يتمكّن التجار فيه ، وقد حدثني أحد كبار السنّ فيهم أنه مذ تفتّحت عيناه على الدنيا واسم هذا السوق : الصقّالين وهو لا يعرف لذلك معنى . أما ولتسينجر[4] فيطلق عليه اسم (سوق الرزّ) ولعلها نسبة لخان الرزّ المتواجد فيه، والذي ذكره د. يحيى[5] وصنّفه ضمن خانات العهد العثماني قبل عام (١٩٠٠ م) ، كما أشارت اليه خارطة شرطة دمشق باسم (الصقّالين) . كل هذه المؤشرات تدعو الى الاعتقاء بنشوء هذا السوق في العهد العثماني خصوصاً وأن خان الرز هو من خانات ذلك العهد على الرغم من أن سوق البزورية من أسواق العهد المملوكي .

---

(١) الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي ، دار الرائد العربي بيروت ١٩٨٢ ص ٩٩ .

(٢) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي دار طلاس ، دمشق ١٩٨٨، ص ١٥٤ .

(٣) معجم المنجد في اللغة والاعلام دار المشرق ، بيروت ١٩٨٤ .

(٤) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر ، تعريب قاسم طوير دمشق ١٩٨٤ ص ١٦٩ رقم ٣ .

(٥) جرد اثري لخانات دمشق: د. فؤاد يحيى، الحوليات الاثرية مجلد ١٩٨١/٣١ ص ٨٨ رقم الخان ٢٤٨ .

لم أجد عند زيارتي الميدانية للسوق والخان سوى بضع حوانيت لبيع أكياس النايلون والورق والأغطية البلاستيكية (المشمّعات) ، الى جانب مستودعات متعددة وبضع محالّ تتجر بحلويات الأطفال كالسكاكر والبسكويت وما شابه •



مدخل سوق الصقّالين من الغرب الى الشرق،من سوق البزورية الى نزلة معاوية

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



سوق الصفّالين من الغرب الى الشرق وفي جهة اليمين من عمق الصورة (خان الرزّ) ويعلو السوق ساتر معدني هرمي مجزّأ .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



واجهة خان الرز" في سوق الصقالين حيث كانت تجارة الرز" متركزة فيه ابان العهد العثماني المتأخر ، أما اليوم فتشغله المستودعات .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

سوق مدحت باشا

Souk MADHAT PASHA (The STREET CALLED STRAIGHT)

هو الجزء الغربي من الشارع المستقيم المنشأ في العهد الروماني ويعرف على ألسنة الناس باسم (سوق الطويل أو الطويلة) وهو يمتد من الغرب الى الشرق بين جادة الدرويشية وسوق البزورية مع تجاوز قليل نحو الشرق ، كما يوازي سوق الحميدية من جهة الجنوب (أنظر مخطط الأسواق والخانات) .

عرف هذا السوق في العهد المملوكي باسم (سوق جقمق)[١] نسبة الى نائب الشام الأمير سيف الدين جقمق (٨٢٢ هـ/١٤١٩ م ـ ٨٢٤ هـ/١٤٢١ م)[٢] الذي ينسب اليه بناء خان جقمق والمدرسة الجقمقية ، ثم تحولت التسمية في العهد العثماني الى (سوق مدحت باشا) عندما قام الوالي مدحت باشا الملقب بأبي الدستور بتوسيعه سنة (١٢٩٥ هـ /١٨٧٨ م) بعد أن أشعل الحرائق في الدور السكنية التي كان السوق مكتظاً بها اثر معارضة سكانها للاخلاء[٣] ، كما جدد أيضاً سنة (١٣٠٨ هـ/١٨٩٠ م) أيام الوالي (رؤوف بك)[٤]، ثم قام الوالي (حسين ناظم باشا) الذي تولى دمشق ثلاث مرات خلال السنوات (١٨٩٥ ـ

---

(١) نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق : يوسف بن عبد الهادي (تجد هذه الرسالة في كتاب رسائل دمشقية) تحقيق صلاح محمد الخيمي دار ابن كثير دمشق ـ بيروت ١٩٨٨ ، ص ٧٧ السوق رقم ٣٠ . وقد عيّن ابن عبد الهادي موقع هذا السوق الى الغرب من (التكة) المعروف حاليا بخان الدكة خلافا لبعض المراجع الحديثة التي تذكر موضعه بجوار خان جقمق . كما وردت تسمية هذا السوق بـ (الفسقار) عند ابن عساكر وفي بعض الاحيان (السوق الكبير) ، وذكر أيضا ابن طولون سوق (الفسقار) في المفاكهة وحدد موقعه قرب باب الجابية ، اما النعيمي في كتاب الدارس فقد أورد اسم (سوق النائب) بقوله : (سوق اشبك الساقي بالقرب من البزوريين بسوق النائب) ، وباعتقادي أن هذه التسمية تنسب الى نائب الشام المملوكي الامير جقمق ، فان صحت هذه الفرضية كان سوق النائب هو نفس سوق جقمق .

(٢) خطط دمشق : اكرم حسن العلبي . دار الطباع ، دمشق ، ١٩٨٩ ، قسم الاسواق .

(٣) سورية والعهد العثماني : يوسف الحكيم . دار النهار ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٥٤ .

(٤) الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية : عز الدين عربي كاتبي الصيادي . دمشق ، مطبعة المقتبس ، ١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م ، ص ٣٤ .

١٩١١ م) بتغطيته بالحديد والتوتياء حماية لهمن امتداد النار منه أو اليه عند شبوب الحريق بعد أن كـان مسقوفاً في العهـد المملوكي بالخشب[٥] • وفي عام (١٩٢٥ م) احترق قسم منه اثر القصف الفرنسي لمنطقة الحريقة ابّان الثورة السورية فأعيد اعمار ما خرّب بعد ذلك ، كما تعرض سقفه المعدني لرشقات الرصاص في تلك الثورة وما زالت آثارها باقية الى اليوم •

يعتبر سوق مدحت باشا من الأسواق التخصصية بتجارة الأقمشة والملبوسات الشعبية (كالعبي والعقل) الى جانب الأغباني والكريتون والبسط الصوفية ، وفي قسمه الشرقي مواد العطارة ولوازم الدهان والأصبغة ، وقد تناثرت على طوله في الوقت الحاضر محال بيع المواد الأخرى كالمنظفات بأنواعها والأواني المنزلية البلاستيكية وما شابه ، اضافة الى بضع متاجر للكتب والقرطاسية والمصنوعات الشرقية النحاسية وغير ذلك مما جعل شهرته التخصصية في حالة تراجع مستمرّ •

من المشيدات الهامة في سوق مدحت باشا جامع هشام ومئذنته البديعة ثم خان الدكّة وخان الزيت وخان جقمق وخان سليمان باشا وأخيراً خان الصنوبر (الذي يعرف أيضاً بخـان الفوقاني أو خان المحروق) وهو من خانات العهد العثماني المتأخر[٦]، وعند زيارتي الميدانية لموقعه في منتصف عام ١٩٨٩ م شاهدته بقايا غرف مهملة متهدّمة تشغل ما سلم منها مستودعات تجارية •

---

(٥) ولاة دمشق في العهد العثماني : د. صلاح الدين المنجّد ص ٩٤ والحاشية ٣ .

(٦) جرد اثري لخانات دمشق : : د. فؤاد يحيى . الحوليات الاثرية ، مجلد ٣١ / ١٩٨١ ، ص ٨٨ .



سوق مدحت باشا المغطّى بساتر معدني قوسي تخترقه أشعة الشمس عبر الثقوب التي أحدثتها رشقات الرصاص ابّان سنتي الثورة السورية (١٩٢٥ ـ ١٩٢٧ م) فتتناثر على أرضه بقعا من الضياء •

(الصورة بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م وهي ملتقطة من الشرق الى الغرب)



المدخل الغربي لسوق مدحت باشا من الشرق الى الغرب حوالي الثلاثينات من هذا القرن العشرين بدلالة طراز السيارة القادمة من وسط الصورة ، وتبدو في العمق مئذنة جامع الخرّاطين (المدرسة السيبائية وبالعامية السباهية) التي شيّدها آخر نائب للشام في العهد المملوكي الأمير سيباي سنة (٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م) [١] أي قبل دخول العثمانيين الى دمشق بعامين فقط • كما يظهر في وسط الصورة الساتر القوسي الذي كان يغطي السوق عند مدخله الغربي •



المدخل الغربي لسوق مدحت باشا من الشرق الى الغرب ، ومن نفس زاوية التقاط الصورة السابقة ، انما هذه المرة بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م ويلاحظ فيها اختفاء الساتر القوسي المغطى لمقدمة السوق •

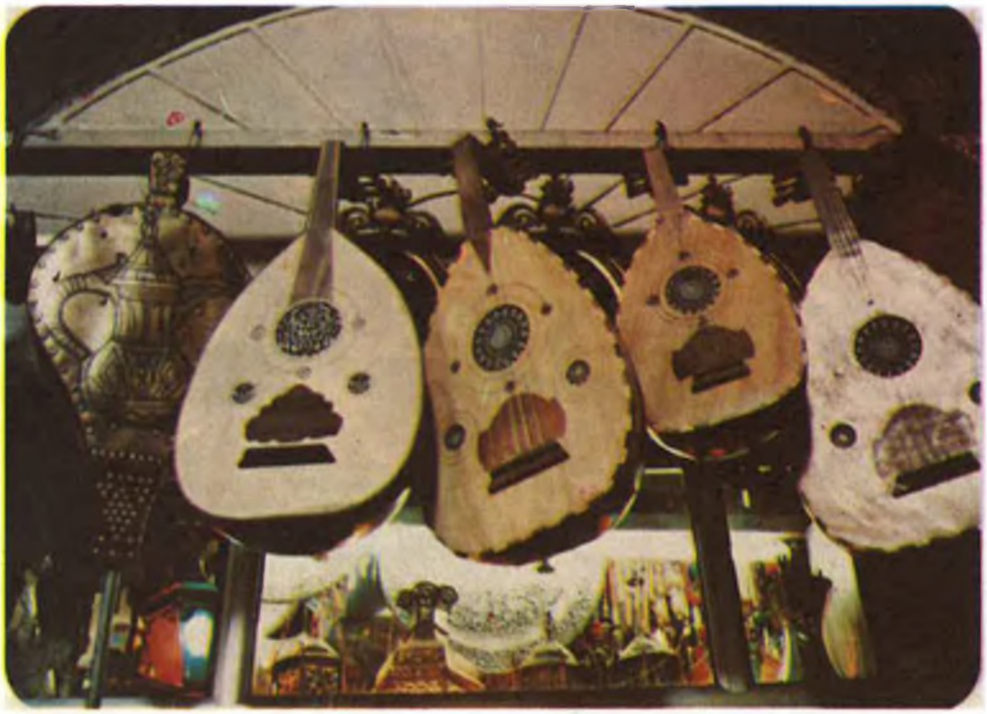
---

(١) العمارة العربية الاسلامية : د. عبد القادر الريحاوي . وزارة الثقافة ، ١٩٧٩ ، ص ١٧٦ .



الزخارف المعدنية القوسيّة المحدثة التي تعلو واجهات بعض متاجر سوق مدحت باشـا ، وقد لّونت خلفيّاتها بألوان متنافرة لا تنسجم مع المظهر التراثي القديم لهذا السوق ، كما أن الزخارف نفسها لا تمّت بصلة من حيث الشكل الى تلك المتواجدة أصلا فوق واجهات عشرات الحوانيت فيه ، والتي يعود بعضها الى عهود سابقة ، ولعله من الأفضل اعادة تصنيعها على طرازها القديم لتنسجم مع المظهر التاريخي لهذا السوق .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



آلة العود الموسيقية بزخارفها المتنوعة ، التي يطلق عليها الناس لقب (آلة الطرب الأصيل) تتدلّى فوق واجهة أحد المحال التي تتجر بالمصنوعات والتحف الشرقية في سوق مدحت باشا الى جانب (المنفاخ) في جهة اليسار ، هذه الآلة التي كانت تزكي الجمر توهّجاً حينما كان الفحم والحطب الواسطتين الوحيدتين للحصول على الدفء .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



رصف جمالي من المساحة واللون للبساط الصوفي الشعبي الذي يبـاع في بضـع متاجر متبقية في سوق مدحت باشا بعد أن تقلّصت صناعته اليدوية الى حـدّ يهدده بالانقراض اثر انتشار السجّاد الشعبي بديلا عنه ،غم ما يتميّز به من ألوان زاهية مشرقة ورسومات تجريدية مبسّطة ورخص نسبيّ في الثمن •

(بعدسـة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)



قماش (الكريتون) المزخرف برسوم الورد والأزهار والأشكال النباتية الذي يباع في سوق مدحت باشا لصنع الستائر وأغطية الدواوين ووجوه الكنبات .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

تتمركز في سوق مدحت باشا قرب نهايته الشرقية المجاورة لسوق البزورية حوانيت العطّارين ، وهي حوانيت تخصّصية تتجر بمواد العطارة والمواد المستعملة في المعالجة الطبية الشعبية من حشائش وأعشاب ونباتات ومنتجات بحرية أو صخرية أو ترابية ، وفي بعض الأحيان حيوانية تؤلّف بمجموعها القاعدة الدوائية لما يعرف (بالطب العربي) ، وتتدلّى هذه المواد معلّقة من سُقُف الحوانيت أو مكدسة في (سُطُول خشبية) أو مصنّفة في (قطرميزات) تراثية متبقية من زمن بعيد منذ أن كانت هذه المهنة تجارة رائجة قبل أن تبدأ بالتراجع عندما اكتشف الدواء الكيميائي .

ويحدّثك أصحاب هذه الحوانيت عن الفوائد التي يجنيها المريض بتناوله الأدوية الشعبية مستندين في شروحهم لخصائصها الدوائية الى التجربة المتوارثة لا الى الأسس الصيدلانية و (دستور الأدوية) ، وقد أوزدت تسمياتها وتأثيرها نقلاً عما يروونه حفاظاً مني على إبقاء الرواية الشعبية كما هي ، إضافة الى مراجعة بعض المصادر للتأكد من مدى مطابقتها للحقيقة ، وقد أشرت الى المصدر عند ذكر كل مادّة ، واليكم نماذج منها :

1 ـ نجم البحر : يستعمل مسحوقه مع العسل مضاداً للشلل (نقلاً عن العطّارين) .

2 ـ ليف الحمّام : لتنظيف الجسم في الحمّام بديلا عن الاسفنج المعروف (نقلاً عن العطّارين) .

3 ـ الحنظل : وهو (العلقم) المعروف بمرارته الشديدة ، يستعمل كمضاد لآلام المفاصل والقولنجات والنقرس والتشنّج(١) .

4 ـ خيار شمبر أو شنبر : دواء مليّن للجهاز الهضمي(٢) .

5 ـ عنّاب : لالتهاب القصبات والنزلات الصدرية والسعال(٣) .

6 ـ اسفنج عربي حيواني : قاطع للنزف اذا أحرق مع الزيت(٤) .

7 ـ ذنب الخيل : مدر للبول ، مقو للرئة ، مضاد للنزف(٥) .

8 ـ شرش الروباص : أصلها ريباس ، مقو جنسي ومنشّط للكبد(٦) .

9 ـ نوفر (بنات قصب الماء) : منشّط للدم (نقلا عن العطّارين) .

10 ـ شموع مزخرفة : للمناسبات المختلفة .

(١ ـ ٦) أنظر قاموس التداوي بالاعشاب : محمد رفعت ، دار البحار بيروت ١٩٨٨ ، ايضا كشف الرموز في بيان الاعشاب : الشيخ عبد الرزاق بن حمدوش الجزائري ، مكتبة الوحدة العربية (تاريخ النشر وبلد المنشا غير مذكورين في هذا المرجع) .



من مواد العطارة في سوق مدحت باشـــا

(بعدسـة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

1 ــ هندي شعيري : مادّة منقّية للدم (نقلا عن العطّارين) .

2 ــ ميرميّة : مادّة هاضمة، منظمة للدورة الطمثية ومسكنة لآلامها، تفيد في الانحطاط الجسماني والفكري ، والحميات والسعال والشلل والروماتيزم والصرع ، كما أنها مخفّضة لنسبة السكر في الدم(١) .

3 ــ بخّور قشر عنبر: للاستعمال كبخّور في المناسبات المختلفة (نقلا عن العطّارين) .

4 ــ حصلبان ذكر : مقو للأعصاب الى جانب استعماله كبخّور (نقلا عن العطّارين).

5 ــ شرش الروباص : ورد ذكره عند الصورة السابقة .

6 ــ فوّة (عروق الصبّاغين) : مدرّ للفضلات ، يقي وينفع في علاج اليرقان والفالج وعرق النسا شرباً بعد خلطه بالعسل ، وفي علاج (البَهَقْ) دهناً بعد مزجه بالخل(٢) .

7 ــ طعم سمك : لتخدير الأسماك بغية صيدها (نقلا عن العطّارين) .

8 ــ صمغ عربي : مضاد للاسهال ، كما يستعمل مادّة لاصقة (نقلا عن العطّارين) .

9 ــ عرقسوس قضبان : مدرّ للبول ، يسكن آلام المعدة العصبية ساخناً ، كما ينفع في شفاء القرحة المعدية والاثني عشرية ، مليّن للباطنة ومسكن للسعال ، يعالج التهاب الكلي والمثانة والروماتيزم والنقرس ، غير أن محاذيره كثيرة لذلك لا يستعمل في ارتفاع الضغط الشرياني والداء السكّري ، أو اذا كان من يتعاطاه حساساً له ، كما أن الاستمرار في تناوله يمكن أن يؤدي الى اضطراب نظم القلب(٣) .

10 ــ شرش البنفسج : مهيّج للعطاس ويطلق عليه الناس اسم عطّيس (نقلا عن العطّارين) .

---

(١) اسرار العافية : الصيدلي مسلم غازي ، مطبعة دمشق ط ٢ ، ١٩٨٥ ، ص ٢١٢ .

(٢) قاموس التداوي بالاعشاب : محمد رفعت ، دار البحار ، بيروت ١٩٨٨ ص ٢٢٩ .

(٣) المصدر رقم ١ ص ٢٨٢ .



من مواد العطارة المعروضة ضمن أسطال خشبية في سوق مدحت باشا

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



بعض مواد العطارة في سوق مدحت باشا

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

1 ــ حَصَلْبَان : ورد ذكره •

2 ــ ميرميّة : ورد ذكرها •

3 ــ حَنْظَل : ورد ذكره •

4 ــ هندى شعيرى : ورد ذكرها •

5 ــ كمليكا حمراء لاستعمال النجّارين •

6 ــ كمليكا شقراء : لاستعمال النجّارين •

7ــ مَحْلَب بلدي : طارد للغازات (نقلا عن العطّارين) •

8 ــ غراء : لالصاق الاخشاب •



أعشاب ومنتجات حيوانية بحرية في حانوت عطّار بسوق مدحت باشا

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

1 ــ حَرْمَل : مضاد للتشنّج ومدر للطمث ومجهض[١] •

2 ــ اسفنج كروي : ورد ذكره •

4 ــ شرش الانجيل : مدرّ للبول (نقلا عن العطّارين) •

3 ــ شرش الروباص : ورد ذكره •

(١) قاموس التداوي بالاعشاب : محمد رفعت ، دار البحار ، بيروت ١٩٨٨ ص ٦٥ .

مسجد هشـــام :

ومدخله الرئيسي من سوق مدحت باشا قبالة خان الدكّة والفرعي من سوق الصوف (سوق الحبّالين) ، وهو من مساجد العهد المملوكي شيّده القاضي بـدر الدين بن مزهر سنة (٨٣١ هـ/١٤٢٧ م) وتعتبر منارته من أجمل المآذن المشيدة في ذلك العهد[١] .



مئذنة جامع هشام البديعة بزخارفها المملوكية ، المرئية من سوق الصوف بينما لا يمكن أن تشاهد من سوق مدحت باشا لوجود سقفه المعدني الـذي يحجبها .

(بعدسـة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

---

(١) للتوسع أنظر ثمار المقاصد في ذكر المساجد : يوسف بن عبد الهادي ، تحقيق محمد أسعد طلس ، مكتبة لبنان ص ٦١ والحاشية رقم ٥ ، أيضا خطط دمشق : أكرم حسن العلبي ، دار الطبّاع دمشق ١٩٨٩ قسم المساجد الجامعة : مسجد ابن هشام .

خان الدكّة (١) :

من خانات العهد المملوكي قرب النهاية الغربية لسوق مدحت باشا ، ورغم أنه لا يتميّز بأهمية أثرية في وقتنا الحاضر ، الا أنه أقدم خان مملوكي ما زال قائماً في مدينة دمشق اذ يرجع تاريخه الى ما قبل عام (٧٤٠ هـ/١٣٣٩ م) ،ما تسميته الدكّة فتحريف لفظي على ألسنة العوام صوابه (التكّة) وهي رباط السراويل من الأعلى[٢] (يقابلها اليوم الزنّار أو القشاط) ، كذلك ذكر بأن الدكّة تحمل معنى (المصطبة) وهي المكان المرتفع • وكانت التسمية القديمة لهذا الخان (خان الجوار) حين كان فيه سوق للجواري والرقيق يومي الاثنين والخميس[٣]، وقد انتقلت هذه التسمية الى (خان الحرمين) الكائن في جادّة سوق الحرير عند انتقال هذه التجارة اليه وبقيت تسمية خان التكّة مطلقة على الخان الذي نحن بصدده ، ومع الأيام حرّفت التسمية على ألسنة الناس الى (الدكّة) ، أما خارطة شرطة دمشق فتسميه (خان الشركة) • وفي بدايات القرن العشرين شغلت (المصابغ) غرف الخان حتى عام ١٩٢٨ م حينما حوّلت هذه الغرف الى دكاكين • أما اليوم فتشغله مستودعات ومشاغل شاهدتها أثناء زيارتي الميدانية للموقع •



خان الدكّة من باحته الداخلية باتجاه مدخله عند سوق مدحت باشا ، من الشمال الى الجنوب •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

(١) جرد أثري لخانات دمشق : د. فؤاد يحيى ، الحوليات الاثرية ، مجلد ١٩٨١/٣١ ص ٨٩ .

(٢) انظر معجم المنجد في اللغة والاعلام .

(٣) رسائل دمشقية : يوسف بن عبد الهادي (ابن المبرد) تحقيق صلاح محمد الخيمي ، دار ابن كثير دمشق ـ بيروت ١٩٨٨ : (رسالة نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق) ص ٧٧ السوق ٢٩ ، أيضا : (رسالة الاعانات على معرفة الخانات) ص ٦٥ والحاشية ٩ .

خــان الزيت :

من خانات العهد العثماني قرب الطرف الغربي لسوق مدحت باشا ، بين خانيّ الدكّة وجقمق المملوكيين ، وتاريخ بنائه غير معروف بدقّة الا ما ذكره المحبّي[1] عند الحديث عن حسن باشا المعروف باسم (شوربزه حسن) المتوفى عام (١٠٢٧ هـ/١٦١٨م) بقوله : وعمّر الخان المعروف بسوق جقمق (أي سوق مدحت باشا) ، ولما كان هــذا السوق لا يحوي سوى خمسة خانات ، اثنان منهما من العهد المملوكي هما خان الدكّة وخــان جقمق كمــا تقدّم ، يبقى لدينا ثلاثة من العهد العثماني ، أولهما خان سليمان باشا وتسميته تدّل على بانيه ، وثانيهما خان الصنوبر وهو غير هامّ ولم تتحدث عنه المصادر الا فيما ندر ، يبقى لدينا خان وحيد هو خان الزيت الشهير ، ومن هنا ساد الاعتقاد بأنه هو الخان المقصود •

وكان حسن باشا المذكور أحد وجوه الانكشارية من أعيان دمشق وصدورها ، وهــو ينسب الى الوزير الأعظم (سياغوش باشا) لذلكعرف أيضاً باسم حسن باشا السياغوشي[2]•

يتميّز خان الزيت ، خلافاً للخانين المجاورين له ، باحتوائه على (٢٠) قبّة صغيرة[3] ، وقد نسبت تسميته الى (الزيت) الذي كان يباع فيه قبل أن يصبح في الوقت الحاضر مكانــاً تشغله ورشات لتصنيع الأقمشة الشعبية والشرقية وطباعة الأغباني وخياطة بعض المصنوعات الجلدية وصنع (العـُقـُل والعـِبي) الى جانب ورشات ومستودعات وما شابه •

---

(١) خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر : المحبّي ، دار صادر بيروت الجزء ٢ ص ٢٥ .

(٢) أنظر ترجمته في خطط دمشق : اكرم حسن العلبي ، دار الطبّاع ، دمشق ١٩٨٩ قسم المساجد الجامعة : جامع الياغوشية .

(٣) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر ، تعريب قاسم طوير ص ١٦٠ .



الطابق الثاني لخان الزيت من الشمال الى الجنوب حيث تبدو بعض من قبابه العشرين وفي الخلف منهـا مئذنة جامع هشام المطلّة على سوقي مدحت باشـا والحبّالين (سوق الصوف) •

(بعدسـة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)



من باحة خان الزيت الغنيّة بالأشجار الباسقة نحو الشرق

(بعدسـة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

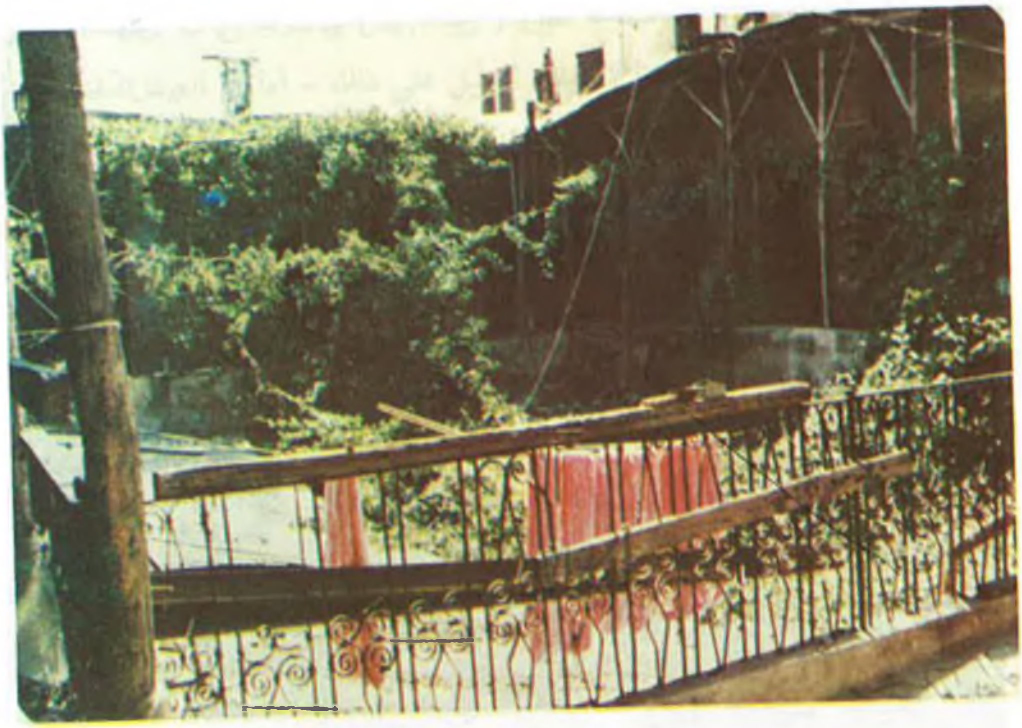


العقال والكوفية والعباءة اللباس التقليدي للحضر والبدو في أريافنا ، وهي تصنع في الخانات المنتشرة في سوق مدحت باشا .

(الصورة تفصيل من بطاقة بريدية بريشة الزميل الفنان زياد زكاري)

خـان جقمق :

من خانات العهد المملوكي في الطرف الغربي لسوق مدحت باشا والى الشرق من خان الزيت ، ينسب بناؤه الى الأمير سيف الدين جقمق خـلال السنوات (٨٢٢ ـ ٨٢٤ هـ / ١٤١٩ ـ ١٤٢١ م) وتعتبر بوابته الحالية أقدم بوابة خـان في دمشق[١] . تشـغل طابقي الخـان في الوقت الراهن مشاغل وورشات تصنيع للمنسوجات الحريرية والألبسة الشعبية خصوصاً منها (العِبِي والعُقُل)[٢] وما شابه الى جانب بعض المستودعات .



الطابق الثاني لخان جقمق من الغرب الى الشرق وتبدو (شلل ـ الخيوط الحريرية المنشورة تحت أشعة الشمس بغية تجفيفها اثر عملية الصباغة التي أجريت عليهـا لاعطائها اللون المطلوب .

(بعدسـة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

---

(١) جرد أثري لخانات دمشق : د. فؤاد يحيى ، الحوليات الاثرية ، مجلد ١٩٨١/٣١ ص ٩٠ .

(٢) العِبِي : مفردها عَبَاءة وبالعامة عباية ، والعُقُل :مفردها عِقال وبالعامية عْجَال .

خـان سليمان باشـا :

ويعرف أيضاً بخان (الحماصنة) نسبة الى نزلائه من تجّار مدينة حمص ، وهـو من خانات العهد العثماني ، شيّده والي دمشق سليمان باشا العظم سنة (١١٤٥ هـ/١٧٣٢ م) وانتهى البناء سنة (١١٤٩ هـ/١٧٣٦ م) حسب ما هو مؤرخ فوق ساكف بابه[1] .

يقع هذا الخان قرب الطرف الشرقي لسوق مدحت باشـا ، قبالـة سـوقيّ الخياطين والزورية ، وبجوار سوق الخريزاتية الذي تشير اليه خارطة دمشق الصادرة خلال الأعوام (١٩٢٢ ــ ١٩٢٤ م) ، وتشغله حالياً مستودعات وورشات و (محمصة للبنّ) تعبق باحته برائحته الذكية ، كما تمرح في تلك الباحة دجاجات وديكة تتخذ من صناديق البضائع المتناثرة فيها ملجأ ومأوى ، الى جانب (رأس خيل) ربط باحـدى نوافذ الطابق الأرضي فوقف متسلناً بسكون .



الفسحة الداخلية لخان سليمان باشا من الشمال الى الجنـوب وتلاحظ أقواسه المشيّدة بالمداميك الحجرية ذات الألوان المتناوبة .

(بعدسـة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

---

(١) جرد أثري لخانات دمشق : د. فؤاد يحيى ، الحوليات الاثرية ، مجلد ١٩٨١/٣١ ص ٩٤ .

سوق الباب الشرقي

Souk BAB SHARQI (The EASTERN GATE)

يمتد هذا السوق من الغرب الى الشرق ضمن جادة الباب الشرقي ، بين نقطة التقاء جادات (الخراب وباب توما وطالع القبة) ، وبين الباب الشرقي نفسه (أنظر مخطط سوق الباب الشرقي) •

ورد ذكر السوق عند ابن عبد الهادي[1] مما يشير الى تواجده في العهـد المملوكي ، ولربما تواجد في عهود أسبق لكننا لا نملك الدليل على ذلك • أما في العهد العثماني فلم يأت على ذكره أحد ، لا الغزّي ولا القساطلي ولا القاسمي ولا العلاف ، غير أن اغفال الحديث عنه في ذلك العهد لا يعني عدم تواجده ، لأن الصور الملتقطة له خـلال النصف الثـاني من القرن التاسع عشر تثبت عكس ذلك ، سيما وأنه امتداد للشارع المستقيم ، بل يعني أنه فقد بعضاً من أهميته في تلك الفترة حين ظهرت أسواق أخرى جديدة فازت بنصيب أوفر عند تعدادها من قبل الكتّاب الذين ذكرت •

ولقد وجدت ، اثر زيارتي الميدانية للسوق صيف عام ١٩٨٩ م ، أنه مؤلف من نصفين متناقضين تماماً ، فنصفه الغربي بين جادة باب توما وحارة الزيتون قديم المشيّدات ، بينما نصفه الثاني بين هذه الحارة والباب الشرقي حديث البناء ، وهذا الأمر ينطبق على حوانيته وتخصصها ، فالنصف الأول تشغله دكاكين قديمة لا زالت تحافظ على طابعها التراثي الجميل ، وبينها دكان لحلاق ما أن تدخله حتى ينقلك الزمن الى بدايات هذا القرن ، وقبالته على النسق الجنوبي دكان (لغسل ورتّي السجاد) الى جانب محل (بسكليتاتي) ثم مطعم يليه حانوت لبيع المصنوعات الشرقية ، وقبالته دكان لتصليح الأسلحة ثم مكتب للتاكسي ، اضافة الى باعة الخضرة والفواكه المنتشرين على طول الرصيف الجنوبي مما يحيل هذا النصف الى (سويق)

(١) نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق : ابن عبد الهادي . رسالة نشرها حبيب الزيات في الخزانة الشرقية من مجلة الشرق العدد ٣٧ ، ١٩٣٩ السوق رقم ١٢٩ر

صغير يؤمن الأكتفاء الذاتي لسكان المنطقة • واذا ما تخطيت هذه الحوانيت وكذلك حارة الزيتون شرقاً ، تكون قد دخلت في عالم جديد من التَحْديث والمَدْرَنَة ، المشيّدات فيه حجرية مكعبة كعلب الكبريت ، والسوق عندها تخصصي بحت تنتشر فيه حوانيت بيع المصنوعات الشرقية والنحاسية والتحف والموزاييك ، وهناك أيضاً متجر لبيع المنحوتات الخشبية الفنية من تماثيل تعبيرية ورمزية وما شابه ، وتتفرّع عن هذا السوق قرب نهايته الشرقية من جهة الشمال حارة ضيقة هي دخلة حنانيا وعندها لوحة كتب عليها (سوق حنانيا الأثري للشرقيات) فيه عدد من باعة العاديات الشرقية •

تتواجد عند بداية جادة الباب الشرقي وعلى ناصيتها الشمالية بضع مشيّدات سكنية حميلة ، يعود تاريخ بنائها الى العهد العثماني المتأخر ، منها بيت سويد ، وبيت الشاوي ، وبيت الدكتور قشيشو ، كما يتواجد عند منتصف ناصيتها الجنوبية مما يلي حارة الزيتون، جامع العريشة ثم كنيسة السريان الكاثوليك • واذا ما تخطيت الباب الشرقي نفسه وجدت على يسارك متاجر بيع التحف الشرقية وآخرها (ورشة النعسان للمصنوعات الشرقية) •



سوق الباب الشرقي قرب النهايــة الشرقية للشــارع المستقيم ، بين جادة بــاب توما والباب نفسه بدلالة أمرين :

١ ـ ظهور البيت الذي يفترض أنه (بيت الشاوي) الحالي ببروزات طابقه الثـاني ذات الشكل المستدير ، ولا وجود لمثيلاتها عـلى طول الشــارع المستقيم الـذي دققت ميدانياً ـ وقد أشرت اليه بسهم ـ ولا يزال هذا البيت قائماً الا أنه اليوم آيل الى السقوط نتيجة الاهمال .

٢ ـ المسافة التي تبدو فيها مئذنة الباب الشرقي عن هذا البيت وهي تطابق تقريباً المسافـة الحالية ، وقد أشرت اليها بسهم أيضاً .

جميع هذه المعطيات تؤكد ـ وليس حتمياً ـ أن الصورة هذه ، الملتقطة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أو مطلع العشرين ، من الغرب الى الشرق ، هي لمنطقـة سوق الباب الشرقي الحالي .



الباب الشرقي من خارج السور (عن بطاقة بريدية صادرة في بدايات هذا القرن) بعيد عام ١٩٠٧ م حين دخلت الكهرباء الى دمشق بدلالة عمودها بجوار الباب ، وتشاهد في جهة اليمين من الصورة ورشة النعسان المستمرّة في تواجدها الى الآن .

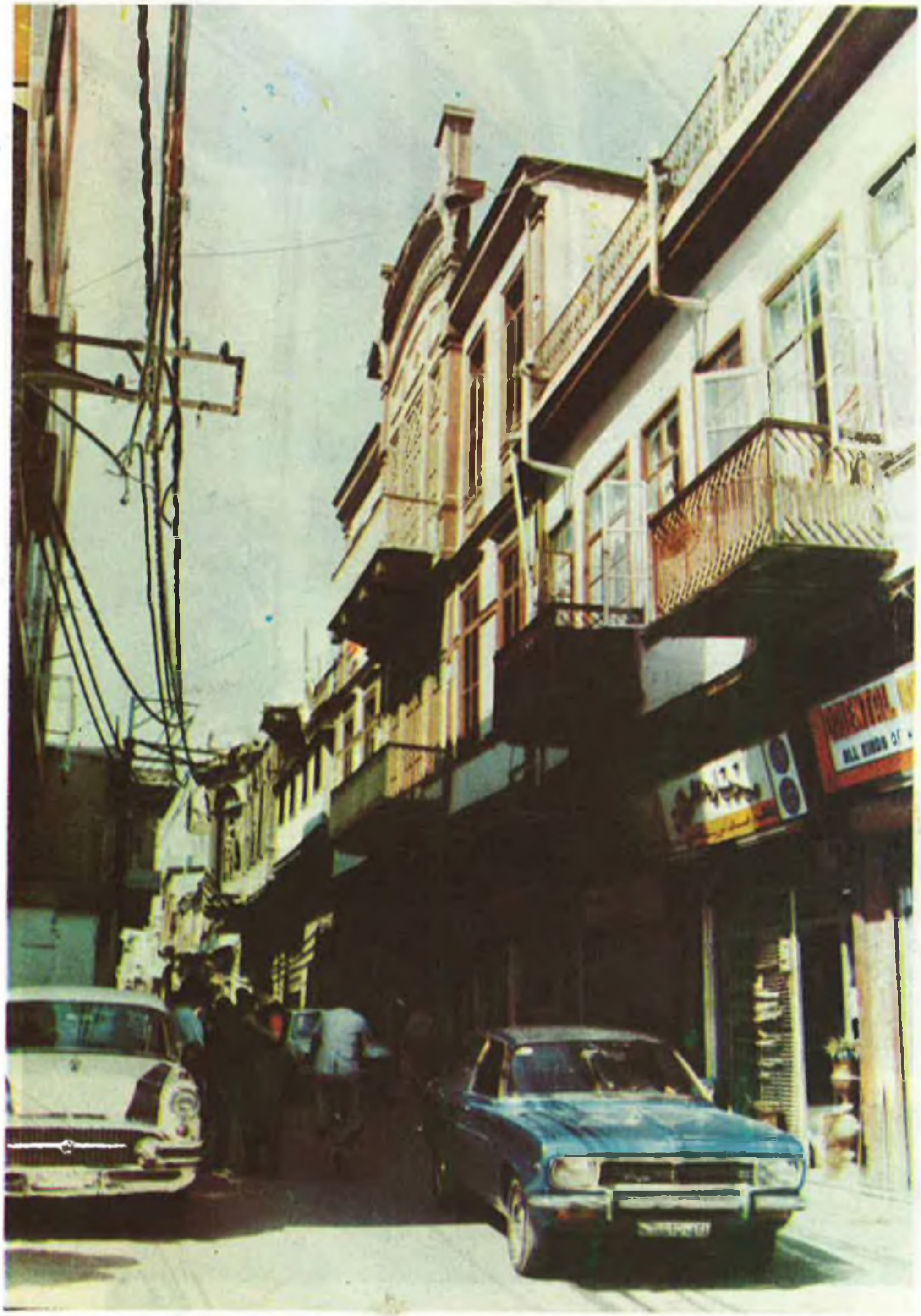


الخيوط الحريرية المصبوغة تنتظر نقلها من منطقة الباب الشرقي الى (الأنوال) الدمشقية . الصورة مأخوذة عن (المجلة الجغرافية الوطنية) الصادرة في أمريكا عام ١٩٤٦ م .



من البيوتات المرممة حديثاً في جادة الباب الشرقي بيت (سـويد) ، وهو من البيـوت الدمشقية المشيّدة في العهد العثماني المتأخر (خلال القرن التاسع عشر أو مطلع العشرين) كما يشير الى ذلك طرازه العمراني ، وفي أسفله سبيل للماء يعرف بسبيل سويد •

(بعدسة المؤلف من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي صيف عام ١٩٨٩ م)



بيت آخر مرمم بجمالية خاصة في جادة الباب الشرقي هـو بيت الدكتور (قشيشو) المشيـّد في العهد العثماني المتأخر أيضاً كما يدل عليه طرازه العمراني .

(بعدسة المؤلف من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي صيف عام ١٩٨٩ م)



صالون الحلاقة التقليدي في جادة الباب الشرقي ، ينقلك بمفروشاته القديمة الجديدة ، وأدواته التراثية الجميلة اللمّاعة ، الى عالم مسحور من بدايات هذا القرن .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)



ظَهْر كرسي الحلاق التراثي في جادة الباب الشرقي ، المصنوع يدوياً حتى آخر جزء من أجزائه الخشبية والمعدنية ، يكمل المظهر التقليدي لصالونات الحلاقة في بدايات هذا القرن ، حين كان الانسان أكثر تعاطفاً مع حنو الخشب منه مع قسوة الحديد .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)



حانوت تخصصي فريد من نوعه في جادة الباب الشرقي ، يمارس (غسل ورتّي السجاد)، والرتّا كما يذكر القاسمي[1] : (هو الذي يخيط شقوق الأثواب المهترية من نحو عثّ أو حرق أو غير ذلك ، بخيوط من جنس الثوب المرتّي، ثم إن الرتّا يرتي الشال والسّجاد والثياب من الجوخ وغيرها ...) ثم يقول : (وهي حرفة أدقّ من الخياطة لاحتياجها الى تأمل وتفكير) .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)

---

(١) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي ، دار طلاس ، دمشق ١٩٨٨ ص ١٥٢ .



دخلة حنانيا من جادة الباب الشرقي قرب الباب الأثري نفسه ، الآخذة في عمق نهايتها الى كنيسة حنانيا التاريخية الشهيرة، وفيها بضع محلات لبيع العاديات والمصنوعات الشرقية والتحف ، وتلاحظ عند مدخلها اللافتة التي أقامها أصحاب هذه المحالّ بأنفسهم وهي تحمل الكتابة التالية (سوق حنانيا الأثري للشرقيات) بينما تترجم الكتابة الانكليزية تحتها على النحو التالي (سوق حنانيا القديم للمصنوعات اليدوية الشرقية) ؟ .

(بعدسة المؤلف من الجنوب الى الشمال صيف عام ١٩٨٩ م)



من مصنوعات الخشب المطعّم بالموزاييك التي تباع في سوق البـاب الشرقي •

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)



واجهة أحد المحـلات التي تتجر بالتحف الشرقية في سوق حنانيا الأثري المتفرّع عن جادة الباب الشرقي •

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)



من النحاسيات الشرقية المصنّعة يدوياً في مناطق متعددة من المدينة كالسنانية والسويقة وباب المصلّى والخراب وغيرها ، ويتركّز بيعها في تلك المناطق ، وفي سوق الباب الشرقي بصورة خاصة ، اضافة الى بضع حوانيت أخرى منتشرة في أحياء مختلفة من دمشق .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)



مسجد (العريشة) بجوار مدخل حارة الزيتون من جادة الباب الشرقي الذي قال عنه طلس[١] : (هو مسجد صغير لـه صيفيّ فيه بركة ، وقبليـة صغيرة لهـا محراب عادي ، ومنارة من الخشب) .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)

---

(١) ثمار المقاصد في ذكر المساجد : ابن عبد الهادي ، تحقيق محمد أسعد طلس ، ص ٢٣٩ ، ص ٢٣٩ رقم ١٠٤ .



واجهة كنيسة السريان الكاثوليك في جادة الباب الشرقي التي جاء على ذكرها ولتسينجر[١] بقوله : (يحتمل أن تكون هي كنيسة المصلّبة التي كانت ثاني الكنائس الأربع التي تخلّى عنها الوليد بن عبد الملك للمسيحيين لقاء النصف الغربي للجامع الأموي) .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)

L5 **(١) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر ، تعريب قاسم طوير ، دمشق ١٩٨٤ ص ١٧٢ المربع رقم ٢ .**



مدخـل كنيسة السريان الكاثوليك

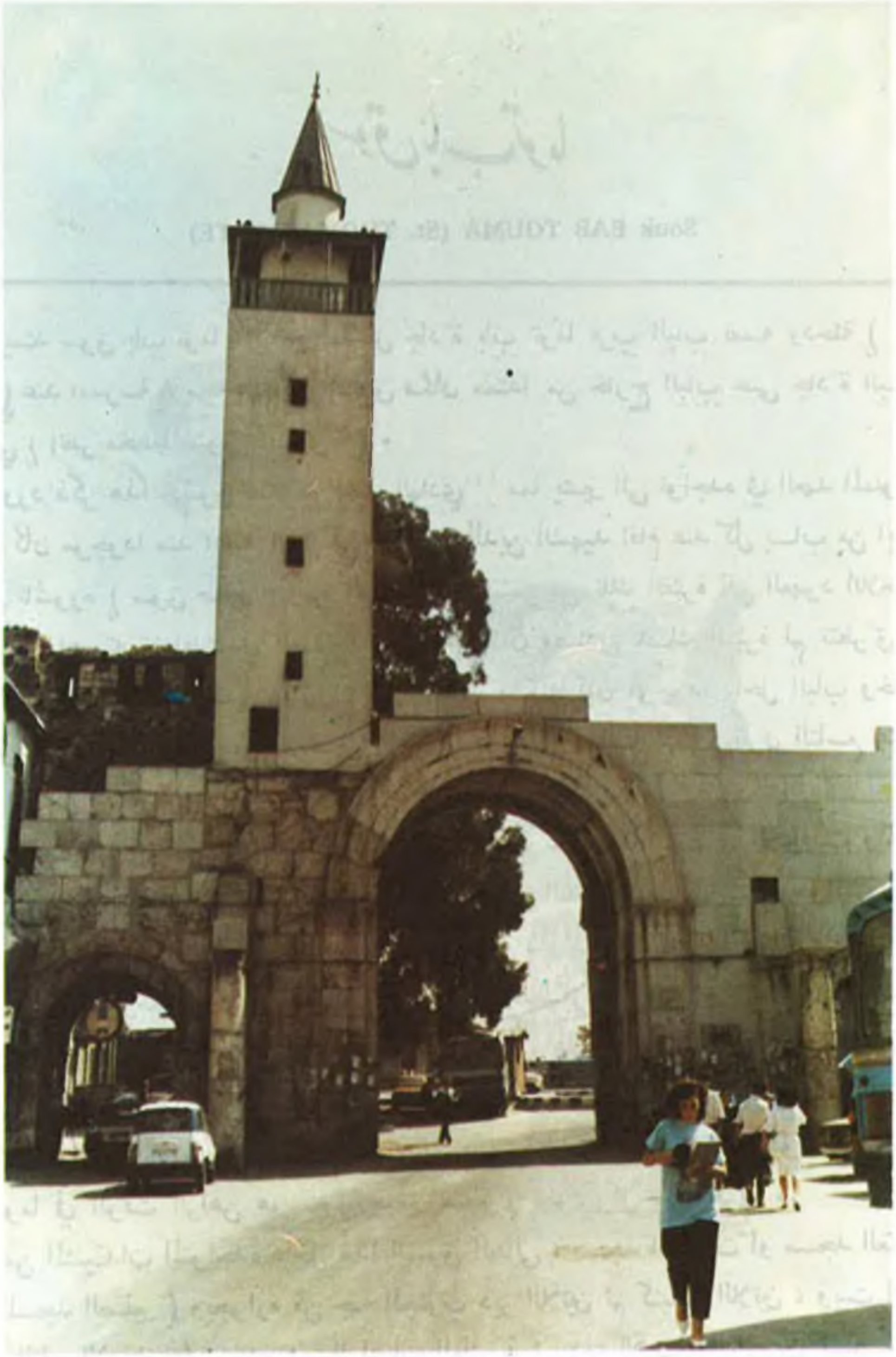
(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)

الباب الشرقي الذي ينتهي عنده السوق والشارع المستقيم داخل السور مع امتداد قليل نحو الخارج ، شيّد في العهد الروماني أوائل القرن الثالث للميلاد ، وعليه نزل (خالد بن الوليد) عند فتح دمشق سنة (١٤ هـ/٦٣٥ م) ، ومنه دخل (عبد الله بن علي) حينما احتلّها العباسيون سنة (١٣٢ هـ/٧٤٩ م)[١] . جدد الباب في عهد (نور الدين محمود بن زنكي) الملقّب بالشهيد سنة (٥٥٩ هـ/١١٦٣ م) كما جددت المئذنة في عهد السلطان العثماني (مراد الثالث) قبيل سنة (٩٩٠ هـ / ١٥٨٢ م)[٢] .

---

(١) دمشق اسوارها ابراجها أبوابها : د. صلاح الدين المنجد، مديرية الآثار القديمة، دمشق ١٩٤٥ ص ٣٩ - ٤٠ .

(٢) العمارة العربية الاسلامية : د. عبد القادر الريحاوي وزارة الثقافة ١٩٧٩ ص ١٠٤ رقم ١٥ . ايضا : اللوحة المؤرخة للباب بجواره .



(الباب الشرقي بعدسة المؤلف من الغرب الى الشرق ، من داخل السور نحو الخارج ،

صيف عـام ١٩٨٩ م)

سوق باب توما

Souk BAB TOUMA (St. THOMAS GATE)

يمتد سوق باب توما حاليا بين مدخل جادة باب توما قرب الباب نفسه ودخلة (سفل التلة) عند المدرسة الاسيه ، اما في السابق فكان ممتدا من خارج الباب حتى جادة الباب الشرقي (انظر مخطط سوق باب توما) •

ورد ذكر هذا السوق عند ابن عبد الهادي[1] مما يشير الى تواجده في العهد المملوكي، وربما كان موجوداً منذ العهد الاتابكي لان نور الدين الشهيد اقام عند كل بـاب من ابواب دمشق باشورة (سوق صغير) ومن المحتمل انه استمر من تلك الفترة الى العهود اللاحقه ، ويظهر ان اهميته تضاءلت في العهد العثماني حتى أن مصادر تلـك الفترة لم تتطرق الى ذكره كسوق بل كانت تكتفي بالقول : باب توما ، ولكنه كان موجوداً داخل الباب وخارجه كما تؤكده الصور التي رسمها له فنانون أوروبيون زاروا المنطقة خلال القرن التاسع عشر ، وكان الغزي[2] هو الوحيد الذي ذكر وجوده كسوق في ذلك العهد •

ورأيت عند زيارتي الميدانية لهذا السوق صيف عـام ١٩٨٩ م أن الحوانيت والمتاجر تنتشر في ناصيته مشكله نموذجاً وصفياً للأسواق غـير التخصصية ، فهنـاك حوانيت بيـع الخضراوات والفواكه والأسماك والحيوانات البحرية ، والمكتبات ومحـال القرطاسية ، الى جانب متاجر الملبوسات ومواد التجميل والهدايـا والنظّارات الطبيـة منهـا والشمسـية والمجوهرات ، وفرن لانتاج الخبز الافرنجي الذي يعرف على ألسنة الناس (بالصمّوني) ، ومحال بيع الأدوات الكهربائية والنوفوتيه والمصوّرون والحلاقون ، كما رأيت الى حانوتين لاصلاح (وابور الكاز) واللوكسات المستعملة كأجهزة إضاءة • وخلاصة القول ان سـوق باب توما في الوقت الراهن هو سوق صغير متطوّر يحوي كل شيء تقريباً •

من المشيّدات المتواجدة داخل هذا السوق الحالي : مسجد السادات أو مسجد العمادي أو (المسجد الصغير) وبجواره من جهة الجنوب دير اللاتين ثم كنيسة اللاتين ، وبيت الدادا (بيت التاج الاسباني) ، بعده دير الراهبات العازرية ثم دير الآبـاء العازريين ثـم كنيسة السريان الأرثوذكس وأخيراً دير راهبات الأرمن الكاثوليك • وعلى النسق المقابل قرب جادة الباب الشرقي يقع جامع البيانية •

---

(١) نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق : ابن عبد الهادي . وهي رسالة نشرها حبيب الزيات في الخزانة الشرقية من مجلة المشرق العدد ٣٧ ، بيروت ١٩٣٩ م السوق رقم (١٢١) .

(٢) لطف السمر وقطف الثمر : الغزي ، وزارة الثقافة دمشق ١٩٨٢ ج٢ ص ٧١٧ .



سوق باب توما من الشمال الى الجنوب بريشة فنان أوروبي زار المنطقة حوالي منتصف القرن التاسع عشر ، والملاحظ هنا امتداد السوق داخل الباب وخارجه باستمرارية لا يتخللها انقطاع لا كما هو الحال اليوم اذ لا وجود للسوق خارج الباب والسور ، كما أن هناك فسحة واسعة تفصل بين هذا السوق والباب نفسه •



سوق باب توما من نفس زاوية التقاط الصورة المرسومة أعلاه انما بعدسة أحد المصورين في العشرينات ، ويبدو فيها استمرار السوق على حاله داخل الباب وخارجه .



الواجهة الخارجية لباب توما الذي نسبت تسمية السوق اليه ، وهو في الأصل باب روماني ينسب الى أحد عظمائهم واسمه (توما) ، وكانت عنده كنيسة حوّلت بعد الفتح العربي الى مسجد ، كما كانت فوقه مئذنة أزيلت في الثلاثينات عند تنظيم المنطقة وفق مخطط المهندس الفرنسي (إيكوشار) .

جدد الباب في العهد الأيوبي من القرن الثالث عشر للميلاد أيام الملك الناصر داوود بن عيسى الأيوبي سنة (٦٢٥ هـ/١٢٢٧ م) ، ثم رممه نائب السلطنة (تنكز) استناداً لما ذكر في اللوحة المؤرخة بجانبه .

(بعدسة المؤلف من الشمال الى الجنوب صيف عام ١٩٨٩ م)



الطرف الشمالي من ساحة باب توما الآخذ الى زقاق الجـورة حيث أقيمت مؤخراً سرادقات قرميدية يستفيء بظلها باعة الخضرة والفواكه ، على غرار السرادقات المقامـة في ساحة الفحّامة والتي أتيت على ذكرها في نهاية بحث سوق باب السريجة .

والى الخلف المباشر من هذه السرادقات تبدو بقايا سور دمشق الآخذ الى باب السلام .

(بعدسة المؤلف من الجنوب الى الشمال صيف عام ١٩٨٩ م)



المدخل الشـمالي لسوق باب تومـا من الساحة

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩)



البداية الشمالية لسوق باب توما وفيها تكتظ المتاجر والحوانيت المختلفة مكونة سوقاً مصغّراً يحتوي على كل شيء تقريباً ، فهنالك اضافة الى ما ذكرت في النص ، بائع الشاورما والكبّة ، يقابله حانوت لتسجيل أشرطة الفيديو والكاسيت ، وصيدلية أيضاً ، وفي جهة اليمين من الصورة مما يلي دخلة حمّام البكري ببنائين تواجد في السابق (مخفر الشرطة القديم) ، وهنالك أيضاً في نفس الجهة متجر للعاديات الشرقية وغير ذلك .

(بعدسة المؤلف من الشمال الى الجنوب صيف عام ١٩٨٩ م)



من المشيّدات المتواجدة قرب البداية الشمالية لجادة باب توما التي يمتد على طولها السوق ، وعند النسق الشرقي منه ، مسجد صغير يعرف (بمسجد السادات) ويسمى أيضاً (المسجد الصغير) ، ذكره ولتسينجر[1] باسم جامع الحمادي وأرجعه الى عام (١٢٨٢ هـ/ ١٨٦٥ ــ ١٨٦٦ م) ، كما ذكر بأن له مئذنة صغيرة . وزاد عليه طلس[2] بقوله : (وهو مسجد صغير له مصلّى عادي فيه محراب ومنبر بسيط وله مئذنة مثمنة الأضلاع من الجص ، ولعلها أقدم ما في المسجد ، وهذا المسجد يسمى أيضاً بمسجد حماده) .

المئذنة اليوم مجددة ، وفوق ساكف الباب نقش حجري كتاباته لا تشير الى اسمه أو تاريخ بنائه . ويلاحظ في مقدمة الصورة من جهة اليمين سور حديدي مزخرف هو مدخل دير اللاتين ، وفي جهة اليسار منها مشيّدات عمرانية مرتفعة من الحجر ، يدل طراز عمارتها على انشائها في العهد الفرنسي (١٩٢٠ ــ ١٩٤٥ م) .

(بعدسة المؤلف من الجنوب الى الشمال صيف عام ١٩٨٩ م)

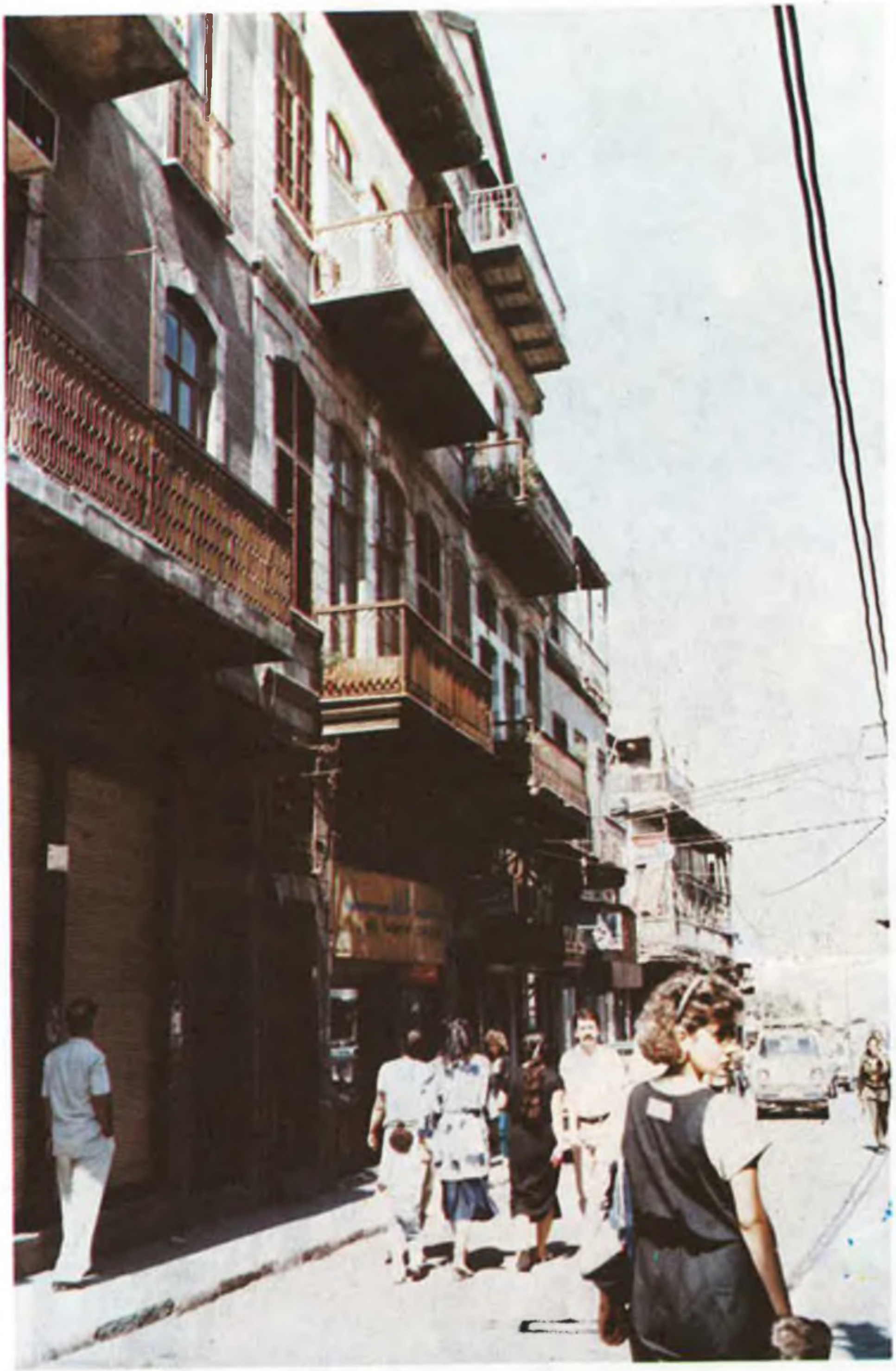
---

(١) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر ، تعريب قاسم طوير ، دمشق ١٩٨٤ ، ص ١٢٠ المربع رقم ٥ K3
(٢) ثمار المقاصد في ذكر المساجد : يوسف بن عبد الهادي ، تحقيق محمد اسعد طلس ، ص ٢٢٢ رقم ١٢٣ .



تتميز غالبية المشيدات الحجرية في جادة باب توما بطابع العمارة الأوروبية سيما وأنها أقيمت أيام الانتداب الفرنسي بين السنوات (١٩٢٠ ـ ١٩٤٥ م) ، ويتركّز هذا الطابع بصورة خاصة في شكل الشرفات (البلكونات) المفردة وأُطُرِها الحديدية المزخرفة ، وتمثل عمارة (الهبرا) البيضاء في الصورة هذه الأطرزة أصدق تمثيل ، فاضافة لما ذكرت ، هناك النوافذ التي تعلوها الأقواس الأوروبية المفتوحة و (الأباجورات) الخشبية المتحركة التي لم تعهدها عمارة دمشق قبل تلك الفترة .

(بعدسة المؤلف من الشرق الى الغرب صيف عام ١٩٨٩ م)



بناء آخر أوروبي الطراز في جادة باب توما ، مشيّد أيام الانتداب الفرنسي ، وفيه كان (مخفر شرطة باب توما) القديم قبل أن ينتقل منه الى موضع آخر ، ولم يكن هذا الطراز وقفاً على أبنية هذه الجادة بل كان منتشراً في الأحياء الأخرى من مدينة دمشق خصوصاً شارع سعد الله الجابري وطريق الصالحية وشارع البرلمان والقصّاع وغيرها من الأماكن الجديدة الأخرى .

(بعدسة المؤلف من الشرق الى الغرب صيف عام ١٩٨٩ م)



الواجهة الرئيسية لدير اللاتين في جادة باب توما بعد نقل مدخله من (وخلة الدير) المجاور الى هذه الجادة اثر ازالة الحوانيت التي كانت تنتشر فيها ، وعند باب المدخل لوحة مؤرخة تحمل العبارات التالية (الدير الكبير للآباء الفرانسيسكان اللاتين) .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩)



واجهة كنيسة اللاتين ومدخلها الرئيسي من جادة باب توما في المقدمة من الصورة، وفي عمقها بيت التاج الاسباني وقد أشرت اليه بسهم .

(بعدسة المؤلف من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي صيف عام ١٩٨٩ م)



الكتابات الاسبانية المؤرخة لبيت (التاج الاسباني) في جادة باب توما ، التي تعلو ساكف الباب وتحمل العبارات التالية : (شيّد هـذا البيت بواسـطة الميزانية المخصصة من قبل قسم الأعمال الخيرية في وزارة الدولة بمدريد ١٩٠٨ م) ٠

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

بيت التاج الاسباني المجاور لكنيسة اللاتين من جهـة الجنـوب ، ذكره ولتسينجر[١] بقوله : (بيت التاج الاسباني وهو فيما بعـد بيت دادا ، ويقع في مواجهة بيت معتوق) ٠ وأفادني القاطنون في جادة باب توما أن هـذا البيت كان في الأصـل مقراً للسـفارة الاسبانية بدمشق ، ثم أصبح لبيت دادا ، وفي بدايات الثلاثينات صار لآل مزنّر ، بعدهـا لآل سركيس ، ولقد رأيت اليه إثر زيارتي الميدانية للمنطقة صيف عام ١٩٨٩ ، وقد تحوّل القسم الأعظم منه الى ورشة كبيرة لحفر الخشب وتخريقه يديرها رجل مبدع من آل الخيّاط ، بينما تشغل القسم الصغير المتبقي منه عيادة طبية للدكتور بيلونة ٠

والحديث عن تخريق الخشب وحفره في مدينة دمشق حديث يطول ، ويكفي أن أذكّر القارىء بما نفذه المرحوم الفنان (أبو سليمان الخيّاط) من الزخارف العربيـة الخشبية في مبنيّي المجلس النيـابي السوري (مجلس الشعب حالياً) ، ومؤسسة مياه عين الفيجة ، باسلوبي الحفر العباسي والفاطمي وغيرهما[٢] ٠

---

(١) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر ٠ تعريب قاسم طوير دمشق ١٩٨٤ ص ١٢٠ المربع K3 رقم ٧ ٠

(٢) يتميز اسلوب الحفر العباسي عن الاسلوب الفاطمي بأن السطوح المخرقة فيه تتلاقى مع بعضها بزوايا مباشرة تخفف من تراكم الغبار والاقذار مما يسهل عملية تنظيفها ، بينما تتلاقى زوايا الاسلوب الثاني مع بعضها بوساطة ارضية مسطحة متبدلة تستقطب الغبار والاقذار اكثر من الاولى الامر الذي يجعلها بحاجة الى تنظيف دائم ٠

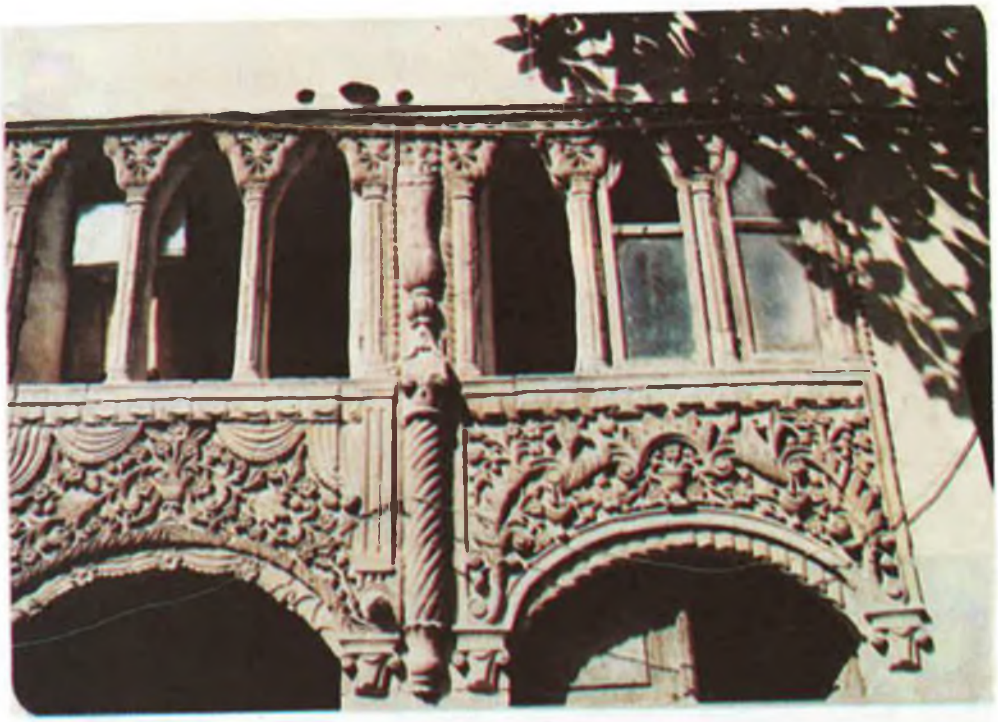


الزخارف الرخامية التي تعلو أبواب بيت التـاج الاسباني في جادة باب تومـا
(عن كتاب : الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر ، النسـخة الالمانيـة الصادرة في برلين عام ١٩٢٤ م) ۔



c) Marmor-Sopraporte im Hause der spanischen Krone K. 3.7.

نفس زخارف الصورة السابقة انما بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩م ٠



واحد من الأبواب الداخلية في بيت التاج الاسباني ، يعلوه ساكف رخـامي أو مرمري منقوش بالزخارف النباتية المستوحاة من قصور غرناطة وقرطبة واشبيلية وطليطلة ومرّيدة ، يوم نشر الفنان العربي رسـالة الحضارة والفكـر في تلك الأصقاع .

(عن كتاب : الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر ، النسخة الالمانية الصادرة في برلين عام ١٩٢٤ م) .



نفس زخارف الصورة السابقة انما بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م .



دير الراهبات العازرية عند النسق الشرقي من منتصف جادة باب توما بجوار زقاق العازرية ــ جهة اليسار من الصورة ــ وهو الدير الذي ذكره ولتسينجر بقوله : (مدرسة راهبات تحولت الى مدرسة صنائع خلال الحرب الأولى وكان يديرها الألماني السيد شتوكلة)[١] . ويبدو في عمق الصورة جزء من دير الآباء العازريين المجاور لدير الراهبات .

(بعدسة المؤلف من الغرب الى الشرق صيف عام ١٩٨٩ م)

---

(١) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر ، تعريب قاسم طوير، دمشق ١٩٨٤ ص ١٤٩ المربع K4 رقم ١ .



دير راهبات الأرمن الكاثوليك قرب النهاية الجنوبية لجادة باب توما وعلى النسق الشرقي منها بجوار حارة المسك .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)





كنيسة السريان الأرثوذكس (كاتدرائية مار جرجس) قرب النهاية الجنوبية لجادة باب توما وعلى النسق الشرقي منها ، المشيّدة من الحجارة البيضاء المنحوتة سنة (١٩٥١ م) كما تشير اللوحة المؤرخة ضمن ساكف بابها ، وتعلو هذه الكتابة لوحة رخامية من النحت البارز تمثل الشهيد القديس جرجس فوق صهوة جواده وهو يطعن التنّين رمز الشيطان .

(الصورتان بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)



مسجد (البيانية) قرب النهاية الجنوبية لجادة باب توما، وهو الرباط الذي ينسب الى أبي البيان المعروف بابن الحوراني المتوفى سنة (٥٥١ هـ / ١١٥٦ م) في العهد الأتابكي ، وقد أنشيء المكان بعد وفاته بأربع سنوات[١] .

(بعدسة المؤلف من الشرق الى الغرب صيف عام ١٩٨٩ م)

---

(١) انظر خطط دمشق : اكرم حسن العلبي ، دار الطباع ، دمشق ١٩٨٩ ص ٤٠٩ .

سوق القيمرية

Souk EL - QAYMARIAH

يمتد هذا السوق من الغرب الى الشرق بين جادة النوفرة وجامع المدرسة الفتحية المعروفة باسم (جامع فتحي) ، وتعتبر البوابة الشرقية (بروبيلون) لرواق سوق معبد جوبيتر ـ أو بالأصح ما بقي من الأعمدة في هذا الموضع ـ الحد الفاصل بين هذه الجادة والسوق الحالي (أنظر مخطط سوقي القيمرية والعمارة) .

كان اسم المحلة التي يمتد فيها سوق القيمرية في العهد المملوكي (الحريميين)[١] وفيها أنشأ الأمير ناصر الدين الحسين بن عبد العزيز بن أبي الفوارس الكردي القيمري المدرسة القيمرية الكبرى سنة (٦٥٠ هـ/١٢٥٢ م) أواخر العهد الأيوبي ، ومن اسمها اشتقت تسمية (حي القيمرية) بكامله والسوق عنده[٢] ، غير أن اسم سوق الحريميين بقي على ألسنة الناس في العهود المتلاحقة ، والغريب أن ابن عبد الهادي لم يذكر هذا السوق في رسالته التي عدد فيها أسواق العهد المملوكي .

شاعت تسمية سوق القيمرية في العهد العثماني بصورة خاصة ، فقد ذكره الغزي[٣] بقوله : (وكان من عادتي اذا ذهبت الى زيارة الشيخ محي الدين الذهبي بدكانه التي يدق فيها الذهب بسوق القيمرية ، تجاه المدرسة القيمرية) ، وتشير هذه المقولة بوضوح الى نفس الموقع الذي يشغله هذا السوق حالياً . أما القساطلي فلم يأت على ذكره بين الأسواق التي عدد في (الروضة الغناء) رغم أن الفعالية الاقتصادية لحي القيمرية كانت في ذروتها خلال القرن التاسع عشر ، حين تركزت فيه صناعات : الصاية الحريرية والموزاييك والنجارة

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان : ابن طولون ، ج ٢ ص ٥ سطر ١٨ .

(٢) خطط دمشق : أكرم حسن العلبي ، دار الطباع ، دمشق ١٩٨٩ ص ١٥٦ .

(٣) لطف السمر وقطف الثمر : الغزي ، وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٨١ ، ج ١ ص ٩٩ والحاشية ٦ .

والصباغة والطباعة ، الى جانب بعض الصناعات الغذائية والمعدنية ، لذلك أطلق عليه تشبيهاً اسم (الهند الصغيرة)[٤] •

وفي بدايات القرن العشرين جاء على ذكره ولتسينجر[٥] بقوله : (ســوق القيمريّة أو سوق القاضي ، وهو يقع على الشارع الممتد من الغرب الى الشرق في العهد السابق للاسلام)، وهنا تظهر تسمية سوق القاضي لأول مرة اذ لم تكن معروفة من قبل •

وعند زيارتي الميدانية لسوق القيمريّة صيف عام ١٩٨٩ ، ، رأيت اليه وقد تقلص الى عدد ضئيل من الحوانيت التي يشغلها باعة الأحذيــة والشرقيــات ، الى جــانب المطرزات ومصلحيّ الساعات والبسكليتات و (بوابير الكازّ) ، وهناك أيضاً فرن (للصفيحا) ومطعم شعبي ، وفرن للخبز وحداد وخياط ، ومحل للمجوهرات ومحــلات للنوفوتيــه ، وبضــع مكتبات للقرطاسية ولوازم الطلاب ، وبائــع للعصير والكاتو و (الحبوب والرز بحليب) بجوار متجر لمفروشات الخيزران والقشّ •

من المشيدات الهامة في هذا السوق ، جامع فتحي (جامع المدرسة الفتحية) ، وهنــاك المدرسة القيمرية الكبرى المعروفة حالياً بجامع (القطاط) ولكنها لا تقع في السوق نفسه بل بجواره لذلك لن أتعرض الى ذكرها •

---

(٤) دمشق دراسات تاريخية واثرية : مديرية الآثار دمشق١٩٨٠ (حي القيمرية في القرن التاسع عشر : سعاد ابو اذان) ، ص ١٧٧ .

(٥) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر ، تعريب قاسم طوير ، دمشق ١٩٨٤ ، ص ١٢٨ المربع رقم ٢ .



سوق القيمريـــة تظلـّله مدّادة خضراء تضفي على أجوائه مسحة من الشاعرية والحنان فتنقلك الى فسحة سماوية مخضوضرة في بيت دمشقي أصيل ٠

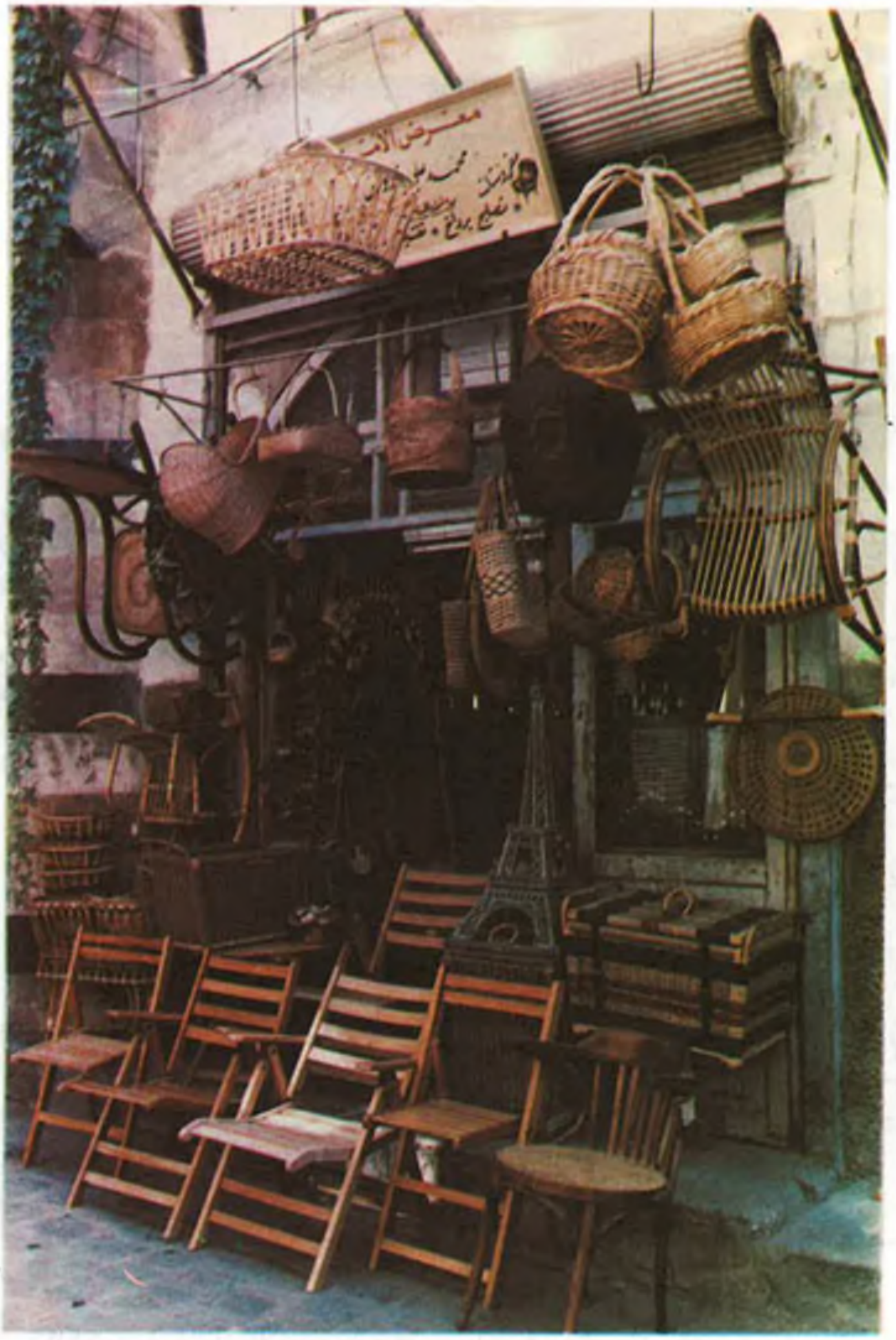
(بعدسة المؤلف من الغرب الى الشرق صيف عام ١٩٨٩ م)



بضع دكاكين لبيع المواد الاستهلاكية التي تباع في الأسواق الأخرى هي كل ما تبقى من سوق القيمرية الذي بلغ ذروة فعاليتـه الاقتصادية في القرن التاسع عشر ، حـين كانت حوانيت النجارة والموزاييك والصباغة والطباعة ، وصناعة الصايات الحريرية[1] تنتشر فيه .

(بعدسة المؤلف من الغرب الى الشرق صيف عام ١٩٨٩ م)

(١) الصايات : جمع صاية ، وهي قماش من الحرير والقطن به لمان وبريق كالامواج . أنظر قاموس الصناعات الشامية للقاسمي ، دار طلاس ، دمشق ص ٣٩ تحت عنوان (الاجاني)



حانوت فريد من نوعه في سوق القيمرية بجوار جامع المدرسة الفتحية ، يعيد أمجاد هذا السوق القديم حينما كانت حوانيت النجارة والموزاييك تنتشر فيه ، ولكن بأسلوب آخر هذه المرة ، فالبضاعة التي يعرضها تتألف أساساً من المفروشات المقششة ومصنوعات الخيزران ، وتحمل اللافتة فوق مدخله العبارات التالية : (مفروشات ، موبيليا ، خيزران ، تصليح ، برداخ ، تقشيش) .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)

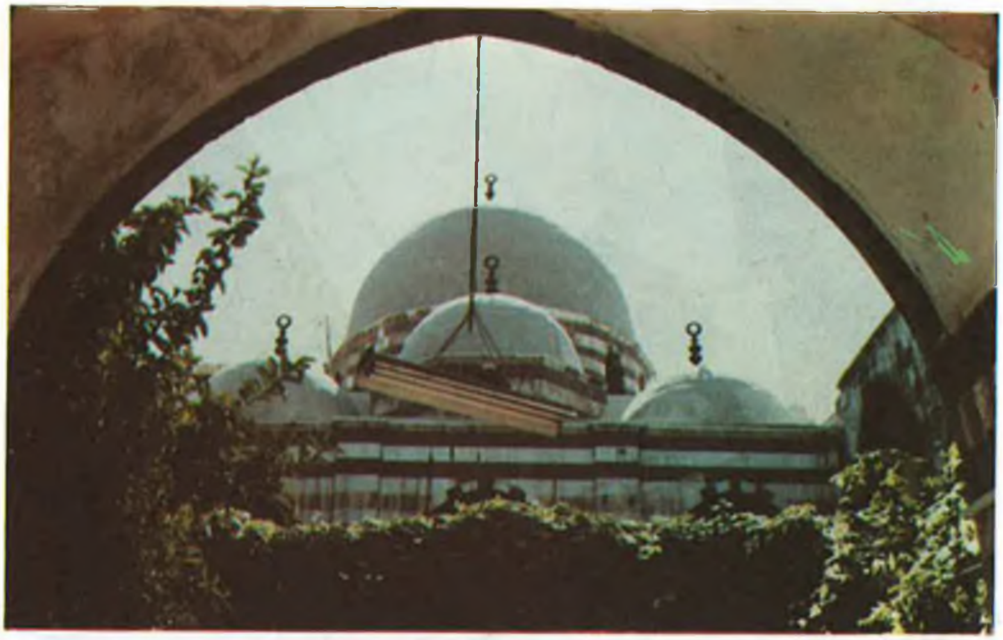


سوق القيمرية قرب جامع المدرسة الفتحية التي شيدها في العهد العثماني (فتحي بن محمد القلاقنسي) متولي التكية السليمانية سنة (١١٥٦ هـ/١٧٤٢ م) كما كتب على اللوحة المؤرخة لها بجوار الباب[١] ، وقد اعتمد المصمم تنفيذها بمداميك حجرية متناوبة أضفت على عمارتها مسحة جمالية خاصة .

(بعدسة المؤلف من الغرب الى الشرق صيف عام ١٩٨٩ م)

---

(١) للتوسع أنظر : ثمار المقاصد في ذكر المساجد : يوسف بن عبد الهادي . تحقيق محمد أسعد طلس ، مكتبة لبنان ، ص ٢٤٢ الذيل . ايضا خطط دمشق : اكرم حسن العلبي ، دار الطباع ، دمشق ١٩٨٩ ص ٢٧٢ .



قباب جامع المدرسة الفتحية التي تعلو المصلى والرواق ، بينما تغطي الخضرة الوارفة وأشجار النارنج والليمون جزءا كبيرا من الصحن .

(بعدسة المؤلف من الشمال الى الجنوب صيف عام ١٩٨٩ م)



مدخل جامع المدرسة الفتحية تعلوه زخارف القاشاني ، وتحيطه المداميك المتناوبة من الحجر الأسود والأبيض والأبلق ، وعلى طرفيه لوحتان رخاميتان مخصصتان لاعلانات الوفاة .

(بعدسة المؤلف من الشمال الى الجنوب صيف عام ١٩٨٩ م)



ما تبقى من أعمدة البوابة الشرقية (البروبيلون) لرواق سوق معبد جوبيتر التي يبدأ عندها سوق القيمرية .

(بعدسة المؤلف من الشرق الى الغرب عام ١٩٨٩ م)

سوق العمارة

Souk EL - AMARA

يمتد هذا السوق المغطّى بساتر هرمي معدني محدث في حي العمارة الجوّانية مخترقاً (باب الفراديس) الأثري ، من قرب مقام السيدة (رقيّة بنت الحسين) جنوباً الى شارع الملك فيصل شمالا ، مع انحراف قليل نحو الجنوب الشرقي والشمال الغربي (أنظر مخطط سوقيّ القيمريّة والعمارة) .

ورد ذكر سوق العمارة عند ابن عبد الهادي[١] مما يؤكد تواجده في العهد المملوكي ، وربما كان أقدم من ذلك ، وكانت منطقة باب الفراديس غنيّة بالأسواق في ذلك العهد (كسوق النحّاسين ، وسوق العلبيّة ، وسوق الآدمية والحور ، وسوق الهواونيّة ، وسوق داخل باب الفراديس ، وسوق مزيلي الآثار ، وسوق القباقبيّة)[٢] .

كما ذكره القساطلي[٣] أواخر العهد العثماني بقوله : (سوق العمارة وهي سوق طويلة مشهورة تباع فيها لوازم القوت) لكنه لم يحدد موقعه ، تماماً كمن سبقه من المؤرخين . أما ولتسينجر فقد أشار بخارطته التي وضعها لمدينة دمشق حوالي سنة (١٩١٧ ـ ١٩١٨ م) الى سوق مغطّى[٤] ، في نفس موقع السوق الحالي مع امتداد قليل نحو الشمال عبر جادة بين الحواصل التي اخترقها شارع الملك فيصل فيما بعد ، غير أنه لم يسمّه ، ثم عاد مرة أخرى وذكر سوقاً (يتصل بشمال باب الفراديس ويتجه نحو المدينة الجديدة : العمارة)[٥] ولم يسمّه أيضاً .

(١) نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق : يوسف بن عبد الهادي . رسالة نشرها حبيب الزيات في الخزانة الشرقية، مجلة المشرق ١٩٣٧ السوق رقم ١١٨ .

(٢) المصدر السابق الاسواق (٦٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤) .

(٣) الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي ص ٩٩ .

(٤) الخارطة الملحقة بكتاب (الآثار الاسلامية في مدينة دمشق) لولتسينجر . تعريب قاسم طوير ، دمشق ١٩٨٤ المربع : F 2 .

(٥) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر ص ٣٩٢ .

ووردت عند القاسمي(٦) تسمية جديدة لسوق العمارة في سياق حديثه عن (النطّاع) وهو من يصنع النَطْع أو أطباق القش قوله : (كان لهذه الحرفة سوق مخصوص بدمشق ، في محلة العمارة ، يعرف بسوق النطّاعين ، ثم على تعاقب الأعوام والسنين تغيرت هيأة ذلك السوق ، ولم يبق من شهرته شيء سوى الجامع والقهوة الموجودين فيه ، والآن يعرفان بجامع وقهوة اللطّاعين) • وفي هذه المقولة اشارة أخرى الى تواجد سوق العمارة في العهد العثماني المتأخر لأن جامع النطّاعين أو اللطّاعين (باللام) كما تلفظها العامة لا يزال موجوداً فيه الى الآن •

وقد وجدت عند بحثي الميداني في المنطقة صيف عام ١٩٨٩ م ، أنه سوق ضيق طويل مغطى بساتر هرمي معدني مجدّد بعد تآكل ساتره القديم ، وهو مزدحم بالمارة ، ولا يسمح فيه بمرور الآليات خلافاً (للبسكليتات) التي كانت تمرق بجانبي مروق السهام من الرَميّة، متلوّية متموّجة ، تنسلّ بسرعة الضوء بل أسرع منه بين جموع المشترين •

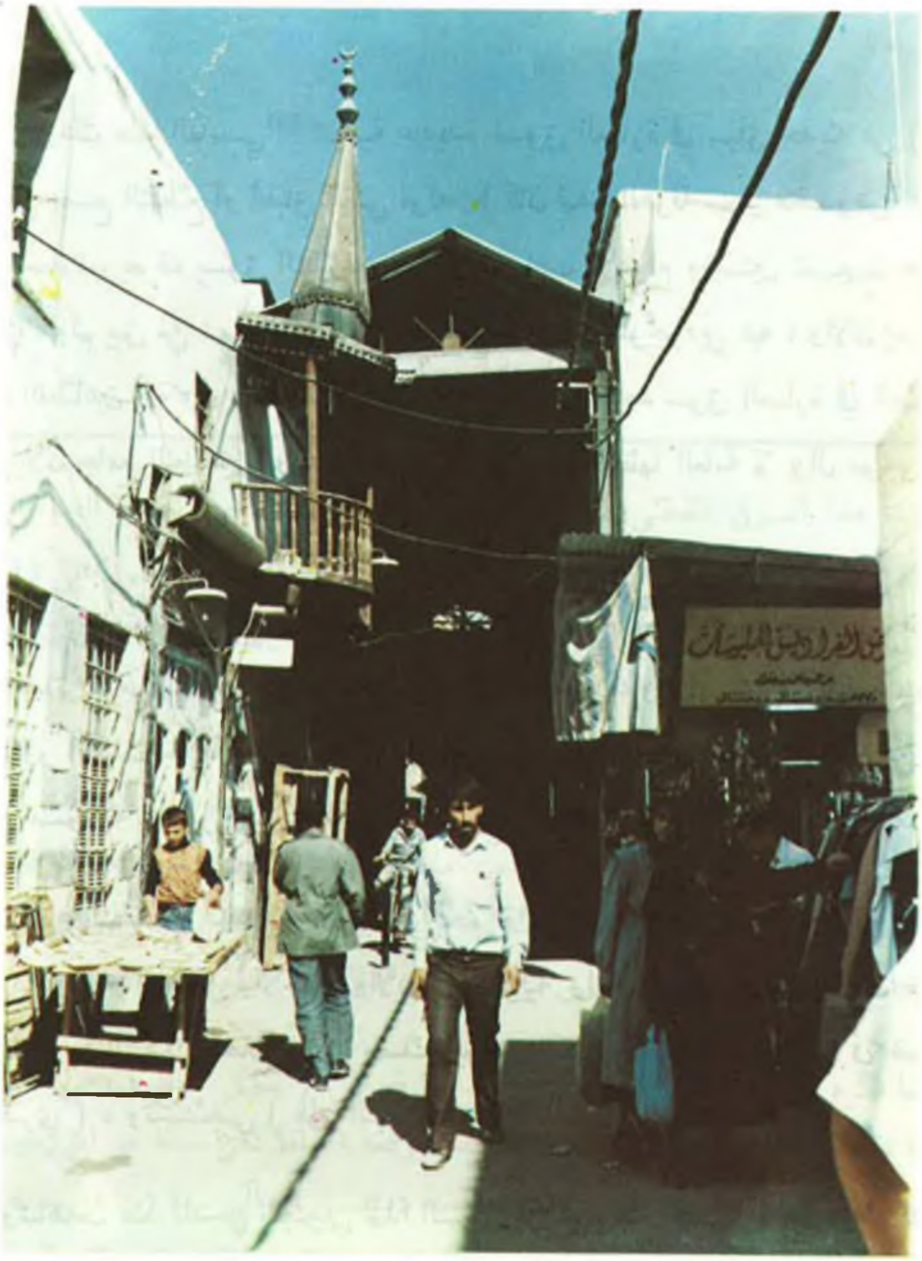
وفي هذا السوق عدد كبير من باعة اللحم والسكاكر والحلويات ، وأقل منهم باعة النوفوتيه ومواد التجميل والأحذية والأدوات المنزلية والكهربائية والصَمْديات وإصلاح الساعات ، وهناك دكان لحلاق ، و (مصلّح بوابير الكاز واللوكْسات وهو في نفس الوقت سَمْكَري) ، وتُتُنْجي (بائع للتبغ) ، وفرن •

وشاهدت عند المدخل الجنوبي لهذا السوق بجوار جامع العمرية لوحة زرقاء قديمة كتب عليها (العمارة الجوّانية) كما شاهدت عند مدخله الشمالي من جهة شارع الملك فيصل لوحة حديثة مغايرة للاولى تحمل الكتابة التالية (شارع مقام السيدة رقيّة بنت الحسين) •

وفي هذا السوق مشيدات تاريخية هامة هي : باب الفراديس أو باب العمارة ، ومقام السيدة رقيّة ، ومسجد السادات المجاهديّة ، ومن مشيداته الأخرى : جامع العمريّة ، وجامع النطّاعين •

---

(٦) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس دمشق ١٩٨٨ ، ص ٤٨٢ .



المدخل الجنوبي لسوق العمارة المجاور لمقام السيدة رقية بنت الحسين ، يغطيه ساتر هرمي معدني مجدد ، وقبيل هذا المدخل في جهة اليسار من الصورة مئذنة جامع العُمَرِيّة، الذي وصفه طلس[1] بقوله : (مسجد حسن له صحن مفروش بالحجارة السوداء والبيضاء ، فيه بركة مثمنة يجري اليها ماء بانياس) • غير أنه لم يذكر تاريخ بنائه ، ولا وجدت أنا أي نص كتابي أو لوحة تشير الى ذلك •

ويكثر في هذا الموضع المكشوف من السوق باعة الملبوسات ، ضمن حوانيتهم أو في الهواء الطلق ، وكذلك باعة الأحذية ، وبضع من الباعة المتعيشين الجوالين ، وفي جهة اليسار يافع ينشر الخبز الساخن بغية تبريده ، فوق منصّة خشبية أعدها أصحاب الفرن خصيصاً لهذا الغرض •

(بعدسة المؤلف من الجنوب الى الشمال صيف عام ١٩٨٩ م)

---

(١) ثمار المقاصد في ذكر المساجد : يوسف بن عبد الهادي . تحقيق محمد اسعد طلس ، الذيل ص ٢٤١ .



يزدهم سوق العمارة دائماً بالمتسوقين والمارة من الجنسين ، ولا عجب فهو ممرّ يتمتع بجمالية خاصة لكل عابر بين العمارتين البرّانية والجوّانية ، ولكل زائر لباب الفراديس الأثري ، ولمقام السيدة رقية ، ويبدو بين قوسي الباب القديم والمجدّد جزء من مئذنة مسجد السادات المجاهدية ، وهو في الأصل (المدرسة المجاهدية البرّانية) التي شيدها سنة (٥٣٨ هـ/١١٤٣ م) الأمير الكبير مجاهد الدين أبي الفوارس بزّان بن يامين الجلالي الكردي ، أحد مقدمي الجيوش بدمشق في العهد السلجوقي وعهد نور الدين محمود بن زنكي الملقب بالشهيد ، والمتوفى والمدفون في هذه المدرسة سنة (٥٥٥ هـ/١١٦٠ م)[1] ، وبجوار بابها لوحة كتب عليها (مسجد السادات جدد بمساعي أهل الخير سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠ – ١٩٦١م) . ويكثر في هذا الجزء الجنوبي من السوق باعة السكاكر والأحذية .

(بعدسة المؤلف من الجنوب الى الشمال صيف عام ١٩٨٩ م)

---

(١) خطط دمشق : اكرم حسن العلبي . دار الطباع ، دمشق ١٩٨٩ ص ١٥٩ .



باب الفراديس الأثري داخل سوق العمارة ، وهو في الأصل باب روماني جـدده الملك الصالح اسماعيل بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب سنة (٦٣٩ هـ/١٢٤١ م) استناداً لما كتب في اللوحة المؤرخة بجانبه . ويعرف أيضاً بباب العمارة ، وعرف في السابق باسم (باب السلام) ، ويعود السبب في تعدد أسمائه الى أن أربعة أبواب على الأقل كانت تقوم بالتوالي في هذا المكان وهي : البوابة السابقة للاسلام ، والقوس السابق للاسلام ، وبـاب سـور المدينة[١] . أما تسميته فمنسوبة الى محلة كانت خارج البلـد تسمى (الفراديس) وتعني بلغة الروم البساتين ، وكان للفراديس باب آخر عند باب السلامة فسد[٢] . وتغطي الباب حالياً طبقة من المعدن المقوى بالمسامير الحديدية .

(بعدسة المؤلف من الجنوب الى الشمال صيف عام ١٩٨٩ م)

---

(١) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر . تعريب قاسم طوير ، دمشق ١٩٨٤ ص ٢٩٢ .

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر : ابن منظور . دار الفكر ، دمشق ١٩٨٤ ، ج ١ ص ٢٩٩ .



سوق العمارة أو سوق النطّاعين الذي ذكره القاسمي[1] ، من الشمال الى الجنوب . من جهة شارع الملك فيصل نحو باب الفراديس ، وتشاهد في جهة اليمين مئذنة جامع النطّاعين (وتلفظ على ألسنة الناس : اللطّاعين) والنطّاع كما تقدم هو صانع النطع أو أطباق القش . ومن المعتقد أن هذا المسجد مشيّد في العهد العثماني المتأخر اذ لم يذكره أحد قبل القاسمي، وبجواره سبيل للماء ، ولا تتواجد عند المسجد ولا عند السبيل أيّة لوحة أو كتابة تشير الى اسميهما أو تاريخ بنائهما الا ما يرويه لك أهل السوق .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩)

---

(١) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس ، دمشق ١٩٨٨ ص ٤٨٤ .



مقام السيدة رقيّة بنت الحسين في العمارة الجوّانية بجوار المدخل الجنوبي لسوق العمارة ، وفيه تابوت حديث ثمين من خشب الموزاييك المرصّع بالعاج ، وحوله قفص من النحاس المزخرف . شيّد البناء والقبّة في العهد الأيوبي[1] ، وجدّد سنة (١١٢٥ هـ / ١٧١٣ م) ، كما جدّد أيضاً سنة (١٣٢٣ هـ/١٩٠٥ م)[2] ، وتجرى حالياً عمليات كبيرة لأعادة بنائه وتوسيعه والجامع والمئذنة والقبة ، وقد أحيطت هذه المجموعة العمرانية بسور حجري عالٍ مؤقت منعني من التقاط الصور سواء من الداخل أو الخارج مما اضطرني معه الى الاستعانة ببطاقة بريدية للمقام صادرة حوالي الخمسينات أو بعد ذلك بقليل .

(١) مدينة دمشق : د. عبد القادر الريحاوي . دمشق ١٩٦٩ ص ١٨٦ .

(٢) خطط دمشق : اكرم حسن العلبي . دار الطباع ، دمشق ١٩٨٩ ص ٢٢٤ . وللتوسع انظر ثمار المقاصد في ذكر المساجد : يوسف بن عبد الهادي ، تحقيق محمد اسعد طلس ، الذيل ص ٢٢٩ .



دكان مصلّح (بوابير الكاز واللوكسات) في سوق العمارة ، وفي نفس الوقت يقـوم صاحبه بأعمال (الـسَـمْـكَـرَة) ، فهو يصنع الأقماع المعدنية من تنك أو توتنياء ، ومزّيّتات الكاز ، كما يصنع أدوات تحضير الفلافل ، الى جانب (دبّيات) الحليب ، وكان في السابق يصنع مصبّات القهوة وأباريق الشاي قبل أن يتحول عنها الى هذا الاختصاص الجديد . وتنتشر في دكانه الصغير القديم المعقود بالحجارة ، رؤوس بوابير الكاز وفالاتها وجلودهـا ونكّاشاتها ، وأدوات تحضـير الفلافل التي صنعها .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩)



نفس مصلّح بابور الكاز في سوق العمارة يقوم (بِنَفْضِ) بابورٍ للتأكد من صلاحيته للعمل بعد إصلاحه ، وأمامه (عدّة السَنْكَرَة) المؤلفة من (كاويين يتجرّان فوق النار ، وقطعة من القلفونة ، وسائل روح الملح وهو حمض كلور الماء الممدد ، ولِحَام القصدير) .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩)



ملحمة في سوق العمارة الذي يكثر فيه اللحامون ، واللحام كما يقول القاسمي[1] (هو الجزّار أو القصّاب ، الذي يشتري من سوق الغنم رأساً أو رأسين ، والبعض ثلاثة أو أربعة ، على قدر الزبونات الموجودين عنده ، ثم يأتي بها الى دكّانه ويعلقها بالكلاليب الحديدية) .

أقول : أما اليوم فيشتري الذبيحة من المَسْلَخ الرسمي ، وتعرف هذه على ألسنة اللحامين باسم (الدابّة) .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)

---

(١) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . ص ٨٠ – ٣٥٥ – ٤٠٠ .





مازالت الموالح التقليدية كالقضامة والبزر وفستق العبيد من المتطلبات الضرورية في كل سهرة أو سيران ، وفي دور اللهو والسينما ، وما زلت اذكر صوت البائع الجوال وهو يطوف بين صفوف المقاعد قبل عرض الفيلم منادياً بصوت خفيض : (تسلّوا يا عيني تسلّوا ، قضامة وبزر ، شوكولا غلاسيه) ، وفي نفس الوقت تملأ جدران الصالة إعلانات تقول : يمنع أكل البزر . كما لم تبرح ناظريّ لافتات التحذير التي كانت تكتب فوق نوافذ الباصات من الداخل في بدايات الخمسينات : (ممنوع التفّ والنفّ وأكل البزر). ورغم كل ذلك ما زال البذر صامداً في وجه كل التحديات .

(بعدسة المؤلف في سوق العمارة صيف عام ١٩٨٩ م)



عثرت أثناء بحثي الميداني في سوق العمارة على دكّان لحمصاني ما زال يحافظ على (قطرميزاته) التراثية القديمة وقد ملأ بعضاً منها باللوز النيء غير المقشر ، والبعض الآخر ببزر اليقطين النيء : الدواء الشعبي الطارد (للدودة الوحيدة) من الطفيليات المعوية .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)



تضاريس جغرافية كسطح كوكب مجهول تشكلها (عرانيس الدرا) المسلوقة في (حلّة) بائع متعيش عند سوق العمارة .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)

سوق السكرية

Souk EL - SOUKKARIAH

سوق ضيّق مسقوف بساتر معدني ، يمتد من الغرب الى الشرق بين محلّة باب الجابية وبين سوق الذراع ، ويوازي سوق مدحت باشا من جهة الجنوب كما يفتح فيه بمدخلين ضيّقين (أنظر مخطط الأسواق المجاورة لسوق مدحت باشا) ٠

ذكره ابن عبد الهادي[١] بقوله : (سوق السكّريين تحت سوق البزوريين يباع فيه السكّر) مما يشير الى تواجده في العهد المملوكي ، كما ذكره القاسمي[٢] وحدد موقعه : (قرب البزورية في محلة باب الجابية) وهذا يدلّ على استمراره في العهد العثماني أيضاً ، غير أن ولتسينجر[٣] يمنحه اسم (سوق العطّارين) وهي تسمية تطلق على من يبيع أصناف شتّى من السكّر وغيره[٤] ، ويظهر أنه وقع في التباس إذ يقول القساطلي[٥] : (سوق البزورية وهي سوق العطّارين تباع بها السكاكر والمربيّات والحلويات وهي سوق جميلة مرتّبة) ٠ كما أشارت خارطة شرطة دمشق الصادرة خلال الأعوام (١٩٢٢ ـ ١٩٢٤ م) الى اسم سوق السكّرية وحددت موقعه حيث يتواجد الآن ، ومن جملة ما تقدّم نتوصّل الى الاعتقاد بأن موضع هذا السوق وتسميته لم يتبدّلا منذ العهد المملوكي وحتى الآن ، وأن الشيء الوحيد الذي تغيّر هو نوعية السلع التي كانت تباع فيه ، اذ استُبْدِلَ السكّر بالمنسوجات ٠

وسوق السكّرية بحالته الراهنة عبارة عن سوق ضيّق وطويل نسبياً كما أسلفت ، وهو مكتظّ بمتاجر الأقمشة والملبوسات النسائية والأجواخ والحرير والكريتون وما شابه ،

---

(١) رسالة (نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق) : يوسف بن عبد الهادي ، تجدها في كتاب (رسائل دمشقية) : تحقيق صلاح محمد الخيمي . دار ابن كثير ، دمشق ـ بيروت ١٩٨٨ ، ص ٧٦ السوق رقم ٢٣ .

(٢) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس ١٩٨٨ ، ص ٢١٣ .

(٣) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر ، تعريب قاسم طوير ، دمشق ١٩٨٤ ، ص ١٥٥ .

(٤) المصدر رقم ٢ ص ٢١١ .

(٥) الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي دار الرائد العربي ، بيروت ١٩٨٢ ص ٩٨ .

والبضائع المعروضة فيه معلّقة أو متدليّة أو مرصوفة أمام الدكاكين وفي داخلها ، مما يضفي على جوّه لمسة شاعرية من مساحة ولون ، وكأن السائر فيه يسير فوق سطح كوكب آخر ، والغريب في الأمر أن تسمية السكّرية ما زالت تطلق عليه الى يومنا هذا رغم تبدّل نوعية السلعة التي تباع فيه .

•

تعرف البداية الغربية لهذا السوق بسوق (الباله) وقد أطلقت التسمية عليها لتواجد باعة البالة عندها ، والباله كلمة ايطالية عربيّها (الإبَالة) وتعني : حزمة من المنسوجات ضخمة ومحكمة اللفّ والربط[٦] ، والمفهوم الدارج عندنا بأنها ألبسة مستعملة ، بينما الصحيح بأنها ألبسة فائضة أو كاسدة عن الاستهلاك ، أو أن طرازها يعود الى سنة أسبق الأمر الذي يجعل الدول الأوروبية تقوم بتصديرها الى أسواق العالم الثالث لقلّة راغبيها عندهم .

(٦) انظر معجم المنجد في اللغة والاعلام ـ جزء اللغة ـ دار المشرق ، بيروت ١٩٨٤ ، ص ٢٥ كلمة (الباله) .



لوحة جمالية للأخْمِرة النسائية الحريرية ، المتدلّية برِقّة الأنثى وخَفَرِ حيائِها
عند النهاية الشرقية لسوق السكّرية حيث بداية سوق الذراع .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



سوق السـكـرية من الشرق الى الغرب وفي العمق من الصورة نهايته العربية التي تدعى (سوق الباله) عنـد مدخله من محلّة باب الجابية .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



هكذا يعلّق أصحاب متاجر الأحذيـة الشعبية سلعتهم من (الصنادل والشحّاطات والكنادر) فوق مداخل حوانيتهم عند البداية الغربية لسوق السكّرية المعروفة باسم (سوق البالة) ، ومثل هذا الأسلوب في عرض الأحذية ليس وقفاً على هذا السوق بالذات بل هو مألوف في الأسواق الشعبية الأخـرى كسـوق السنانية وغيره ، ولحسن الحظ أن الغالبية العظمى من الناس الداخلين الى هذه الحوانيت ليسوا بعمالقة في الطول .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

سوق الذراع

Souk EL - THIRAA

سوق ضيّق مسقوف بساتر هرمي معدني ، يمتد من النهاية الشرقية لسوق السكّرية وعلى استقامته ، ثم ينعطف في طرفه الشرقي نحو الشمال ليلتقي بسوق مدحت باشا عند بدايته الغربية المسقوفة (أنظر مخطط الأسواق المجاورة لسوق مدحت باشا) .

ورد اسم سوق الذراع عند ابن عبد الهادي[1] بقوله : (سوق الذراع خلف الجامع الأموي من جهة القبلة ، يباع فيه البزّ من الحرير والكتّان والثياب الرفيعة النفيسة) . وفي موضع آخر يقول : (سـوق الذراع تحت القلعة ، يباع فيه القماش الذي هو دون ما يباع بسوق جقمق) . ثم يذكر للمرة الثالثة اسم هذا السوق فيقول : (سوق الذراع بالنقلية) . نستنتج من ذلك أن سوق الذراع تواجد في العهد المملوكي في ثلاثة مواضع هي : (خلف الجامع الأموي من جهة القبلة ، وفي تحت القلعة ، وبالنقلية) . كذلك أورد ابـن طولون[2] ذكر هذا السوق دون أن يحدد موقعه .

أما في العهد العثماني فذكره المحبّي[3] عند حديثه عن حسن باشا السياغوشي المعروف بـ (شوربزه حسن) أنه بتكليف من الوزير الأعظم مراد باشا والي الشام أيام السلطان مراد قام بعمارة (سوق المرادية بباب البريد والخان وسوق الذراع وجعله وقفاً على فقراء الحرمين الشريفين) . ثم أعاد ذكره عند حديثه عن مراد باشا بقوله : (فعمّر السوق الذي عند باب البريد وكان يعرف بسوق الطواقية ، شرع في تعميره أواخر سنة ١٠٠٢ هـ/١٥٩٤ م ، ثـم عمّر الى جانبه سوقاً آخر ونقل اليه تجار سوق الذراع)[4] لكنـه لا يذكر أي سوق من الأسواق الثلاثة التي تواجدت في العهد المملوكي تمّ نقل تجّارها اليه ، ولو أن المرجّح أن يكون سوق الذراع الذي كان خلف الجامع الأموي من جهة القبلة .

---

(١) نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق : يوسف بن عبد الهادي . رسالة نشرها حبيب الزيات في الخزانة الشرقية من مجلة المشرق العدد ٣٧ ، ١٩٣٩ (الاسواق رقم ١ – ٩١ – ١٠٢) .

(٢) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان : ابن طولون ج٢–ص ٦٢ .

(٣) خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر : المحبّي ج ٢ ص ٢٥ .

(٤) المصدر السابق ج ٤ ص ٣٥٦ .

ويغفل القساطلي أواخر العهد العثماني ذكر هذا السوق الى أن يعيده العلاف[5] في مطلع القرن العشرين فيقول : (سوق الذراع ويمتد من سوق الحميدية حتى ينتهي بسوق العبجية من سوق مدحت باشا ، ويتفرّع منه : سوق القاشاني ، والقباقبية ، وهو مغطّى أيضاً بسقف في جميع تفرّعاته ، وتكثر فيه المخازن الكبرى وتباع فيه لوازم نسائية من أمتعة وخيطان وعطورات ولوازم الخياطة ولباس الأفراح النسائية) • وينطبق هذا الوصف على الأسواق المتتابعة الحالية: (جادة سوق الحرير والقلبقجية والنورية والخيّاطين) الآخذة الى سوق مدحت باشا •

وتدلّ هذه المقولات التي ذكرت على أن موقع سوق الذراع كان في تبدّل مستمر خلال العهود المتلاحقة ، وربما كان متواجداً قبل العهد المملوكي ولكننا لا نملك الدليل على ذلك ، الى أن استقرّ به الحال في أيامنا الى الجنوب المجاور لسوق مدحت باشا وموازياً له كما أشرت عند بداية هذا البحث ، لكنني لم أستطع التوصل الى تاريخ انتقاله لهذا الموقع الجديد ، ولعلّ باحث آخر يكمل ما بدأت •

أما تسمية السوق فجاءت نسبة الى مقياس الطول (الذراع) وقد أطلقت عليه للدلالة على تخصصه ببيع الأقمشة التي كانت تقاس به ، ويلفظ اسم السوق على ألسنة الناس في أيامنا هذه : (سوق الضراع أو سوق الدراع) •

ولقد وجدت عند زيارتي الميدانية لهذا السوق أن البضائع المعروضة فيه شبيهة كل الشبه بتلك المعروضة في سوق السكّرية ولا عجب فهو امتداد له ، فالأخْمِرة الحريرية المدلاة ، والمنسوجات النسائية ، وأقشمة الكريتون وغيرها واحدة في السوقين ، والاختلاف الوحيد بينهما أن في سوق الذراع بضع محال محدودة تتجر بالخيوط والحبال •

كما شاهدت في هذا السوق واجهة خان قديم قيل لي بأنه (خان المردانية) لم يبق منه سوى مدخله الذي يفتح في سوق مدحت باشا ، أما الخان نفسه فلم يعد موجوداً وتحولت بقاياه الى (دخلة) صغيرة تشغلها محلات تجارية قليلة ، ولم أجد لهذا الخان ذكر بين خانات العهد المملوكي ، كذلك لم يذكره القساطلي بل ذكر تسمية خان (المردانية)[6] • وسأناقش هذا الأمر بعد قليل عند صورتّي واجهة الخان

---

(٥) دمشق في مطلع القرن العشرين : العلاف دار دمشق دمشق ١٩٨٣ ص ١٢ .

(٦) الروضة الغناء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي ص ١١٠ .



البداية الغربية لسوق الذراع نحو الشرق ويبدو في المقدمة إطار حديدي هـو الباب الفاصل بين هذا السوق وسوق السكّرية ، كما تبدو عند السهم المؤشر واجهة الخان الذي سأبحثه بعد قليل .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



دكّان فريد في تخصصه ضمن سوق الذراع يتجر صاحبه بالخيوط والحبال على اختلاف أنواعها .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



واجهة الخان المجهول في سوق الذراع
(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)

ما تبقّى من واجهة الخان الذي اختلف تجّار سوق الذراع حول تسميته ، فمنهم من يقول بأنه خان (المردانية) ومنهم من يلفظها (المرادنية) ويذهب البعض الى أنه خان (الزين) كما أن البعض الآخر لا يعرف شيئاً .

لم أجد لهذه التسميات أي ذكر في المصادر التي تتحدث عن خانات العهد المملوكي ، ولا عن خانات العهد العثماني ، فقط ورد ذكر خان (المرادنية) عند القساطلي[1] دون أن يحدد موقعه ، كما ذكر د. الريحاوي[2] في بحثه لخانات دمشق ما يلي : (وكل هـذه الخانات ـ يقصد التي أوردها القساطلي ـ ما تزال معروفة سوى خان المرادنية الذي لم نقع لـه على أثر) . أما د. يحيى[3] فلم يتطرّق الى ذكره آبداً .

وقد خطرت بذهني فكرة فرضية لا نظرية محققة ، وهي فكرة مقارنة الاسمين (المردانية والمرادنية) ، أفلا يمكن أن يكون الاسم الأول تحريفاً لفظياً للاسم الثاني على ألسنة الناس ؟ ثم لنقارن أيضاً بينهما وبين اسم الوالي (مراد باشا) الذي شيّد سوق الذراع ، ألا يوحي ذلك باشتقاق الإسمين من اسمه سيما وأن طراز عمارة الواجهة مطابقة لأطرزة عمارة الخانات في العهد العثماني رغم عدم توفر دليل أو سأكف حجري منقوش يشير اليه ، ثم إن موقـع هذه الواجهة هي استمرار لنسق السوق دون بروزات الأمر الذي قد يشير الى بنائه في نفس حقبة تشييد السوق . ثم لنربط بين اسم (سوق المرادنية) الذي ذكر القاسمي[4] تواجـده داخل باب الجابية عند حديثه عن (الزهوراتي) و (المرادني الذي يصنع المردن وهو المغزل الذي تركّب عليه ماسورة الحرير) وبين اسم هذا الخان الوارد عـلى ألسـنة الناس داخل السوق ، أفلا يشير ذلك الى تقارب لفظي يمكن أن يوحي بأن الخان هو خان المرادنية ؟ على كلّ تبقى القضية معلّقة حتى اكتشاف الدليل المثبت من قبل باحث آخر .

---

(١) الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي . دار الرائد العربي ، بيروت ١٩٨٢ ص ١١٠ .

(٢) خانات مدينة دمشق : د. عبد القادر الريحاوي. الحوليات الاثرية المجلد ٢٥ ، ١٩٧٥ ص ٤٧ .

(٣) جرد اثري لخانات دمشق : د. فؤاد يحيى ، الحوليات الاثرية المجلد ٣١ ، ١٩٨١ ص ٦٧ .

(٧) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي ، دار طلاس دمشق ١٩٨٨ و ص ٤٢٦ .

سوق النسوان

Souk EL - NISWAN

يحتل سوق النسوان حالياً باب الجابية الأثري نفسه ، ويمتد منه قليلا نحــو الداخل والخارج ، كما يلتقي بسوق القطن من جهة الشرق ، أما من الغرب فبسوقي (السكرية) المجاور لسوق مدحت باشا و (الصباغين) الممتد جنوباً حتى منطقة السنانية من محلة باب الجابية (أنظر مخطط الأسواق المجاورة لسوق مدحت باشا) •

لم ترد تسمية هذا السوق في مؤلفات العهــد المملوكي ، وأول اشارة لــه جاءت من القساطلي[1] بقوله : (سوق النسوان وهي جزء من سوق الأروام) مما يشير الى نشوئه في العهد العثماني ولكن في غير موضعه الحالي • وهنا أود أو أوضح نقطة يمكن أن تؤدي الى حصول التباس نتيجة اطــلاق نفس التسميات على الأسواق التي تواجدت في غير مواقعهــا الحالية ، فاستناداً لخارطة شرطة دمشق الصادرة خــلال الأعوام (١٩٢٢ ــ ١٩٢٤ م) كانت هذه التسميات والمواقع هي :

١ ــ سوق الأروام :

أطلقت التسمية على النصف الغربي لسوق الحميدية بين الدرويشية والعصرونية ، ثــم صارت تطلق في أيامنا هذه على السوق الصغير المتفرع عنــه (أنظر مخطط ســوقي الحميدية والعصرونية في بداية هذا المؤلف • كذلك جزء خارطة شرطة دمشق المنشور في هذا البحث) •

٢ ــ سوق النسوان :

كان هذا هو اسم سوق الأروام الحالي •

---

(١) الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي ، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٢ ص ٩٦ السوق رقم ٢٤

٣ ـ سوق الصوف :

تواجد بين سوقي النسوان والأروام القديمين (سوقي الأروام والحميدية الآن) •

وقد ورد اسم سوق النسوان أيضاً عند القاسمي[٢] بقوله : (يأتي النساء اليه بأصناف الملبوسات وحوائج البيوت فيبيعونها لمن يرغب شراءها من أصحاب السوق أو المارّين) غير أنه لا يذكر موقعه شأنه شأن من سبقوه من المؤرخين الذين كانوا يعدّدون أسماء الأسواق دونما ذكر لمواقعها الأمر الذي خلق لنا اشكالاً كبيراً في تحديد المواضع التي كانت تشغلها هذه الأسواق ، ومن المؤسف ألا يفكر أحدهم بوضع ولو مخطط تقريبي لهـذه المواقع . وأقدم خارطة مفصّلة وصلتنا هي خارطة شرطة دمشق التي ذكرتها قبل قليل ، أما بقية خرائط الثلاثينات وما بعدها فهي خرائط عامة للمدينة ولا تفي بالغرض الذي نحن بصدد بحثه • الا أن القاسمي[٣] يعاود ذكر سوق النسوان في موضع آخر من قاموسه وفي هـذه المرّة يشير الى موقعه بشكل عام فيقول : (سوق النسوان قرب الباب الشرقي لقلعة دمشق تباع فيه السلع العتيقة البالية فيشتريها (المطربازيون)[٤] ويصلحون ما يمكن اصلاحه ويعلّقونها في حوانيتهم ويبيعونها لمن يرغب ذلك) •

من غير المعروف متى انتقلت تسمية سوق النسوان الى السوق الحالي في باب الجابية رغم أن سوق (البالة) المجاور له عند بداية سوق السكّرية أحقّ منه بهذه التسمية ؛ غير أن هذا الأمر لا بد وأن يكون قد وقع بعد عام (١٩٢٤ م) وهو العام الذي صدرت فيه خارطة شرطة دمشق المذكورة • وقد ذكر لي بعض تجّار هذا السوق بأنه يعرف أيضاً على ألسنة الناس باسم (سوق ميله أو أبو ميله) ولعل هـذه اللفظة جاءت تحريفاً لاسم (سوق قميلة) الذي تواجد في منطقة (تحت القلعة) ابّان العهد المملوكي كما يذكر ابن عبد الهادي[٥] وكانت تباع فيه (الخلقان) ، أما في العهد العثماني فذكره القساطلي[٦] بقوله : (سوق قميله يباع فيها النحاس المستعمل وغير المستعمل والأثـاث المستعمل والأسـلحة وغير ذلك) دون أن يحدد موضعه •

---

(٢) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس ١٩٨٨ ، ص ١٨١ ـ ٤٥١ .

(٣) المصدر السابق ونفس الصفحات .

(٤) المطربازي : اسم لمن يبيع السلع المتوعة والامتعة الجديدة والمستعملة أيضا . انظر المصدر السابق ص ٤٥٠ .

(٥) نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق : يوسف بن عبد الهادي ، تجد هذه الرسالة في كتاب (رسائل دمشقية) . تحقيق صلاح محمد الخيمي ، دار ابن كثير ، دمشق ـ بيروت ١٩٨٨ ص ٨١ السوق رقم ٧٨ .

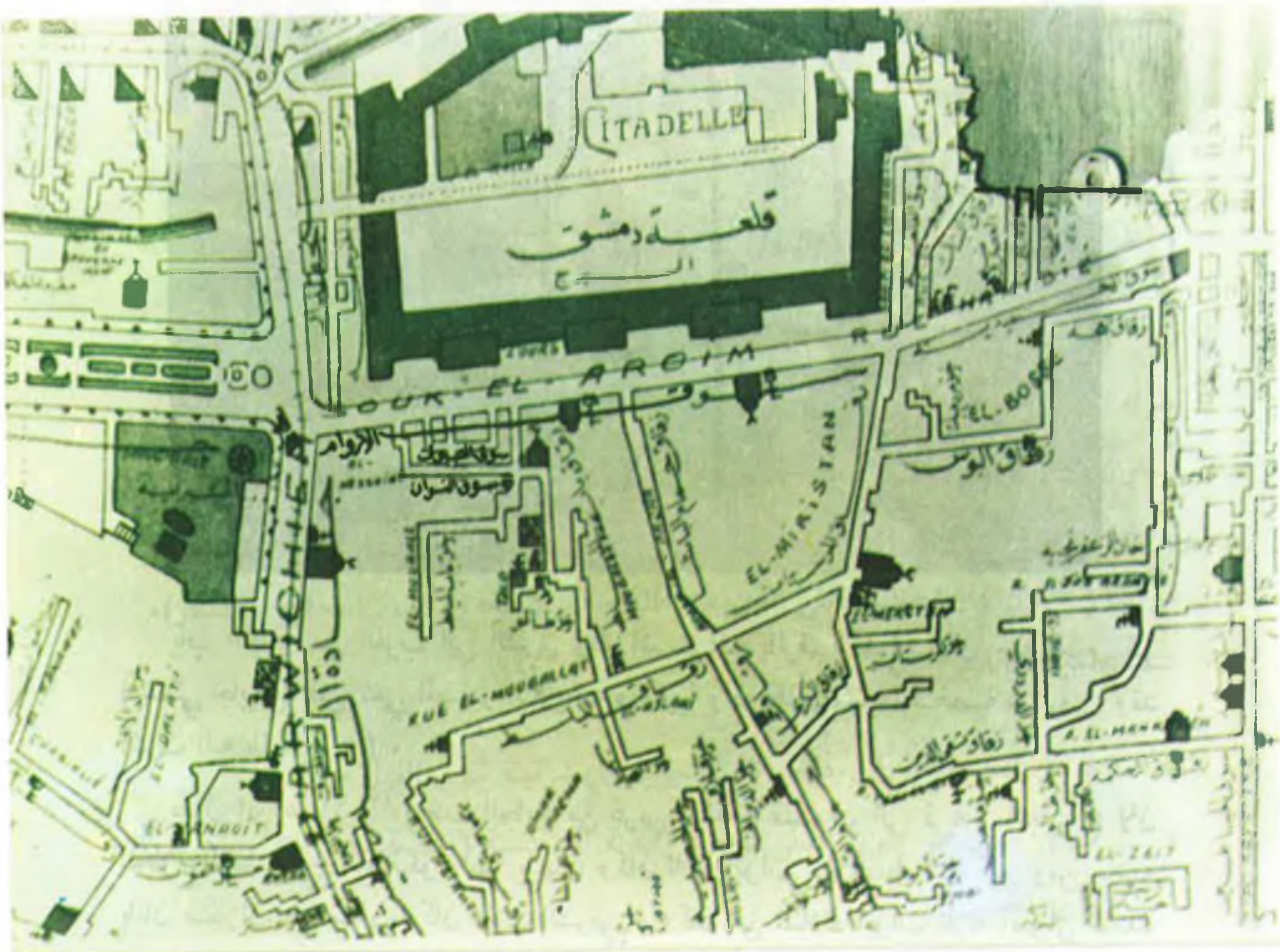
(٦) الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي ص ٩٩ السوق رقم ٢٥ .

قلت في البداية أن سوق النسوان يحتل باب الجابية الأثري نفسه ، هذا الباب المشيّد في العهد الروماني والمجدد في العهدين الأتابكي والأيوبي ، والى يمين الداخل اليه من جهة الغرب يقع قبر (ستّي جابية) ، كل ذلك يختلط بما يتدلّى من البـاب أو يعلّق عليـه من ثياب وملبوسات نسائية بسيطة معروضة للبيع الى جانب مختلف الأقمشـة وأغطيـة الطـاولات و (مرابيل المطبخ) وما شابه على الرغم من أن هذا البـاب قد دخل منه أبـو عبيدة ابن الجرّاح صلحاً عند فتح دمشق سنة (١٣ هـ/٦٣٤ م) .



باب الجابية الأثري وسوق النسوان من الشرق الى الغرب ، من داخل السور نحو جامع السنانية .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



جزء من خارطة شرطة دمشق الصادرة خلال الأعوام (١٩٢٢ ـ ١٩٢٤ م) وتبدو فيها التسميات التي كانت تطلق على الأسواق في تلك الحقبة ، وباعتقادي أن هذه التسميات ترجع الى العهد العثماني سيما وأن الحقبة الزمنية التي مرّت على دمشق منذ خروج الأتراك منها وحتى ظهور الخارطة كانت قصيرة تخللتها مرحلتان من التغيرات السياسية اذ شكّلت الحكومة العربية ثم جاء الاحتلال الفرنسي ، وجميع هذه الأحداث لا تترك وقتا ولا مجالا لاجراء تعديلات في الأسماء والمواقع .



باب الجابية من الغرب الى الشرق وقد أشرت اليه بالرقم (١) ، وفي جهة اليمين قبر (ستّي جابية) التي تنفي المصادر التاريخية والأثرية وجودها وتعتبرها شخصية خيالية[١] وقد أشرت اليه بالرقم (٢) .

يقول ابن عساكر[٢] (باب الجابية من غربي البلد ، منسوب الى قرية (الجابية) لأن الخارج اليها يخرج منه لكونه مما يليها ، وكان ثلاثة أبواب : الأوسط منها كبير ومن جانبيه بابان صغيران على مثال ما كان الباب الشرقي ، وكان من الثلاثة أبواب ثلاثة أسواق ممتدة من باب الجابية الى الباب الشرقي ، وكان الأوسط من الأسواق للناس ، وأحد السوقين لمن يشرّق بدابّته ، والآخر لمن يغرّب بدابّته ، حتى أنه كان لا يلتقي بها راكبان ، فسدّ الباب الكبير ، والشامي منها ، وبقي القبلي الى الآن) .

وتشير هذه المقولة الى أن (نظام السير ووحدة الاتجاه) كانت مطبّقة في الفترة التي عاشها ابن عساكر خلال السنوات (٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م — ٧١١ هـ / ١٣١١ م) بين أواخر العهد الأيوبي وبداية العهد المملوكي قبل أن يطبق هذا النظام في أوروبا وبقية انحاء العالم .

(١) انظر كتاب الآثار الاسلامية في مدينة دمشق: ولتسينجر تعريب قاسم طوير ، دمشق ١٩٨٤ ص ١٥٤ حاشية ٥ .
(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر : ابن منظور ، دار الفكر دمشق ١٩٨٤ ج ١ ص ٢٠٠ .

سوق القطن

Souk EL - COTTON

سوق مستقيم مغطّى بساتر هرمي من المعدن ، يمتد من الغرب الى الشرق بين سوق النسوان وسوق الصوف ، كما يفتح في سوقي السكرية والذراع الواقعين الى الشمال منه (أنظر مخطط الأسواق المجاورة لسوق مدحت باشا) •

ورد ذكر هذا السوق عند النعيمي[1] ، كما ورد عند ابن عبد الهادي[2] الذي ذكره بقوله : (سوق القطّانين تحت سوق جقمق يباع فيه القطن) ، مما يؤكد تواجده في العهد المملوكي ، ولربما كان أقدم من ذلك ، ولعله السوق الذي قصده ابن طولون[3] عندما قال : (وخرجت النار من حانوت تحميص القضمانية ، داخل باب الجابية ، ولم تلحق ما في شرقيه من سوق الغزل ، والجانب القبلي الذي فيه المئذنة الجركسية، ولا سوق المنجدين والفسقار)• نستنتج من هذه المقولة أن :

١ ـ سوق القضمانيين كان داخل باب الجابية وفي شرقيّه سوق الغزل •

٢ ـ سوق الغزل هو سوق القطن لوجود المئذنة الجركسية (مئذنة جامع جركس) على جانبه القبلي •

٣ ـ سوق المنجدين كان بجوار سوق القضمانية أو قربه ، وكذلك الفسقار (عند البداية الغربية لسوق مدحت باشا الحالي) •

---

(١) الدارس في تاريخ المدارس : النعيمي ج ٢ ص ٢٢٧ .

(٢) نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق : يوسف بن عبد الهادي ، سوق رقم ٢١ تجدها ضمن كتاب : رسائل دمشقية تحقيق صلاح محمد الخيمي ، دار ابن كثير ، دمشق ـ بيروت ١٩٨٨ ص ٧٧ .

(٣) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان : ابن طولون القاهرة ١٩٦٢ ، ج ١ ص ٣٥٢ سطر ١٢ .

ما زال هذا السوق القديم محافظاً على تخصصه في تجارة القطن الى اليوم ، وقد أضيفت اليها تجارة الصوف الخام بعد أن تخلّى عنها سوقها المعروف باسم (سوق الصوف) أو سوق الحبّالين الواقع على امتداد سوق القطن نحو الشرق ، وتعتبر الدخلة المجاورة لجامع القلعي نقطة نهاية هذا السوق وبداية سوق الصوف .

وقد لحظت أثناء تجوالي في هذا الموقع أن لا شيء مثير فيه من وجهة النظر الجمالية ، فبالات القطن والصوف تتكدّس داخل الحوانيت وخارجها ناثرة بقاياها في كل مكان ، فقط تخترق أذنيك أصوات الصفير الحاد الذي يصدر عن القضبان المعدنية النحيلة كلما شقّت الهواء هابطة بعنف فوق كتلة الصوف بغية (تَنْفِيشها) . كذلك يلفت نظرك مرأى (الموازين) الضخمة المتدلية من سقف كل حانوت .

ومن أهم المشيّدات التاريخية في هذا السوق جامع القلعي وسبيل الخزنة وكلاهما من العهد المملوكي .



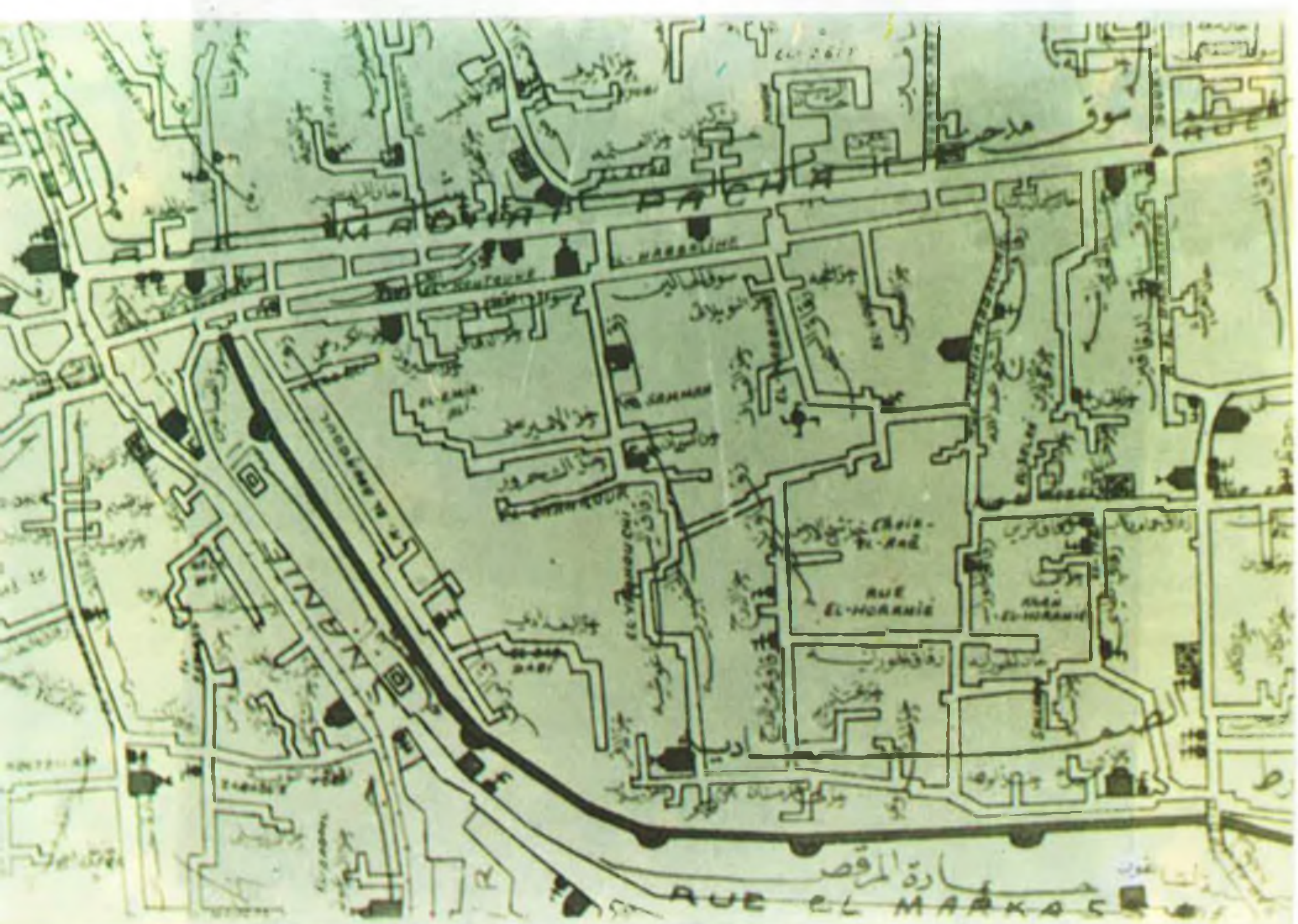
سوق القطن من الغرب الى الشرق وفي العمق من الصورة بداية سوق الصوف (سوق الحبّالين) ، وقبله في جهة اليمين شرفة مئذنة جامع جركس وقد أشرت اليها بسهم .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



عملية (تَنْفِيش) جزّة الصوف في سوق القطن بواسطة (سِيْخ) التنجيد المعدني

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



جزء من خارطة شرطة دمشق الصادرة خلال الأعوام (١٩٢٢ ـ ١٩٢٤ م) وفيها سوق مدحت باشا وما يجاوره من الأسواق كسوق السكّرية وسوق القطن وسوق الحبّالين وسوق الصبّاغين .



سوق القطن من الغرب الى الشرق باتجاه سوق النسوان الذي يتداخل معه على استقامة واحدة دونما فاصل يحدد بداية أو نهاية كلّ منهما •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



يتدلّى من سقف كل حانوت من حوانيت سوق القطن ميزان ضخم يدعى (ميزان عربي) ويتميّز بكبر حجمه ليتمكّن تجّار هـذا السوق من تحديـد وزن جزز الصوف أو القطن أو بالاثنهما .

(بعدسة المؤلف صيف عـام ١٩٨٩ م)



تعتبر مئذنة جامع القلعي في سوق القطن المشيّدة في العهد المملوكي حوالي القرن الثامن للهجرة/ الخامس عشر للميلاد من أجمل المنارات الاسلامية بتصيها الفريد وزخارفها البديعة .

(الصورة بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م وهي ملتقطة من نزلة الخيضرية باتجاه الشمال الغربي)



سبيل الخزنة في سوق القطن : أنشأه في العهد المملوكي الأمير سيف الدين جركس حاجب الحجاب سنة (٨٠٧ هـ/١٤٠٤ م) استناداً للوحة الحجرية المؤرخة له، ويقع حالياً قبالة جامع جركس من جهة الشمال .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

سوق الصوف

Souk EL - SOUF

يمتد هذا السوق المغطّى من الغرب الى الشرق موازياً لسوق مدحت باشا من جهة الجنوب ، بين سوق القطن وجادّة الشمّاعين ، ويغطي قسمه الشرقي ساتر هرمي من المعدن يحجب عنه الضوء (أنظر مخطط الأسواق والخانات) وكذلك (مخطط الأسواق المجاورة لسوق مدحت باشا) •

ذكره ابن عبد الهادي[1] باسم (سوق الحبّالين) وحدد موضعه في باب الجابية ، وكذلك ابن طولون[2] وعيّن موقعه بالقرب من باب الجابية ، أما النعيمي[3] فيسميه (سوق الصوف) ، وابن شدّاد[4] (سوق الصّرف) مما يشير الى تواجده في العهد المملوكي وربما كان أقدم من ذلك • وكتب عنه القساطلي[5] يقول (سوق الحبّالين يباع فيه المرس والخيطان والحبال) ، وحددت خارطة شرطة دمشق الصادرة خلال الأعوام (١٩٢٢ — ١٩٢٤ م) موقعه في نفس مكانه الحالي وسمّته (سوق الحبّالين) •

ويعرّف القاسمي[6] الصوّاف بقوله : (هو الذي يتجر بالصوف العتيق القليل والجديد ، يشتريه من القرى ويبيعه في سوق الصوف ليستعمل حشواً الى الفرش واللحف ، أو غزلاً لتصنع منه الجرابات المعروفة بـ: شغل الشام ، وهي أمتن من التي تأتي به من غيرها) •

وتبيّنت عند زيارتي الميدانية للسوق أنه لا زال محافظاً الى حدّ ما على اختصاصه ، فمعظم حوانيته تتجر بالأصواف الملونة الجاهزة للحياكة على شكل (شلل وكباكيب) ، وبالحبال والمرَس والخيوط ، كما لاحظت تواجد نوع جديد من الحبال المشغّلة المعدّة لتعليق أُصص النباتات الى السقف تعرف بالأجنبية باسم (ماكْرامِيه) ، وتعتبر من وسائط التزيين في البيوتات الحديثة •

(١) نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق : ابن عبد الهادي تجدها في كتاب رسائل دمشقية ، تحقيق صلاح محمد الخيمي ، دار ابن كثير دمشق ـ بيروت ١٩٨٨ ص ٧٧ السوق رقم ٣٥ .
(٢) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان : ابن طولون ج ١ ص ١٥٦ و ص ٣٧١ والفهرس .
(٣) الدارس في تاريخ المدارس : عبد القادر النعيمي ج ١ ص ٣٠٨ .
(٤) الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة (تاريخ مدينة دمشق) : ابن شداد تحقيق د. سامي الدهان المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، دمشق ١٩٥٦ ص ٩٧ .
(٥) الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي ، دار الرائد العربي ، بيروت ١٩٨٢ ص ٩٨ .
(٦) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي ، دار طلاس دمشق ١٩٨٨ ص ٢٧٥ .



الجزء الشرقي من سوق الصوف (الحبالين) الآخذ في عمقه الى محلة الشماعين تعلوه مئذنة جامع هشام الذي نوهت عنه في بحث سوق مدحت باشا . ولما كان الساتر المعدني الحرمي يفرش العتمة فوق هذا القسم من السوق بشكل يحجب معه الضياء والنور ، جاءت الصورة مظلمة وضاعت بعض التفاصيل الداخلية ، وعلى كل ، هي ليست هامة ، فقط بضع دكاكين لبيع الحبال والخيوط الصوفية الجاهزة الملونة .

(بعدسة المؤلف من الغرب الى الشرق صيف عام ١٩٨٩ م)



الجزء الشرقي المغطّى من سوق الصوف أو الحبّالين من الغرب الى الشرق، وتبدو في جهة اليمين من الصورة الحبال المشغّلة (الماكْرامِيه) التي نوهت عنها في النص.

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



الحبال والمرس والخيطان في سوق الصوف أو الحبّالين

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

سوق الصبّاغين

Souk EL - SABBAGHIN

يمتد هذا السوق الصغير المغطّى بساتر هرمي من الحديد والتوتياء من الشمال الى الجنوب ، بين باب الجابية الأثري نفسه ومحلّة باب الجابية المجاورة للسنانية ، مسايراً الجدار الشرقي لجامع السنانية ومنتهياً عند الزاوية الجنوبية لهذا الجامع بجوار مكتب السنانية ، وفي هذا الموضع بالذات تتواجد لوحة معدنية تحمل عبارة (زقاق سوق القطن) ويظهر أنها التسمية الرسمية لهذا السوق (أنظر مخطط الأسواق المجاورة لسوق مدحت باشا) •

لم أعثر على ذكر لسوق الصبّاغين في أي من المراجع المملوكيــة أو العثمانيــة ، وأول اشارة له جاءت في خارطة شرطة دمشق الموضوعة خلال السنوات (١٩٢٢ ــ ١٩٢٤ م) الأمر الذي يدعو الى الاعتقاد بأنه نشأ مع بدايات هذا القرن أو ربما في القرن التاسع عشر ، وهناك احتمال لنشوئه قبل ذلك غير أن صغره أو قلّة أهميته جعل المؤرخين يهملون ذكره •

وقد حدثني المسنّون من تجّاره أنهم لا ينسون كيف تراكض الناس فيه لدى سماعهم خبر اكتشاف (جرّار) تحت أرضه أثنــاء الحفريات التي جرت فيه ، وقد اعتقدوا بأنهــا تحوي على الذهب ففوجؤوا باحتوائها على الأصبغة مما يدّل عــلى أن الصبّاغين كانــوا يشغلونه ومنهم جــاءت تسميته • أما اليوم فتشغله حوانيت بيع (الألبسة العربية والفروات الطّقّاليّة)[1] الى جانب بضع متاجر للكريتون والأقمشــة الشعبية التي يرتديهــا البــدو والحضر على حدّ سواء •

(١) الفروات الطّقّاليّة : هي جلد وفروة الخروف الصغير ويقال له الطقل ومنها جاءت التسمية .



المدخل الجنوبي لسوق الصبّاغين بين الجدار الشرقي لجامع السنانية ومكتب السنانية ــ وقد أشرت اليه بسهم ــ في جهة اليمين من الصورة، وتبدو قبة الجامع مصابة بقذيفة مدفع أطلق من (المزّة) ابّان الثورة السورية (١٩٢٥ ــ ١٩٢٧ م) مما يؤكد أن التقاط الصورة قد تمّ بعيد هذا التاريخ ، أما اتجاهها فمن الجنوب الى الشمال ، وفي جهة اليسار منها سوق باب الجابية المغطّى بساتر قوسي •



المدخل الجنوبي لسوق الصبّاغين من نفس زاوية واتجاه الصورة السابقة انما بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م ويلاحظ فيها أن ساتر سوق الصبّاغين قد صار هرمياً بعد أن كان مسطحاً ، كما يبدو في جهة اليسار شارع السنانية في محلة باب الجابية•

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



سوق الصبّاغين من الشمال الى الجنوب حيث محلّة باب الجابية في عمق الصورة الملتقطة بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م •



الفروة الطـَفـَالِـيـّة التي تحاك على شكل معطف يرتديه البدو وبعض الحضر ، أو تفرش فوق أرض خيامهم وبيوتهم •

(بعدسة المؤلف في سوق الصبّاغين عام ١٩٨٩ م)



تكوينات وحشية من فراء الأضحية في ســوق الصبّاغين

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩)



الفروة التي يرتديها البدو وبعض الحضر بدلاً عن المعطف ، وهي تحاك عادة على شكل يكون معه الصوف باتجاه الداخل لتأمين أكبر مقدار ممكن من الدفء في الشتاء بينما يبقى الجلد نفسه نحو الخارج كعازل مطري. وقد استوحت مصانع المعاطف الحديثة هذه الفكرة ونفّذتها على شكل (معطف مبطّن) بالصوف أو الفرو الصنعيين .

سوق الدرويشيّة

Souk EL - DARWISHIAH

يمتد هذا السوق بين المدخلين الغربيين لسوق الحميدية وسوق مدحت باشا باتجاه شمالي جنوبي ، وتعتبره الخرائط الحديثة جزءا من شارع سعد زغلول (أنظر مخطط سوقي الدرويشية وباب الجابية) .

لم يكن سوق الدرويشية قائماً في العهد المملوكي ، غير أن ابن عبد الهادي[1] ذكر وجود عدة أسواق كانت في الموضع الذي يشغله الآن وهي : (سوق الاخصاصيين الذين يصنعون الاخصاص والاقفاص ونحو ذلك ، وسوق الدفوفيين والطنابير عند سوق الاخصاصيين ، وسوق التنورية وهم مفرّقون وجلّهم بجسر الزلابية الى باب الجابية ، وسوق المحايرية وكان لهم سوقان أحدهما عند الاخصاصيين ثم بطل) .أنظر مخطط تجمّع الأسواق في العهد المملوكي عند بداية هذا المؤلف .

تلاشت أسماء الأسواق المذكورة في العهد العثماني منذ نشوء جامع درويش باشا وحلّت محلّها تسمية سوق الدرويشية المشتّقة من اسم الجامع ، وحدد القساطلي[2] بدايته من رأس سوق الأروام (اي القسم الغربي من سوق الحميدية) الى باب الجابية ، وتحدث عنه العلّاف[3] بقوله : (ثم تسير على الجادة العامة من السنجقدار فتجد سوق الدرويشية ، ويكثر فيه باعة اللوازم الخشبية كالكراسي والمقاعد والدرابزونات الخشبية ومطارق الكبّة ، والأجران الخشب ، وباعة متنوعة ، حتى تصل الى مدخل سوق مدحت باشا) .

كما ذكره القاسمي[4] عند حديثه عن الصناعات الشامية في مواضع متعددة من قاموسه فقال : (الأراكيلي هو صانع الأراكيل ، وهذه الصنعة باق منها بقية في الشام ، وغالبهم في محلة الدرويشية) . ثم قال: (الخرّاط اسم لمن يحترف الخراطة وهي حرفة شهيرة رائجة ، ولها سوق

---

(١) نزهة الرفاق في شرح حال الأسواق : ابن عبد الهادي نشر هذه الرسالة حبيب الزيات في الخزانة الشرقية من مجلة المشرق العدد ٣٧ ، ١٩٣٩ ، الأسواق رقم (٥٨ – ٥٩ – ١٣٨ – ١٥٠) .

(٢) الروضة الغناء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي ص ٩٩ .

(٣) دمشق مطلع القرن العشرين : العلاف . دار دمشق ، ١٩٨٣ ، ص ١٦ .

(٤) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس ، ١٩٨٨ ، الصفحات (٣٧ – ١٢٢ – ١٨٠ – ٢٢٠) .

مخصوص عندنا بدمشق يسمّى بالخرّاطين، أول جادة الدرويشية ، أشهر من نار على علم) •
وقال أيضاً: السرايري اسم لمن يصنع السرايرجمع سرير، والسرير هو المهد الذي يوضع فيه المولود ويحرّك من أجل أن ينام ، وهو إما من دّف وهو القديم بالشام ، أو من حديد يصنعه الحدّادون ، كالقفيلاتية ، وغالب وجوده عندهم بالدرويشية الجادة المشهورة بدمشق) • وفي حديثه عن البسطاطي يقول : (هو اسم لمن ليس له دكان ، فيبسّط في أطراف الطرق العمومية ، وغالبهم عند باب سراية العسكرية ـ ويقصد المشيرية التي كانت في موضع القصر العدلي اليوم ـ وفي سوق الدرويشية) •

نستنتج من المقولات السابقة أن سوق الدرويشية كان حتى مطلع القرن العشرين سوقا لصنّاع الأراكيل والخرّاطين وصنّاع السراير (المهود) والبسطاطية الذين نطلق عليهم اليوم اسم (الباعة المتعيّشين) • وأذكر جيّدا أن الحال استمرّ بالسوق على نفس المنوال حتى أواخر الأربعينات وبدايات الخمسينات حين بدأت فيه هذه الحرَف بالاختفاء التدريجي اثر تنظيم منطقة خلف القصر العدلي حيث نشأت أبنية حديثة شغلتها وكالات ومتاجر امتدت الى جزء من السوق الأصلي •

وعند بحثي الميداني لحالة السوق الحالية صيف ١٩٨٩م تبين لي أن الحوانيت التخصصية التي كانت فيه قد اختفت كلياً ، وحلّت محلّها متاجر ودكاكين بيع الأحذية والملبوسات النسائية البسيطة ، والملابس الداخلية ، وألعاب الأطفال ، والأدوات العصرونية (المنزلية) والنوفوتيه، والمسجّلات والراديو ، والساعات ، ووكالات استيراد الأجهزة المنزلية والكهربائية ، وأجهزة المكاتب ، وثمة حانوت يبيع الهدايا والحيوانات المحنّطة (المصبّرة) ، وآخر لمصنوعات الخيزران من مقاعد ومناضد وما شابه ، وكلما اقتربنا في سيرنا من ساحة باب الجابية التي كانت في العهدين المملوكي والعثماني سوقا هاما ، كلما تغيّرت معالم التحديث في سوق الدرويشية تدريجياً، وصارت حوانيت بيع المواد الغذائية بديلة عن متاجر الأجهزة والكهربائيات ، فهناك باعة (القطايف والمطبّقات وشلل الكنافة) ، والزيت والزيتون ، وشوّائي اللحم ضمن المطاعم الشعبية ، والفراريج المشوية والفلافل ، والسكاكر الرخيصة والموالح ، وفرن لخبز الكعك ، وحذّائون لاصلاح الأحذية المعطوبة فورا ، وفندقا شعبيا ، وصيدليات ، ومنتجات نحاسية شرقية ، وهناك ايضا حوانيت (السمكرية) وباعة المرطبات والبوظة والحلويات ، والملبوسات الشعبية بأنواعها المختلفة •

تتواجد في سوق الدرويشية مشيّدات تاريخية هامة هي : جامع درويش باشا ومجموعته العمرانية ، وجامع الخرّاطين أو المدرسة السيبائية (وعلى ألسنة الناس : السباهية) ، ولعل تسمية الجامع بالخرّاطين جاءت نسبة الى سوق الخرّاطين الذي تواجد عنده في العهدالعثماني في أول جادة الدرويشية ، كما سمّي السوق الذي يليه بالسباهية نسبة للمدرسة السباهية •



بداية سوق الدرويشية من الشمال الى الجنوب بعدسة المؤلف صيف عام (١٩٨٩ م) وفي جهة اليسار من الصورة في عمق الشـــارع مئذنة جامع درويش باشا الذي يعرف على ألسنة الناس خطأ باسم (جامع الدرويشية) ولعل في هذا الموقع كان سوق الخرّاطين الذي عيّن القاسمي موضعه في أول جادة الدرويشية •



سوق الدرويشية من الشمال الى الجنوب حوالي أواخر القرن التاسع عشر ومطلع العشرين، ويلاحظ فيه بروز الحوانيت عن مستوى الأبنية والمشيّدات ، وازدحامه الشديد بالمارّة شأنه في ذلك الزمن شأنه اليوم مع فارق بسيط هو استبدال العربات بالسيّارات .



سوق الدرويشية من الشمال الى الجنوب حوالي نهاية العشرينات أو بداية الثلاثينات من هذا القرن ، ويلاحظ فيه بعد المقارنة مع الصورة السابقة أن الحوانيت البارزة التي كانت متواجدة على طول نسقه الغربي ــ في جهة اليمين من الصورة ــ قد اختفت ، كما تبدّلت معالم بعض مشيّداته اثر اعادة تنظيم المنطقة وتوسيع الشارع .



السرير أو المهد الذي ورد الحديث عنه في النص ، وبه يوضع المولود ويحرّك من أجل أن ينام.
(الصورة من كتاب سورية اليوم : د. لورتيه باريز ١٨٨٤)



Arm Drives the Bow, Toes Guide the Chisel; a Chair Leg Is Born

صورة لخرّاط الخشب نشرتها المجلة الجغرافية الوطنية الصادرة في أمريكا (عدد كانون الأول ١٩٤٦ م) وكتبت تحتها التعليق التالي :

الذراع تقود القوس ، وأصابع القدم تحكم الازميل ، و (رجل كرسي) تنتج . والظاهر في الصورة أن الناتج هو (رأس أركيلة) وليس رجل كرسي .



(الأختام النحاسية بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

راجت نتيجةً لانتشار (الأُميَّة) بين الناس في العهد العثماني وما قبله ، صناعة الأختام النحاسية وحفرها يدوياً كبديل عن التوقيع أو البصمة ، وكان صنّاعها يتجمعون في باب الجابية ، وعلى طول الرصيف المحاذي لسوق الخجا في السنجقدار ، واستمرّ بهم الحال حتى مطلع الخمسينات حين بدأت هذه الصناعة بالاضمحلال السريع حتى اختفت ولم يبق منها سوى محل واحد أذكره في سوق الخجا من جهة مدخل القلعة وقد زال بزوال هذا السوق.

لم تكن الأختام النحاسية وقفاً على الجهلاء من عامة الناس ، بل اعتمدها المتعلّمون وكبار رجالات العهد العثماني ، وكانوا يتبارون في حسن مظهرها وخطّها ونقوشها، الى أن اختفت هذه الظاهرة في الوقت الحاضر ، واستعيض عنها بالتوقيع الشخصي ، أو ببصمة ابهام اليد اليسرى للذين لا يحسنون القراءة والكتابة وهم قلّة نادرة .

ويسمي القاسمي[١] صانع هذه الأختام (حكّاك الخواتم) ويذكر أنه اسم لمن يحفر الختم المصبوب من النحاس الأصفر الرملي ، وتارة يكون من فضّة . ويحفر أيضاً فصوص الخواتم المعمولة من الأحجار المعدنية ، كحجر العقيق ، وحجر الدم ، وغير ذلك ، وأهل هذه الحرفة ، غالب مقرّهم أمام باب سرايا العسكرية[٢] أو المالية ، وغالبهم يجلس في الطريق والسكّة ، ويوجد منهم بين السرايين .

(١) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٨ ، ص ١٠١ .
(٢) السرايا العسكرية : مبنى المشيرية مكان القصر العدلي في شارع النصر .



(قدّاحة الفتيلة بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

من الأشياء التي كانت تباع في سوق الدرويشية حتى عهد قريب ، قدّاحة قديمة التصنيع تعرف على ألسنة الناس باسم (قدّاحة الفتيلة) التي كانت في السابق منتشرة بين الناس والفلاّحين ورعاة الغنم على وجه الخصوص ولا زالت تستعمل الى اليوم بشكل محدود ، وهي أفضل وسيلة لاشعال السجاير في الهواء الشديد . ولا تحتاج الى وقود لذلك كانت أكثر توفيراً من الوسائط الأخرى ، الا أنها تحتاج الى زمن أطول وجهد أكبر حتى يشتعل فتيلها المفاعل بمادة تساعده على الاحتراق ، لكنه لا يعطي لهباً بل جمراً ، أما الشرارة فتنطلق من (حجر القداحة العادي المعروف) .

ومن القدّاحات الأقدم التي كانت تباع أيضا في نفس السوق ، (قدّاحة حجر الصوّان) ولم أتمكن من الحصول على واحدة منها بسبب بطلان استعمالها واختفائها من الأسواق نتيجة لذلك . وكانت هذه القدّاحة عبارة عن حجر صوّان عادي توضع فوقه قطعة من الصوف أو ما شابه وتمسكان باليد اليسرى ، بينما تحمل اليد اليمنى قطعة من حديد تقرع بها الحجر فتتولّد نتيجة لذلك شرارة تؤدي الى اشعال الصوف ولكن بغير لهب ، شأنها شأن قدّاحة الفتيلة .



تنتشر في النسق الشرقي لسوق الدرويشية قبالة شارع فخري البارودي الذي كان في السابق يعرف بجادة (خلف القصر العدلي) متاجر وحوانيت مختلفة هي من اليمين الى اليسار : سندويش ومرطبات ؛ ساعات وفي الوقت نفسه أدوات منزلية ، عصير ، مطحنة للبن وما شابه، ألبسة نسائية داخلية ، مطعم يقدم الشواء (اللحم المشوي) ، أدوات منزلية وكهربائية . وفي الطابق العلوي فوق الحوانيت مجمعين للتجهيزات والألبسة الرياضية تعلوهما مكاتب للمحاماة.

(بعدسة المؤلف من الغرب الى الشرق صيف عام ١٩٨٩ م)



من محال بيع عصير الفواكه ، المنتشرة في سوق الدرويشية ، حيث يقدّم فيها عصير الرمّان والشمّام والتفاح والعنب والبرتقال والجزر والموز مع الحليب وكوكتيل الفواكه (مزيج الفواكه المختلفة) وما يتوفّر من الفواكه الموسمية الأخرى .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩)



النسق الشرقي لسوق الدرويشية قبالة جامع الخرّاطين (المدرسة السيبائية) حيث تنتشر مخازن بيع الملابس الجاهزة والبالة والحلويات الشعبية (قطايف ـ مطبّقات ـ كنافة شلل) الى جانب بعض المطاعم الشعبية وما شابه •

الملاحظ في أبنية هذا النسق أنها مقامة من مادة الحجر وعلى طراز العمارة الأوروبية ؛ وقد شيّدت اثر اعادة تنظيم منطقة الحريقة بعد تعرّضها للقصف الفرنسي في بدايات الثورة السورية (تحديدا يوم ١٨ تشرين الأول ١٩٢٥ م) ، خلافا للنسق الغربي من السوق الذي بقيت عماراته على الطراز الشرقي منذ العهد العثماني المتأخر •

(بعدسة المؤلف من الجنوب الى الشمال صيف عـام ١٩٨٩ م)





بعض من مصنوعات (الخيـزران والقّش) التي تباع في سوق الدرويشية كالمناضد والمقاعـد والثريّات وعربـات الرضّع والحاويات التي يحمل بها الأطفال طعامهم الى المدرسة وتعرف على ألسنة الناس باسم (سَبَت الأكل) ، والمرايا المؤطّرة والقطع التزيينية وغير ذلك كثير، اضـافة الى العصّي بأشـكالها المختلفة (البصطون والعصاالعادية المعروفة والعصا القصيرة التي يستعملها القبضايات وبرأسها دَبسَة والكرباج وما شابه)

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)



تضاريس من القمر ، أو من الأطباق الطائـرة ، أو من كتل الاسفنج تشكّلها أقراص (القطائف) الجاهزة لاستقبال القشدة في سوق الدرويشية .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)

تعتبر القَطَايِف والمُطَبَّقات والكنافة من الحلويات التي تشتهر بها مدينة دمشق ، ويتركّز بائعوها بصورة رئيسية في موضعين حاليين من المدينة هما : ســوق الدرويشية وباب الجابية وتتواجد فيهما كل أشهر السنة ، وسوق الجزماتية في محلّة الميدان خــلال أشهر الشــتاء والخريف ومطلع الربيع • ويمكن الحصول عليها من أسواق أخرى كسوق الجمعة . وبشكل محدود عند بعض باعة الحلويات •

يقول القاسمي[1] : (القطيفاتي هو صانع القطايف والكنافة ، أما القطائف فهو ما عجن من الطحين الخالص ، وأبقي مائعاً حتى يختمر جدا ،فيسكب على صينية من نحاس ، موضوعة على نار ليّنة ، حتى ينضج ، فيقلع عن تلك الصينية ، ويصب غيره • وهو نوعان : منــه الكبير المعروف بالمطّبق وقرصه كبير مستدير • ومنه ما يعرف بالعصافيري وقرصه بقدر الريال ، وأجوده المخمّر ، النقي البياض ، كالاسفنج) • ثم يقول : (ثم ان المطّبــق يحشى بالفستق المدقوق ، المضــاف اليه السكّر مع ماء الزهر ، أو بالقشطة ، ويقلى بالسمن ، وغب قليه يغرّق بقطر السكّر ، وهو لذيذ الطعم جدا) •

وينتقل القاسمي[2] الى القول : (والمعروف بالعصافيري يصفّ في صحن صفوفاً بعضها فوق بعض ، ويوضع فوق كل واحدة ملؤها من القشطة ••• ويعقــد له من قطر السكّر ، ويؤكل به) •

---

(١) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٨ ، ص ٣٥٧ .

(٢) المصــدر الســابق ص ٣٥٨ .



واجهة أحد محال بيع السكاكر والشوكولاتة والموالح والبسكوت في سوق الدرويشية ، وفيها أنواع الفستق الحلبي وفستق العبيد ، والقضامة الصفراء والاسطنبولية والمغبّرة والمالحة ، وكذلك البزر بأنواعه المختلفة كالافغاني والايراني والأسود والصغير والأبيض . الى جانب اللوز المحمّص والبندق ، والكاتشوناتس (التي يلفظها الناس : كاجو) ، ثم القضامة على سكّر والملبّس وغير ذلك .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)



جامع درويش باشا المشيّد عند النسق الغربي لسوق الدرويشية قبالة شارع معاوية (المدخل الرئيسي لمحلّة الحريقة التي كانت تعرف قبل عام ١٩٢٥ م باسم : سيدي عامود) ، شيّده والي دمشق درويش باشا سنة (٩٨٢ هـ/١٥٧٤ م) كما شيّد الى جواره مجموعة عمرانية مؤلفة من مدفن ومكتب وسبيل للماء(١) .

(بعدسة المؤلف من الشمال الى الجنوب صيف عام ١٩٨٩ م)

(١) انظر خطط دمشق : أكرم حسن العلبي . دار الطباع ، دمشق ، ١٩٨٩ ، ص ٣٢٥ .



جزء من جامع درويش باشا في جهة اليمين من الصورة ، والتربة الدرويشية في جهة اليسار منها ، وبينهما زقاق الدرويشية (ويقال له : مدخل القنوات) ، وعند التربة لوحة رخامية مؤرخة تحمل العبارات التالية : (التربة الدرويشية ـ تربة درويش باشا والي دمشق ـ سنة ٩٨٧ هـ) وحبذا لو كتب واضع اللوحة كلمة (المتوفى سنة ٩٨٧ هـ) كي لا يلتبس الأمر على الناس فيفسروا هذا التاريخ على أنه سنة تولّيه .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)



خلافاً للنسق الشرقي ، لا يزال النسق الغربي لسوق الدرويشية محافظاً على أبنيتـه القديمة ، المقامة في العهد العثماني المتأخر ، بين جامع درويش باشا والمدرسة السيبائية التي تبدو مئذنتها في جهة اليسار من الصورة وفي العمق منها مئذنة جامع السنانية ، وتعتبر النهاية الجنوبية لهذه المدرسة هي الحدّ الفاصل بين سوقي الدرويشية وباب الجابية ، ولعل في هذا الموضع كان سوق (السباهية) الـذي نسبت تسميته الى المدرسة السيبائية (السباهية) .

يتواجد في هذا النسق باعـة الحلويات الشعبية وعصير الفواكه ، والساعات والأدوات النحاسية ، والسـكرية والكندرجية ، وباعة الأحذية الشعبية ، الى جانب صيدلية وفندق .

(بعدسة المؤلف من الشمال الى الجنوب صيف عام ١٩٨٩ م)



المبنى الوحيد المرتفع في النسق الغربي لسوق الدرويشية ، بين التربة الدرويشية والمدرسة السيبائية ، ويرجع تاريخ بنائه الى أواخر القرن التاسع عشر أو بدايات العشرين ، وهو مشيّد على طراز العمارة الشرقية التي سادت المنطقة في تلك الحقبة ، وعند مدخله الجانبي لافتة تعلو الباب كتب عليها (فندق دار الأمان) .

ويتوقف في الشارع الذي لا يقطعه المشاة الا من ممرات خاصّة (طنبر المازوت وبعله) المزينين بالزخارف والسدائل الملونة الجميلة .

(بعدسة المؤلف من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي صيف عام ١٩٨٩ م)



جامع الخرّاطين أو (المدرسة السيبائية) التي يطلق عليها الناس اسم (السباهية) ، عند النهاية الجنوبية الشرقية من النسق الغربي لسوق الدرويشية قبالة مدخل سوق مدحت باشا ، شيّدها الأمير (سيباي بن بختجا) آخر نواب السلطنة بالشام في العهد المملوكي ، وبدأ بناؤها سنة (٩١٩ هـ / ١٥١٣ م) وانتهى سنة (٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م)[١] .

تشاهد على امتداد الواجهة الشرقية لهذه المدرسة حوانيت بيع الأدوات المنزلية والمرطبات والحلويات الشعبية وعصير الفواكه وألعاب الأطفال البسيطة ، والسمكرية والكندرجية وغيرهم ، وفي نهاية هذا الواجهة من جهة الجنوب الشرقي ينتهي سوق الدرويشية ، ويبدأ سوق باب الجابيـة .

(بعدسة المؤلف من الشمال الى الجنوب صيف عام ١٩٨٩ م)

---

(١) أنظر خطط دمشق : أكرم حسن العلبي . دار الطبّاع ، دمشق ، ١٩٨٩ ، ص ١٩٢ .



بعض من الحوانيت المنشأة في جدار الواجهة الشرقية للمدرسة السيبائية في سوق الدرويشية والتي يشغلها باعة العصير والكندرجية (الحذاؤون) والسمكرية وغيرهم مما ذكرت في الصفحات السابقة •

(بعدسة المؤلف من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي صيف عام ١٩٨٩ م)



لا زالت صنعة (السَمْكَرَة) قائمةفي سوق الدرويشية الى اليوم ، ولا يزال أصحابها على قلتهم يتقنون صناعة البراميل والسطول وأقماع الزيت والتنكات والكيلات والأباريق التي كان يتقنها أسلافهم ، وهي صنعة تتطلب مهارة في التعامل مع التنك والتوتياء ولحام القصدير .

(بعدسة المؤلف عند النسق الغربي لسوق الدرويشية صيف عام ١٩٨٩ م)



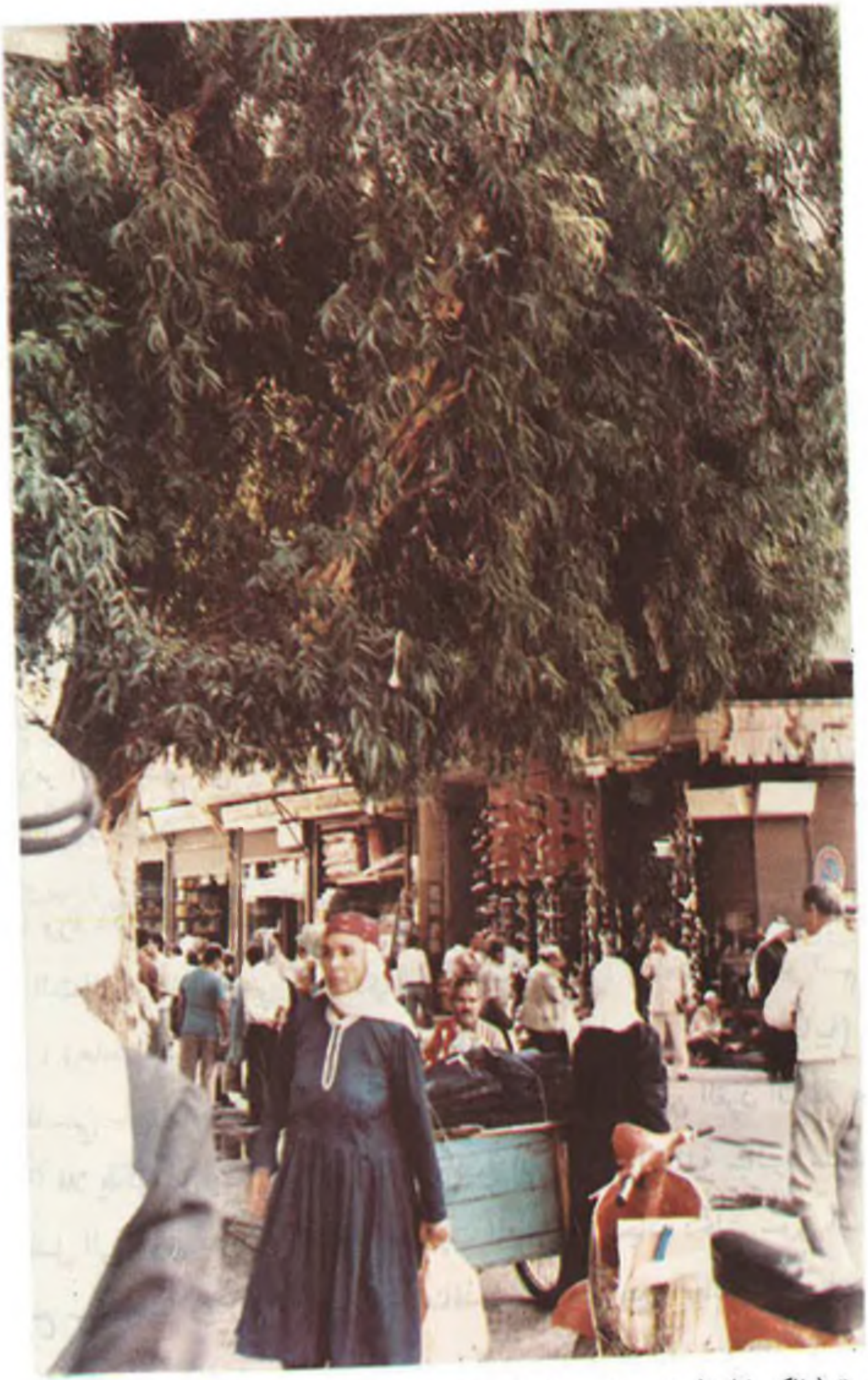
يتواجد في سوق الدرويشية عدد من مصلّحي الأحذية الذين ينجزون عملية اصلاح الحذاء المعطوب فورا ، ويطلق الناس عليهم اسم (الكندرجية) ، والكندرجي في الأصل هو الذي يصنع الكنادر أو النعال[1] ؛ شأنه شأن الحذّاء أو الحدّاد الذي يصنع الحدوة (الكعبية) في أسفل النعل أو البابوج[2] ، أو الصرماياتي الذي يصنع الصرامي[3] ، او المسوتي صانع الخف[4] .

ويلاحظ في الصورة مواكبة هؤلاء الكندرجية للتقنيات الحديثة باستعمالهم الآلة المتطورة بدلا عن السندان والأدوات القديمة التي كان اسلافهم يستعملون .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)

---

(١) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس ، ١٩٨٨ ، دمشق ، ص ٢٩٢ .
(٢) المصدر السابق ص ٩٤ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٧٠ .
(٤) المصدر السابق ص ٤٤٣ .



شجرة (الكينا) المعمّرة التي تظلّل بوارف حنانها المدخل الغربي لسوق مدحت باشا ، قبالة المدرسة السيبائية ، ويعتبر هذا المكان الحدّ الفاصل بين سوقيّ الدرويشية وباب الجابية ، وفيه ينتشر باعة الألبسة الشعبية ، الجديدة منها والمستعملة ، والبالة أيضاً ، وحوانيت الأقمشة والأحذية الشعبية ، وتحت ظلال هذه الشجرة يستفيء بعض الباعة المتعيّشين ، يعرضون فوق (كرّاجاتهم) سراويل (الجينز) ، والناس في هذه البقعة من السوق خليط من الوافدين اليه من خارج المحافظة ، ومن سكّانها الأصليين ، والحركة فيه دائمة بلا توقّف .

(بعدسة المؤلف من الغرب الى الشرق صيف عام ١٩٨٩ م)

سوق باب الجابية

Souk BAB EL - DJABIAH

يمتد سوق باب الجابية بين سوقيّ مدحت باشا والسنانية مسايراً في امتداده سوق الدرويشية ويعتبر استمراراً له مع انعطاف نحو الجنوب الشرقي ، وتعتبره الخرائط الحديثة جزءاً من شارع سعد زغلول (أنظر مخطط سوقي الدرويشية وباب الجابية) .

ذكره ابن عبد الهادي[1] بقوله : (سوق باب الجابية وهو يحتوي على دكاكين مختلفة للبيع) الأمر الذي يشير الى تواجده في العهد المملوكي ولربما كان أقدم من ذلك ولكننا لا نملك الدليل ولا المصدر .

كما ورد ذكره عند القساطلي[2] الذي قال : (وبه تباع العطارة) مما يدل على استمراره في العهد العثماني ، أما القاسمي[3] فيروي لنا في قاموسه أن : (الخشيفاتي هو اسم لمن يبيع الخشاف ، وهذه الحرفة كانت كثيرة ، وبيعها في الأسواق المشتهرة ، كباب الجابية) . وتدلّ مقولة القاسمي على أن هذا السوق كان شهيراً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، أما العلاف[4] فلا يذكره بل ينتقل من سوق الدرويشية الى سوق السنانية مباشرة عندما يقول : (حتى تصل الى سوق مدحت باشا فاذا تجاوزت المدخل في الجادة دخلت سوق السنانية ، وفيه جامع سنان باشا ويتفرع من هنا ثلاثة منافذ ، اثنان على يمين الجادّة أحدهما يتصل بحيّ القنوات وينتهي الى سيدي خمار — ويقصد شارع خالد بن الوليد — والثاني يتصل بمنفذين آخرين أحدهما ينتهي بطريق كفرسوسة والثاني بحي الميدان وقبر عاتكة وسواها) . الوصف في هذه المقولة ينطبق تماماً على ساحة باب الجابية الحالية ، الا أن العلاف نسي أن يذكر المنفذ

(١) نزهة الرفاق في شرح حال الأسواق : ابن عبد الهادي . السوق رقم ٣٦ .

(٢) الروضة الغناء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي . ص ٩٨ ، السوق رقم ٨ .

(٣) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس ، ١٩٨٨ ، ص ١٢٥ .

(٤) دمشق في مطلع القرن العشرين : العلاّف . دار دمشق ، ١٩٨٣ ، ص ١٦ .

الآخذ الى سوق الصبّاغين الذي كان موجوداً في ذلك الزمن ، والغريب أن يطلق اسم سوق السنانية على هذه المنطقة التي ذكرها الأقدمون باسم سوق باب الجابية واشتهرت به •

لم أجد أثراً للسوق عند تجوالي في المنطقة ، بل سمعت الناس يطلقون تسمية باب الجابية (عرفاً) على الجزء الممتد من شارع الدرويشية بين جامع درويش باشا وسوق السنانية • وتبيّن لي بعد العودة الى الخرائط القديمة وسؤال كبار السن من أهل السوق عن موقعه وامتداده ، أنه كان في موضع العمارة الحجرية الحديثة التي تشغلها دوائر حكومية من بينها دائرة (التموين) وغيرها ، وأنه كان ممتداً كما ذكرت في بداية هذا البحث بين سوقي مدحت باشا والسنانية ، كما لحظت أيضاً أن سوق البالة (البداية الغربية لسوق السكّرية) يفتح فيه ، أما السوق الذي نحن بصدده فلا وجود له بل ما بقي منه لا يتجاوز بضع حوانيت معدودة على الأصابع فيها باعة (البوظة والحلويات الشعبية كالقطايف وما شابه) الى جانب باعة الخضار والفواكه القلّة ، وباعة الفلافل والفرّوج المشوي وعصير الفواكه•

في هذا السوق ، أو ان صحّ التعبير (فيما تبقّى من السوق) مشيّدتان تاريخيتان هما جامع السنانية ومكتب السنانية بجواره •



ما تبقّى من سوق باب الجابية القديم العريق ، بعد أن تقلّص عدد الحوانيت فيه الى درجة تهدده بالانقراض ، ففي نسقه الغربي ــ جهة اليمين من الصورة ــ حوانيت بيع المرطبات و (بواري البوظة) وعصير الفواكه ،الى جانب دكّان لبيع الفروج المشوي والفلافل، وقرب نهاية هذا النسق عدد ضئيل من باعة الخضار والفواكه بجوار مدخل سوق باب السريجة وجادة القنوات • وينتشر في النسق الشرقي من السوق ــ جهة اليسار من الصورة ــ باعة الملبوسات الشعبية الجاهزة ، الجديدة والمستعملة والبالة أيضاً ، وفي العمق من نفس الجهة ترتفع مئذنة جامع السنانية ، وفي وسط الصورة المبنى الاسمنتي الذي كانت ادارة المرور في دمشق تشغله ، وفيه حالياً دائرة تموين دمشق وغيرها ، وقد شيّد في نفس الموقع الذي كانت تمتدّ فيه حوانيت سوق باب الجابية •

(بعدسة المؤلف من الشمال الى الجنوب صيف عــام ١٩٨٩ م)



جامع السنانية في جهة اليمن من الصورة تقابله العمارات الحديثة في جهة اليسار ، هــذه العمارات التي أقيمت فوق موضع حوانيت ســوق باب الجابيــة اثر تنظيم المنطقــة فتغيّرت معالم السوق القديم •

(بعدسة المؤلف من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي صيف عــام ١٩٨٩ م)



جزء من سوق باب الجابية بين جامع الخرّاطين (المدرسة السيبائية) في جهة اليسار من الصورة حيث ينتهي سوق الدرويشية ويبدأ سوق باب الجابية ، وجامع السنانية في جهة اليمين ، وتمتد عند النسق الغربي للسوق بجوار هذه المدرسة حوانيت قليلة هي آخر ما تبقّى من حوانيت هذا السوق •

(بعدسة المؤلف من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي صيف عــام ١٩٨٩ م)



مدخل سوق الباله من باب الجابية ، الآخذ في عمقه الى سوق السكّرية ، وفيه حوانيت بيع الملبوسات الشعبية الجديدة منها والمستعملة والباله ، الى جانب متاجر الأحذية الشعبية وحقائب طلبة المدارس ، وعند مدخل هذا السوق يفترش الباعة المتعيّشون رصيف الشارع ويعرضون بضاعتهم من الثياب المكدّسة فوق بعضها أكواما ، أو يحملونها فوق أكتافهم وهم ينادون عليها ، وفي أحسن الحالات يقومون بعرضها فوق العربات التي يدفعون •

(بعدسة المؤلف من الغرب الى الشرق صيف عام ١٩٨٩ م)



في صباح كل يوم من أيام الأسبوع حتى الجمعة ، تدبّ الحياة في سوق الباله عند باب الجابية وتستمر الى المساء ، ويتجمهر الناس ويتحلّقون حول أكداس الثياب الملقاة على قارعة الرصيف كلّ يبحث عن ضالّته من بنطال رخيص أو قميص أو سترة بخسة الثمن ، وفي هذا السوق الصغير القصير تشاهد غرائب ألبسة الوافدين اليه ، وعجائب الأطرزة والألوان التي يرتديها روّاده أو المارّين فيه ، فكبار السن لايزالوا محافظين على أرديتهم التقليدية من قنباز ومعطف قصير (جاكيت) ، أما الشباب فكالعادة بنطال وقميص ، وكذلك الاطفال ، وهناك عدد غير قليل يرتدي بذّة (السفاري) وهي بنطال فوقه معطف مفتوح الياقة بغير قميص تحتها ، ومن النادر أن تشاهد النساء في هذا السوق الا اللواتي جئن من ريف المدينة أو محافظاتها الجنوبية بصورة خاصّة .

ولكم واجهت ، وأنا أقوم بالتصوير في هذا السوق ، نظرات الشّك والريبة ، والاستغراب والتساؤل ، وفي بعض الأحيان الابتسام أو الرفض ، لكن الغالبية العظمى من الناس كانوا لا مبالين بما أصنع ، أما النساء فكالعادة (أوعا تصوّر) ، الا القادمات من خارج المدينة فكنّ طبيعيات في تصرّفهن تجاه العدسة .

(بعدسة المؤلف من الشمال الى الجنوب صيف عـام ١٩٨٩ م)



واجهة جامع السنانية المطلّة على ساحة سوق باب الجابية ، شيّده ومجموعة عمرانية تشمل حماماً وسوقاً ومقهى ومكتباً والي دمشق الوزير الأعظم سنان باشا سنة (٩٩٩ هـ / ١٥٩٠ – ١٥٩١ م) ، وقد أقيم هذا الجامع في موضع مسجد (البصل) القديم [١] .

(بعدسة المؤلف من الغرب الى الشرق صيف عام ١٩٨٩ م)

---

(١) انظر خطط دمشق : اكرم حسن العلبي . دار الطبّاع ، دمشق ، ١٩٨٩ ، ص ٣٢٢ .

سوق باب السريجة

Souk BAB EL - SRIJEH

يمتد سوق باب السريجة بين محلة باب الجابية قبالة جامع السنانية وساحة الفحامة في شارع خالد بن الوليد قبالة جامع زيد بن ثابت الأنصاري ، وهو سوق مغطى جزئيا بساتر هرمي من الحديد والتوتياء عند طرفيه الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي (أنظر مخطط سوق باب السريجة) .

ورد ذكر هذا السوق عند ابن عبد الهادي[١] مما يشير الى تواجده في العهد المملوكي وربما كان أقدم من ذلك ، غير أن مصادر العهد العثماني تذكر تسمية (باب السريجة) ولا تذكر السوق ، أما ولتسينجر[٢] فيشير الى موقعه الصحيح ولكنه يسميه خطأ باسم سوق السروجية والصواب هو سوق باب السريجة .

كذلك قسّمت خارطة شرطة دمشق الصادرة خلال الأعوام (١٩٢٢ ــ ١٩٢٤ م) هذا السوق الى أقسام ثلاثة :

١ ــ القمّاحين : وهي بدايته من جهة باب الجابية (البداية المغطاة بساتر هرمي حاليا) .

٢ ــ جادة خان السلطان : تلي القمّاحين باتجاه الجنوب الغربي .

٣ ــ جادة باب السريجة : تلي جادة خان السلطان حتى جادة القمار : (هكذا وردت التسمية في الخارطة) .

أما خارطة بلدية دمشق الصادرة خلال السنوات (١٩٢١ ــ ١٩٢٤ م) فلم تذكر اسم باب السريجة رغم أنها تحوي على رسم مفصّل لموقعه ، ولكنها أشارت الى تسمية (القمّاحين) بموضع مغاير للموضع الوارد في خارطة شرطة دمشق اذ حددته مكان جادة قصر حجّاج الحالية

(١) نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق : ابن عبد الهادي . رسالة نشرها حبيب الزيات في الخزانة الشرقية ، مجلة المشرق ، بيروت ، العدد ٣٧ ، ١٩٣٩ ، السوق رقم ٤٦ .

(٢) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر . تعريب قاسم طوير . دمشق ، ١٩٨٤ ، ص ١٧٣ المربع (C6) رقم ٣ .

عند بداية السوق من باب الجابية ، وهي تشارك بذلك (خريطة دمشق الشام) الصادرة عن ديوان الشورى الحربي ــ غرفة الخريطة لعام (١٣٣٧ هـ / ١٩١٩ م) التي رسمت موقع سوق باب السريجة بتفاصيله دون أن تذكــر اسمه ، بينما ذكرت (القمّاحين) في نفس الموضع الذي أوردته خارطة البلديــة .

ويسمي مخطط مدينــة دمشق السياحي الصادر عن ادارة المساحة العسكرية سنة ١٩٨٢ م هذا السوق باسم (جادة با بـالجابية) ويحدده بين محلة باب الجابية وشارع خالد بن الوليد .

وتبيّن لي عند زيارتي الميدانية لسوق باب السريجة صيف عام ١٩٨٩ م ، من بدايته في محلة باب الجابية الى نهايته في ساحة الفحّامة عند شارع خالد بن الوليد ، أن اسم باب السريجة وان كان الناس يطلقونه على كامل السوق ، الا أن بدايتــه الممتدة من محلة باب الجابيــة حتى (حمّام الجديد) تعرف بالقمّاحين .

ولا أكون مغاليا اذا قلت أن هذا السوق الطويل الضيّق من أكثر أسواق المدينة ازدحاماً بالمارّة والسيّارات والدرّاجات والطنابر ، ولا عجب فهو سوق عام تشغله حوانيت بيع الخضار والفواكه واللحوم ، وفيه عدد من الأفران وباعة المنظفــات والصابون ومواد السمانة ، وبضــع دكاكين لاصلاح الساعات والفيديو والتلفزيون وأجهزة الهاتف المعطّلة ، وحوانيت بيع الأدوات الكهربائية ، ومؤسسة استهلاكية لتجارة التجزئة ، وقد رأيت الى (مصلّح وابور الكاز) يفترش الرصيف ويعرض خدماته للاصلاح كما يعرض بعض الأدوات الضرورية لبوابير الكاز كالنكاشات والجلود (الجوانات) وما شابه ، ومن المؤسف أن لا أتمكن من تصويره بسبب رفضه كليّا هذا الأمر رغم ما قدمته له من مغريات .

ويتفرع عن سوق باب السريجة عدد من الحارات تشغل بعضها حوانيت هي امتداد لهذا السوق ، وتتفرّع قرب نهايته الجنوبية (جادة المعتصم) العريضة الآخذة الى شارع خالد بن الوليد غربا وفيها سوق كبير للخضرة والفواكه ، وينتهي هذا السوق في طرفه الجنوبي بساحة الفحّامة ، وهي ساحة واسعة يتوزّع فيها باعة الخضرة والفاكهة تحت مظلاّت مــن القرميــد نظّمت حديثــا .

تتواجد في هــذا السوق مشيّدات هي بالتتابع : مسجد زاويــة الهنود وبجواره حمّام الجديد ثم مسجد عمر بن الخطّاب بعده حمّام عز الدين وجميعها على يمين الداخل في السوق من جهة محلة باب الجابية نحو ساحة الفحّامة ،أما الى يساره فمسجد الامير عز الدين أبو حمرة قبالة حمام عز الدين ثم مسجد العنّابي بعده مسجد الصلخدية ، وسأشــرح كل من هــذه المشيّدات بالتفصيل عند الصور المنشورةلها في الصفحات القادمة (أعد النظر في مخطط سوق باب السريجة في بداية هذا المؤلف) .



المدخل الشمالي الشرقي للقمّاحين في سوق بـاب الجابيـة يغطّيه سـاتر هرمي معدني وبجواره من جهة اليمين قبة الزاوية الشاذلية في جادة القنوات وقد طليت باللون الأخضر .

(بعدسة المؤلف من الشرق الى الغرب صيف عـام ١٩٨٩ م)



الطرف الشمالي الشرقي لسوق باب السريجة المعروف بالقماحين وفوق جزء منه ساتر هرمي من المعدن وخلفه في العمق جامع السنانية في محلة باب الجابية وفي جهة اليسار من الصورة مئذنة قصيرة تعلو مسجد (زاوية الهنود) .

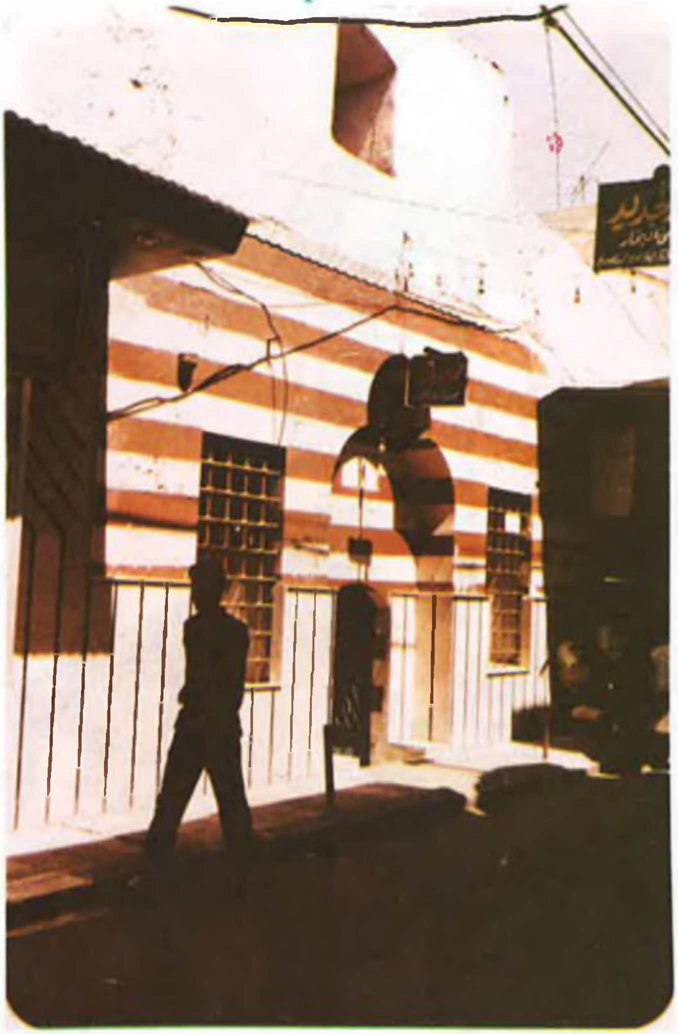
(بعدسة المؤلف من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي صيف عام ١٩٨٩ م)



مسجد (زاوية الهنود) (١) في القمّاحين الى يمين الداخل في سوق باب السريجة من محلة باب الجابية بعيد الجزء المغطى من هذا السوق ، وهو المسجد الذي ذكره ابن عبد الهادي مما يدل على تواجده منذ العهد المملوكي .

(بعدسة المؤلف من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي صيف عام ١٩٨٩ م)

(١) ثمار المقاصد في ذكر المساجد : يوسف بن عبد الهادي ، مكتبة لبنان ، ١٩٧٥ ، ص ١٥٨ .



حمّام الجديد المجاور لمسجد زاوية الهنود في القمّاحين من ســوق باب السريجة ، ويورد الكيّال [٢] في مؤلفه عن الحمّامات الدمشقية أن القائمين عليــه حدثوه بأن اسمه بالقيود كان (خان السلطان) ــ لعل تسمية جادة خــان السلطان عنده والتي وردت في خارطة شرطة دمشق جاءت نسبة اليه ــ وأنه كانت فوق بابه لوحة رخامية تؤرخ فترة بنائه لكنها نزعت من مكانها ــ ولا زال الموضــع الذي كانت تشغله واضحا الى الآن ــ وقد سمّي بالجديد عندما انتقل اليه أصحاب حمّام الملكــة الذي كان في الدرويشية وهدم عند مطلع الخمسينات • ويعتقد العلبي [٣] أنه من حمّامات القرن الثامن للهجرة •

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)

---

(٢) الحمّامات الدمشقية : منير كيّال . مطابع ابن خلدون . دمشق ، ١٩٨٦ ، ص ١٧٦ .
(٣) انظر خطط دمشق : أكرم حسن العلبي . دار الطباع . دمشق ، ١٩٨٩ ، ص ٥٠٣ .



جامع (سيدنا عمر بن الخطّاب) في سوق باب السريجة قبالة شارع الشيخ حجاز (زقاق الحطّاب) ولا تحمل اللوحة المثبتة فوق ساكف بابه أيّة اشارة لتاريخ بنائه سوى عبـارة :

(جامع سيدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ــ جدد ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م) ، كما لا تشير المصادر التاريخية التي بحثت الى اسمه أو موقعه .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)



حمّام عزّ الدين في سوق باب السريجة قبالة مسجد الأمير عزّ الدين أبو حمرة ولا يعرف عن تاريخ بنائه شيء ولا ذكرته مصادر العهد المملوكي أو العثماني ، ووصفه الكيال في كتابه (الحمامات الدمشقية) دون الاشارة الى سنة تشييده ، غير أن العلبي[1] يعتقد بأنه من حمّامات القرن الثامن للهجرة .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)

(١) انظر خطط دمشق : اكرم حسن العلبي . دار الطباع ، دمشق ، ١٩٨٩ ، ص ٥٢٣ .



مسجد (الأمير عز الدين أبو حمرة) في منتصف سوق باب السريجة الى يسار الداخل فيه من جهة محلّة باب الجابية ، عرف هذا المسجد في السابق باسم (جامع المسلوت) [١] ، شيّده الأمير عز الدين أبو حمرة نائب القاضي الحنفي بدمشق في القرن التاسع للهجرة أواخر العهد المملوكي [٢] ، وجدد في عامي (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) و (١٤٠٩ هـ/١٩٨٩ م) استناداً لما كتب فوق ساكف بابه .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)

---

(١) الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية : عز الدين عربي كاتبي الصيادي . ص ٢٢ .

(٢) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان : ابن طولون . ج١ ، ص ١٠ و ٧٥ .

خان الشيخ صالح :

من خانات العهد العثماني قبل عام (٩٩٠ هـ/١٥٨٣ م)[1] وموقعه بجوار مسجد العنّابي في سوق باب السريجة ، وتشغله حالياً مستودعات ومخازن تجارية وبعض أقسامه مجدد منذ عهد بعيد ، وقد حدثني شاغلو الخان أن غرف طابقه العلوي كانت للمبيت بينما كان طابقه الأرضي زرائب للجمال والدواب ومستودعات الحبوب وورشات عمل ، وكان صاحب الخان (الشيخ صالح الرز) الذي سمّي الخان باسمه يمارس فيه مهنة (حدو الخيل) خلال النصف الأول من هذا القرن ، كما كانت خارطة شرطة دمشق الصادرة في السنوات (١٩٢٢ ــ ١٩٢٤ م) تطلق عليه اسم (خان البيطار) •



مدخل خان الشيخ صالح وفي فسحته السماوية عربات الباعة المتجولين وأمام بابه بائع التفّاح الأحمر •

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩)



جزء من الواجهة الشمالية الشرقية لخان الشيخ صالح وتبدو فيها قناطر (أقواس) زرائب الجمال المرتفعة وفوقها غرف المنامة عندما كان هذا الخان في يوم من الأيام فندقاً .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩)

---

(١) جرد أثري لخانات دمشق : د. فؤاد يحيى . الحوليات الأثرية ، مجلد ٣١ ، ١٩٨١ ، ص ٨٦ .



مسجد (العنّابي) قرب زقاق العسري الى يسار المارّ في سوق بـاب السريجة باتجاه ساحة الفحّامة ، وهـو مسجد صغير ورد ذكره في مؤلفات العهد العثماني المتأخر عند مطلع القرن العشرين[1] ، وقد جدد في السنوات (١٢٣٣هـ/١٨١٨م) و (١٢٣٤ هـ/١٨١٩م) استناداً للكتابة فوق بابه ، كما جدد أيضاً سنة (١٣١٠هـ /١٨٩٢ ــ ١٨٩٣ م) أما مئذنته فأحدث عهداً[2] .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩)



مئذنة مسجد العنّابي الجديـدة التي أنشئت بدلاً عن المئذنة القديمة حوالي الأربعينات من هذا القرن .

(بعدسة المؤلف من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي صيف عـام ١٩٨٩ م)

---

(١) الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية : عز الدين عربي كاتبي الصيادي. ص ٢٣ .

(٢) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر . تعريب قاسم طوير . دمشق ، ١٩٨٤ ، ص ١٧٣ المربع (B6) رقـم ١ .



الطرف الجنوبي الغربي لسوق باب السريجة باتجاه الشمال الشرقي ويلاحظ هنا أن الساتر الهرمي المعدني المغطّي لهذا القسم من السوق مهترىء من جهته الغربية نتيجة تلقّيه المطر والرياح القادمين من هذا الاتجاه بينما بقي في جهته الشرقية سليماً لابتعاده عن مصدر هذه المؤثرات الطبيعية المباشرة .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)



مسجد الصلخدية وعلى ألسنة الناس (الجامع الصغير) وفوق ساكف بابه حجر منقوش طمست معالم كتاباته المؤرخة ، غير أن طلس[1] يقول : (هو مسجد لطيف له باب من الحجر فوقه لوحة فيها : جدد هذا المسجد أحقر عباد الله أحمد بن عمر الشهير بالحمّامي ثم أوقف على نفسه أيام حياته ثم من بعده على مصالح المسجد وعمارته وجميع مصارفه الشرعية بمقتضا كتاب وقفة الحصّة ومبلغها من (اربعة وعشرين سهما) وعمارة الدار [الملك الظاهر] . ولعل هذا الاسم الأخير يشير الى بناء المسجد في العهد المملوكي أيام الملك الظاهر بيبرس ؟ .

(بعدسة المؤلف في سوق باب السريجة من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي)

صيف عام ١٩٨٩ م)

---

(١) ثمار المقاصد في ذكر المساجد : يوسف بن عبد الهادي . تحقيق محمد اسعد طلس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٥ . ص ٢٣٦ الذيل .



الطرف الجنوبي الغربي لسوق باب السريجة باتجاه الشمال الشرقي وفيه شجرة (الكينا) المعمّرة التي تنشر ظلالها الحانية فوق أرض الشارع ، والى الخلف منها في جهة اليمين من عمق الصورة مسجد الصلخدية بعده زقاق التيروزي وقبالته في جهة اليسار جادة المعتصم التي أصبحت هي أيضا سوقا واسعة للخضرة والفواكه .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)



ساحة الفحّامة حيث ينتهي سوق باب السريجة بالتقائه مع شارع خالد بن الوليد وقد أقيمت فيها حديثاً سرادقات هرمية مغطّاة بالقرميد حماية لباعة الخضر والفواكه من شمس الصيف ومطر الشتاء .

ويبدو في العمق مسجد زيد ثابت الأنصاري المشيّد سنة (٧١٠ هـ / ١٣١٠ م) كما يعتقد العلبي[١] . جدد هذا المسجد سنة ١١٢٥ هـ / ١٧١٣ م) ، ثم أعيد بناؤه من جديد كليا سنة (١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) .

(بعدسة المؤلف من الشمال الى الجنوب صيف عـام ١٩٨٩ م)

---

(١) خطط دمشق : اكرم حسن العلبي . دار الطبّاع . دمشق ، ١٩٨٩ ، ص ٣٢٩ .

سوق السنانية

Souk EL - SINANIAH

يمتد هذا السوق المغطّى بساتر قوسي من الحديد والتوتياء بين محلّة باب الجابية وجادة سوق الغنم الآخذة الى حيّ الميدان (أنظر مخطـط سوقي الدرويشية وباب الجـابية) وينسب بناؤه للوالي العثماني سنان باشا حوالي (٩٩٩ هـ / ١٥٩٠ م) وهي نفس فترة بناء جامع ومكتب السنانية . تواجد في هذا السوق قرابة (١٨) قوسا مشيّدة من الحجر الصغير كانت تحمل سقفا جملونيا استبدل في حقبة لاحقة بالحديد والتوتياء ، ولعل هذا الاستبدال تمّ في عهد الوالي العثماني (حسين ناظم باشا) الذي استمرت ولايته على فترات ثـلاث بين السنوات (١٨٩٥ ـ ١٩١١ م) عندما قـام بتغطية الأسواق الكبيرة في مدينة دمشـق بسقوف من الحديد والتوتياء حماية لها من الحريق ؛ ثم لم يلبث هذا السقف أن تآكل سنة (١٩١٦ م) ولم يبق منه حاليا سوى قسم صغير ممتد بين جنوبي جامع السنانية وبداية سوق الغنم ، ويقول المؤرخون[١] : بلغ طول هذا السوق حوالي (١٠٥) متراً ولعله كان النموذج الأول لأسواق دمشق المغطّاة ، وكان به قوم يعملون العلب وغيرهم تجّار وصبّاغون .

تنتشر في سوق السنانية حاليا متاجر بيع (الفروات) والألبسة العربية ، وقد شاهدت عند زيارتي الميدانية له عام ١٩٨٩ م بضع حوانيت للمنتجات النحاسـية الشرقية ، الى جانـب حوانيت الأحذية الشعبية ، ودكّان لبيع الحلويـات الدمشـقية (كالمشّـبك والجـوزيّة والسمّسية والناطِف) وما شابه .

وذكر القاسمي[٢] الذي عدّد الصناعات القائمة في دمشق ابّان العهد العثماني أن سـوق السنانية كان يحوي على :

---

(١) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر . تعريب قاسم طوير . دمشق ، ١٩٨٤ ، ص ١٧٤ . أيضا دمشق في مطلع القرن العشرين : العلاّف . دار دمشق ، ١٩٨٣ ، ص ٤٠٧ . أيضا الروضة الغنّاء : القساطلي . ص ٩٩ .

(٢) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس ، دمشـق ، ١٩٨٨ .

١ ـ **حوانيت الحبوباتية**(٣) :

وهم باعة الحبوب المنّوعة من حمّص وفول وعدس وقنبس (قنبز) ولوبياء وماش وغير ذلك من صعتر وسّماق وقشر رمّان يابس ، وسلل وقفف وأطباق من قشّ للسفر ، ومناخل وغرابيل ومكانس ومقشّات •

٢ ـ **حوانيت السرايتجية**(٤) !

وهم صنّاع السرايج جمع سريجة وهي وعاء كبير منسوج من حشيش عريض كالخوص الذي تنسج منه القفف يوضع فيه كل شيء ثقيل كالتراب والأحجار والقمامات والبّطيخ •

٣ ـ **مركز بيع الحمام**(٥) :

تواجد هذا المركز ضمن (قهوة السنانية) وكان من يلعب بالحمام ويطيّره في الجو يدعى (الحميماتي) وهي شخصية غير مستحبّة آنذاك لأن صاحبها (يكشف) الجيران ـ او حريم الجار ـ عند وقوفه فوق السطوح لممارسة هذه الهواية المحدودة بعدد قليل من الناس ، كما جاء وقت كانت فيه شهادة الحميماتي غير مقبولة في المحاكم لأنه يمارس الكذب على حميماتي آخر بعد سرقته لأحد طيوره من الجو •

٤ ـ **حوانيت الزمّارين**(٦) :

وهم من يصنع الزمامير من القصب كالشبّابة وهي آله نفـخ موسيقية تستعمل في الأرياف ويسمى صانعها أو لاعبها (زمّار) •

٥ ـ **قاعة للنشا** (٧) :

وهي المكان الذي يصنع فيه النشا •

---

(٣) المصدر السابق ص ٩١ .

(٤) المصدر السابق ص ١٨٣ .

(٥) المصدر السابق ص ٢٢٩ .

(٦) المصدر السابق ص ١٦٨ .

(٧) المصدر السابق ص ٣٨ ، (وهي قاعة آل الناشف المعروفين بالبيك) .



مدخل سوق السنانية من محلة باب الجابية وعلى رصيفيه وفوق جدران حوانيته تتدلى فراء الخراف التي قام الناس بتضحيتها صباح عيد الأضحى ، وقد جرت العادة أن يوزّع قسم كبير من لحمها مجاناً على الفقراء والمحتاجين .

(الصورة بعدسة المؤلف صباح اليوم الثاني لعيد الاضحى من عام ١٩٨٩ م)



لم يكن من السهل التقاط صور لسوق السنانية لأن السيارات التي تمرّ فيه تشكل خطاً مستمراً لا ينقطع لحظة واحدة ، ولا أدري كيف حالفني الحظ لثوان معدودات هدأ السير خلالها فالتقطت الصورة دون تركيز قبل أن يعود اليـه الإكتظاظ من جديد ، وتلاحظ في الساتر القوسي لهـذا السوق ثقوب الرصاص التي أُحدثت فيه أبان الثورة السورية أعوام (١٩٢٥ ـ ١٩٢٧ م) ٠

(بعدسـة المؤلف من الجنوب الى الشمال عـام ١٩٨٩ م)



(من متاجر بيع (الفروات) في سوق السنانية بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

مخرج الترام الذاهب الى حيّ الميدان من النهاية الجنوبية لسوق السنانية الآخذة الى جادة سوق الغنم في حوالي الأربعينات من هذا القرن .





مخرج سيارة الأجرة الذاهبة الى حيّ الميدان من النهاية الجنوبية لسوق السنانية الآخذة الى جادة سوق الغنم بعد الغاء الترام عام ١٩٦١ م[1] ، ويلاحظ في الصورتين بقاء الواجهة الحاملة لساتر السوق على حالها في الحقبتين .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

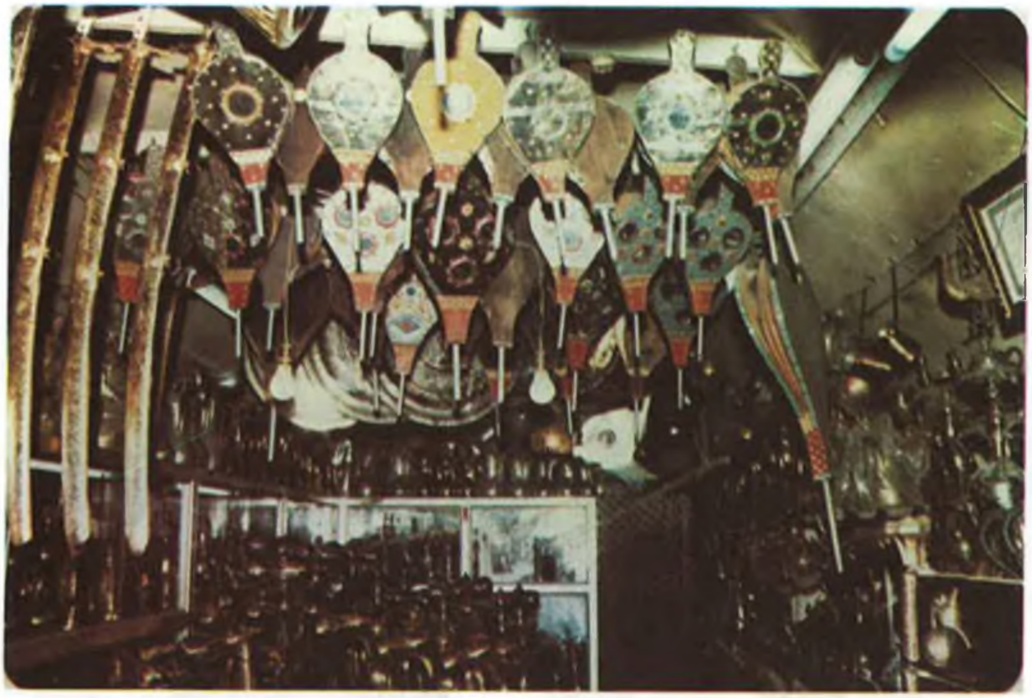
---

(١) انظر كتابنا دمشق تاريخ وصور . وزارة الثقافة ، ١٩٨٦ ، ص ١٢٩ .



فروات الخراف الجاهزة للبيع في حوانيت(الفرواتية) المنتشرة في سوق السنانية.

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)



منافيخ الهواء المزخرفة التي تستعمل في ازكاء النار والجمر تتدلّى من سقف حانوت يتجر بها في سوق السنانية •

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)



مصبّات القهوة المُرّة النحاسية بحجومها الاعتيادية الى جانب تلك المصنّعة بحجم ضخم للغاية بغية استعمالها نماذج تزيينية (للديكور) في البيوتات المفروشةعلى النمطالشرقي وهي تباع في سوق السنانية على وجه الخصوص •

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

سوق النحّاتين

Souk EL - NAHHATIN

يقع هذا السوق حالياً في جـادة سوق الغنم عند نهاية سوق السنانية في الطريق الآخذ الى حيّ الميدان التحتاني ، ويمتدّ باتجاه شمالي غربي وجنوبي شرقي بين التربة المردمية عند زاوية شارع البدوي والتربة السنبلية (تربة آل دركل) كما تنتشرحوانيته على طرفيّ الطريق قرب مقبرة الباب الصغير من جهة الشمال (أنظر مخطط الدرويشية وباب الجابية وأسواق الميدان) •

وردتنا إشارة يتيمة لتسمية هذا السوق من القاسمي[1] وهو يتحدّث عن صنعة النحّات بقوله : (هو من ينحت أنواع الأحجار حسب المرغوب) ثم يقول أيضاً : (ولهم ـ يقصد النحّاتين ـ سوق مخصوص يعرف بسوق النحّاتين ومحلات أخر يوجدون بها ، وينتجون بها أصناف الأحجار ، ويهيّئونها ويصنعونها في دكاكينهم ، ويبيعونها لمن يرغب بمشتراهـا حاضرة ، مع نحت أحجار من نوع الرخـام المختصّة بالقبور ، المسمّاة بالشواهد وأجران الماء وغيرها) • وهذه المقولة تشير الى تواجد مثل هذا السوق في العهد العثماني المتأخر ، ولربما كان أقدم من ذلك بكثير ولكن لم يرد له ذكر في المصـادر التي تتحدث عن العهـد المملوكي أو ما قبله ، كما أن القاسمي اكتفى كأقرانه بذكر اسم السوق دون التعرّض لموقعه الأمر الذي يفرض أكثر من احتمال حول تواجده سابقاً في نفس موقعه الحالي أو في مكان آخر ، أو حتى في أكثر من موضع واحد ولكننا لا نملك الدليل على هذا الافتراض •

وتبيّن لي عند زيارتي الميدانية لسوق النحّاتين أن أصحـاب هذه الحرفـة يعتمدون الرخام بالذات دون سائر أنواع الأحجار الأخرى في تحضيرهم لشواهد القبور واللوحـات المؤرخة للمشيدات و (البحرات) المزينة بالنوافير والمستعملة لأغراض الديكور ، أما أجران الحمامات التي يسكب منها الماء ، والأجران التي كانت تستعمل في تحضير (أكلة الكبّة) وهرس البرغل واللحم فقد اختفت صناعتها من هذا السوق وغيره من أسواق مدينة دمشق •

من المشيّدات التاريخية في هذا السوق : المدرسة الصابونية ومقبرة الباب الصغير •

---

(1) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٨ ، ص ٤٧٩ .



سوق النحاتين من الغرب الى الشرق بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م



جزء من خارطة بلدية دمشق الصادرة خلال الأعوام (١٩٢١ ـ ١٩٢٤ م) وقد أضفت اليها اسم سوق النحّاتين وأشرت الى موقعه بسهم •



سوق النحّاتين من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي ، وفي جهة اليمين من الصورة مدخل (حاصل خشب ومنشرة) ، وفي جهة اليسار منها قبّة التّربة المردمية (تربة آل مردم بك) ـ وقد أشرت اليها بسهم ـ وفوق بابها كتابات عثمانية ، وفيها ثلاث ترب دفن فيها : بهادرآص الناصري وقد أنشئت تربته سنة (٧٢١ هـ/١٣٢١ م) ، وأوكوز الفخري ، والأمير فرج بن منجك[١] .

(بعدسـة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)

---

(١) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسـينجر . تعريب قاسم طوير . دمشق ، ١٩٨٤ ، ص ١٧٥ .



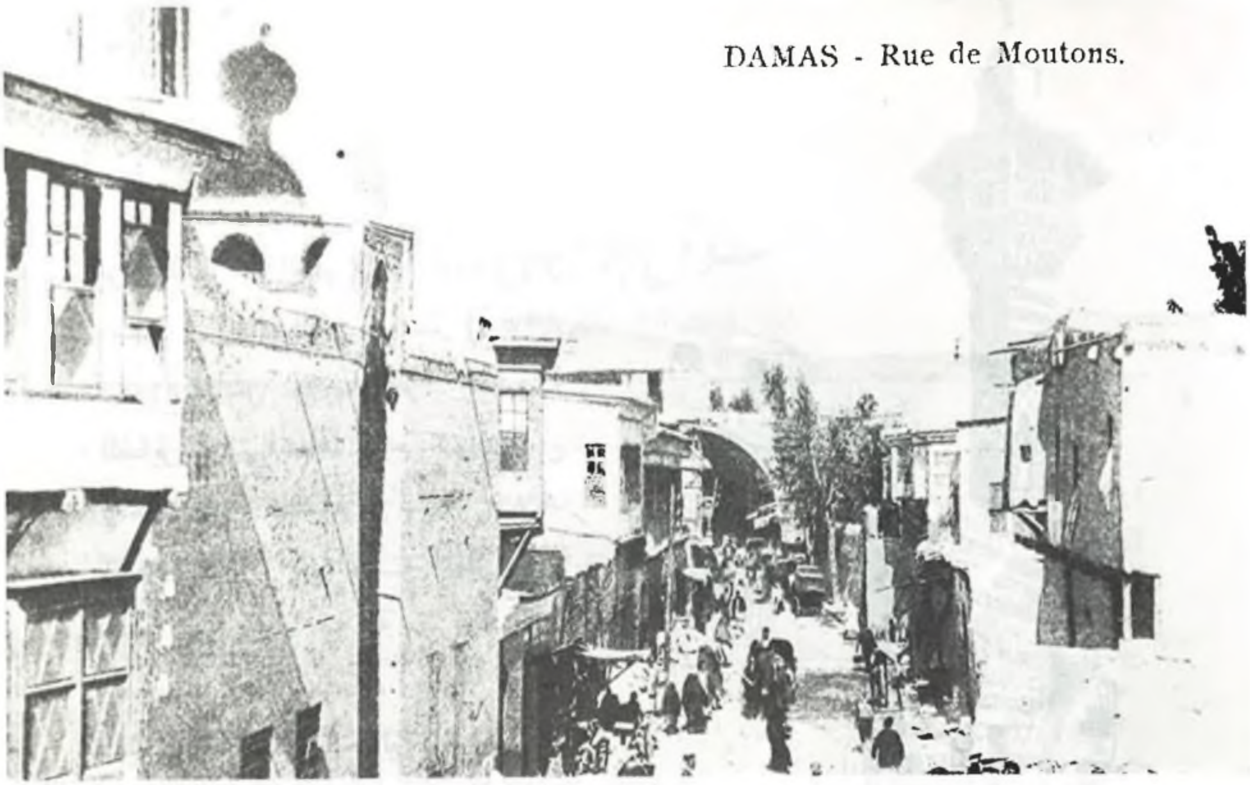
بعض حوانيت سوق النحّاتين التي تتكدّس فيها ألواح الرخام المقطوع بأبعاد تتلاءم مع استعمالاتها المختلفة كاللوحات التذكارية المؤرخة للمناسبات ، وشواهد القبور ، وغير ذلك مما ينحت أو يصنّع من هذه الأحجار .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)



تتميّز شواهد القبور المنحوتة يدوياً من الرخام الأبيض في سوق النحاتين بالزخارف النباتية من دون سائر الأشكال الأخرى ، وهي الزخارف التي اعتمدها الفنّان العربي في العصور الاسلامية المختلفة فأبدع فيها وترك لنا منها تراثاً حضارياً انتشر في مشرق الأرض ومغربهـا .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)



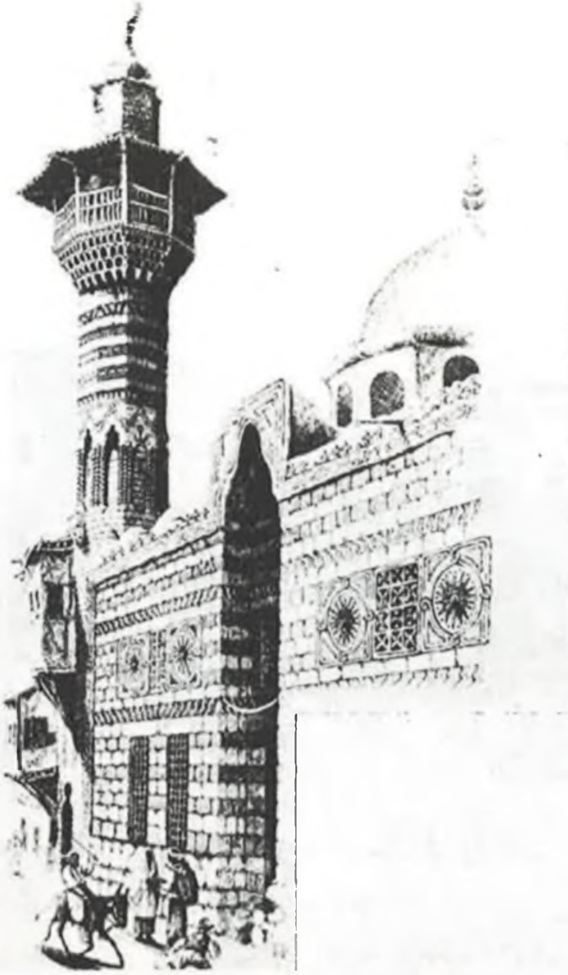
سوق الغنم من الجنوب الشمال في بدايات القرن العشرين بعد دخول الكهربـاء الى دمشق سنة (١٩٠٧ م) ، وتبدو في جهة اليسار من مقدّمة الصورة قبّة المدرسة الصابونية ، وفي جهة اليمين من عمقها قبة التربة المردمية ، وفي المركز القوس الأخـير من أقواس سوق السنانية .

(عن بطاقة بريدية صادرة في بدايات هـذا القرن)



الشواهد التي ترتفع فوق قبور مقبرة الباب الصغير والمحضـّرة في سوق النحاتين.

(عن بطاقة بريدية صادرة في بدايات هـذا القرن)



لوحة بأسلوب (الحفر) لفنان أوروبي زار دمشق في القرن التاسع عشر (حوالي ١٨٤٣م) تمثل الواجهة الشرقية للمدرسة الصابونية التيأنشأها التاجر شهابالدين أحمد المعروف بالصابوني سنة (٨٦٣ هـ /١٤٥٨ م)[١] من العهد المملوكي في جادة سوق الغنم قبالة مقبرة الباب الصغير من جهة الغرب ، وبجوار هذه المدرسة يقع سوق النحاتين .



سوق الغنم من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي حيث تبدو مئذنة المدرسة الصابونية في مركز الصورة .

(بعدسة المؤلف خريف عام ١٩٨٤ م)

---

(١) استنادا للوحة المؤرخة عند باب المدرسة .

سوق السويقة

Souk EL-SOUWAYQA

يمتد سوق السويقة بين سوقي الغنم وباب المصلى، على الطريق الآخذ الى حي الميدان ، ويشكّل في مساره ضلعي مثلث منفرج الزاوية ، ففي بدايته الشمالية يتجه من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي حتى جامع مراد باشا (جامع النقشبندي) حيث ينعطف باتجاه شمالي جنوبي ليلتقي بسوق باب المصلّى ، ويعتبر هذا الأخير امتداداً له اذ لا فاصل مكانيّ بينهما يشير الى انتهاء هذا السوق وبدء السوق الآخر (أنظر مخطط أسواق الميدان) •

ورد اسم سوق السويقة لأول مرّة في العهد العثماني عندما أشار اليه البديري الحلاق[1] ؛ أما في العهد المملوكي فلم تكن هذه التسمية مطروحة ، غير أنه قطعاً كان موجودا بدلالة أمرين : أولهما أن محلة السويقة كانت (ضاحية مملوكية)[2] ومن غير المعقول أن لا يقوم عندها سوق ، وثانيهما ما ذكره ابن عبد الهادي[3] عند تعداده لأسواق الميدان بقوله : (سوق عند باب المصلّى) — وهو السوق الحالي القائم في ذلك الموضع والذي سأتحدث عنه بعد قليل — و : (سوق شمالي المصلّى) وهذا الوصف ينطبق على الموقع الجغرافي لسوق السويقة الحالي اذ أنه شمالي المصلّى او جامع باب المصلّى كما يعرف أيضاً • ثم ان التسلسل المنطقي يؤكد على تواجد هذا السوق في تلك الفترة — ولو بغير تسمية — نتيجة الاستمرارية الاقتصادية لأسواق المنطقة التي تبدأ بسوق السنانية ثم سوق الغنم ومن بعده (سوق السويقة) ثم سوق باب المصلى والجزماتية وأبو حبل •

ويمكنني القول ، أثر زيارتي الميدانية لهذا السوق صيف عام ١٩٨٩ م ، انه سوق تخصصّي بصناعة النحاسيات وأدوات الزراعة اليدوية الحديدية أولا ، ثم حواصل الخشب ، ومناشره ثانيا ؛ بالاضافة الى عدد كبير من الحوانيت التي تبيع المواد التموينية الاعتيادية كأي سوق آخر في مكان ما من مدينة دمشق •

من المشيّدات المتواجدة في سوق السويقة : جامع مراد باشا وجامع همّان آغا أو الجامع الصغير وقبالته مقام وضريح الشيخ حسن الجباوي •

(١) حوادث دمشق اليومية : البديري الحلاق . القاهرة ، ١٩٥٩ ، فهرس الأماكن والبقاع : سوق السويقة ص ٢٧٩ .

(٢) خطط دمشق : أكرم حسن العلبي . دار الطبّاع ، دمشق ، ١٩٨٩ م ، ص ٤٤١ .

(٣) نزهة الرفاق في شرح حال الأسواق : ابن عبد الهادي . رسالة نشرها حبيب الزيات في الخزانة الشرقية من مجلة المشرق ، ١٩٣٧ ، السوق رقم ٤٤ — ٤٥ .



سوق السويقة من الجنوب الى الشمال وفي جهة اليمين حواصل الخشب ومناشره تقابلها في جهة اليسار حوانيت صنع الأواني النحاسية وفي العمق من الصورة جامع مراد باشا .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)



نفس زاوية التقاط الصورة انما في الثلاثينات أو الأربعينات من هذا القرن حيث تبدو مخازن الحبوب التي تعرف باسم (بوايك ومفردها : بايكة) في جهة اليمين من الصورة ، كذلك تبدو (سكة الترام) التي كانت تمر على طول طريق الميدان من ساحة المرجة حتى بوابة مصر.



سوق السويقة من الشرق الى الغرب في العشرينات أو الثلاثينات من هذا القرن يعبره ترام الميدان العائد من بوابة مصر (ساحة الأشمر) الى ساحة المرجة ، والى الخلف منه جامع مراد باشا ، وفي جهة اليمين جمل من قوافل الجمال التي كانت تمرّ في هذا السوق محمّلة بالحبوب أو الخشب .



مصبّات القهوة وأباريقها ، وسطول الماء وأوعية الغسيل ، والأراكيل النحاسية ، وما شابه من المنتجات المصنوعة في سوق السويقة ؛ هذا السوق الذي لا تتوقف فيه الآليات عن المرور الا للحظات خاطفة ، فباصات النقل الداخلي ، وسيارات الأجرة والخاصّة ، وسيارات (الهوندا والسوزوكي) المنسلّة خلال الرتل المزدحم كسرعة العاشق الى لقاء معشوقه ، والدراجات ، وطنابر المازوت ، وطنابر الحمولة ، والمارّة ، هذه الكتل المتحركة تحيل السوق الى خلية نحل دائبة الحركة يختلط هديرها بأنين النحاس والحديد والتوتياء تحت المطارق التي تقرعها برتابة وايقاع عنيفين •

(بعدسة المؤلف من الجنوب الى الشمال صيف عام ١٩٨٩ م)



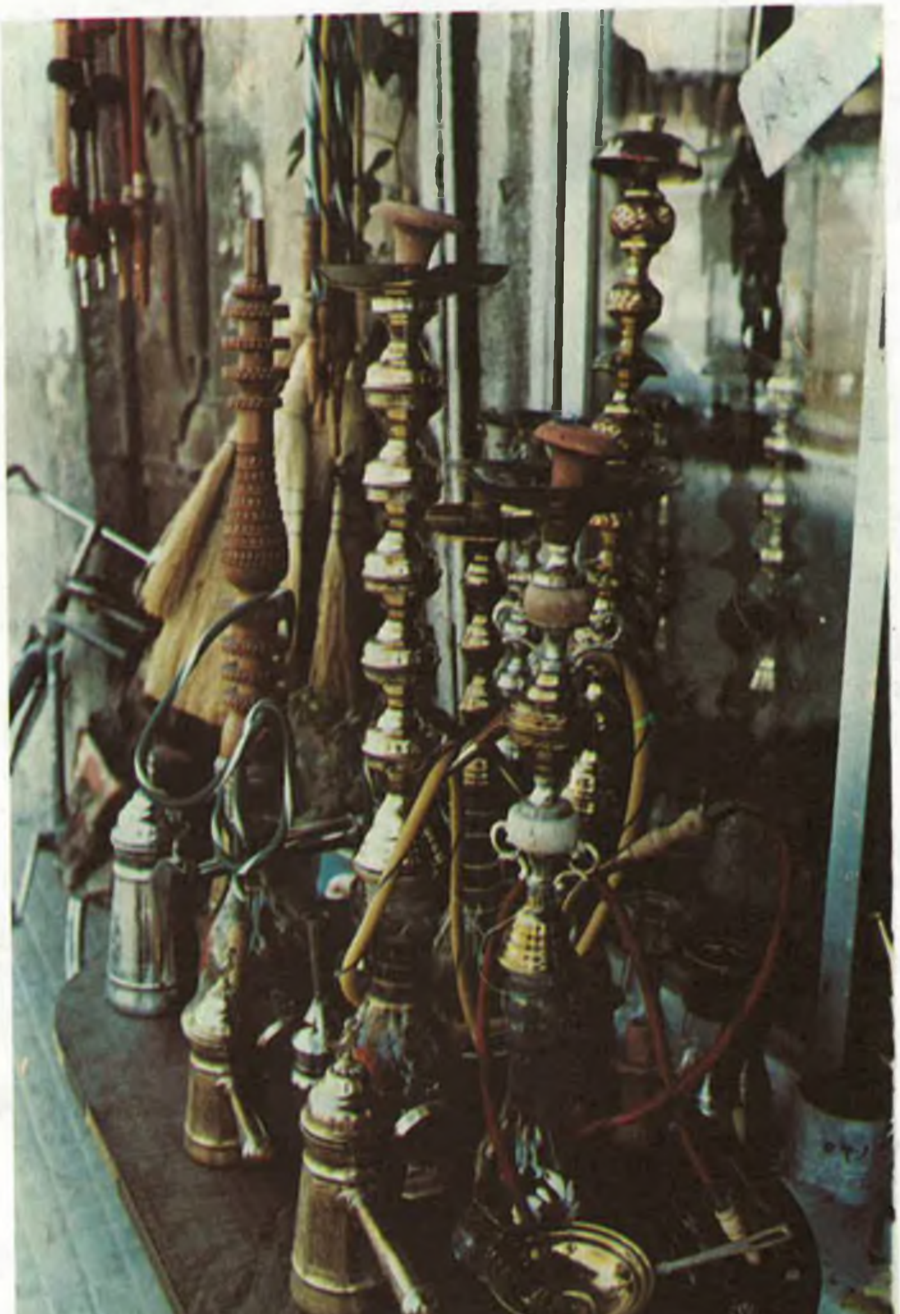
سواعد مدّربة ، وأيد ماهرة ، وتصميم دؤوب ، وتشكيل يدوي مبدع لمصبّات القهوة في سوق السويقة •

(بعدســة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)



نسق من مصبّات القهوة النحاسية ، المزخرفة بالكتابات العربية المنقوشة ، والمصنّعة في حوانيت نحّاسي سوق السويقة بحجوم تتناسب وأفراد البيت أو المضافة أو العشيرة •

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)



تنتشر الأراكيل الجميلة ولوازمها ، ومصّبات القهوة العربية النحاسية وتوابعها ، بأعداد كبيرة في حوانيت سوق السويقة حيث تصنع وتبـاع •

(بعدسـة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)



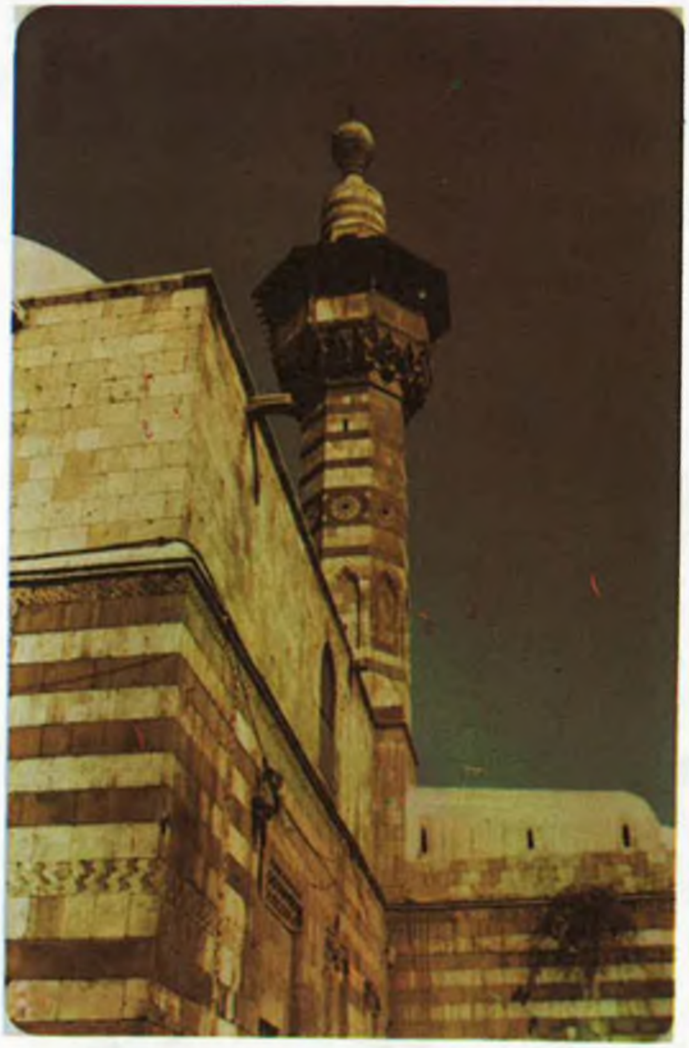
حانوت حدّاد في سوق السويقة ، يصنع آلات الحرث وغيرها، كالمجارف والسكك والمرور للحرث ، بعد أن يعالج الحديد في الكنُور (بيت النار) وينفخ عليه بالكير (منفاخ الهواء) حتى يصير كالجمر ، فيصبح ليّناً مطواعاً للتكييف والتشكيل •

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)



يصبح الحديد الجمر،بعد خروجه من الكثور ، ليّنا مطواعا لمطارق التكييف والتشكيل الحديدية ، وفي هذه المرحلة ينطبق المثل القائل : (لا يفلّ الحديد الا الحديد) .

(بعدسة المؤلف في سوق السويقة صيف عام ١٩٨٩ م)



مئذنة جامع مراد باشا في سوق السويقة ، المعروف أيضا بجامع النقشبندي أو جامع المرادية ، شيّده والي دمشق (مراد باشا) في العهد العثماني سنة (٩٧٦ هـ / ١٥٦٨ ـ ١٥٦٩ م) وتكامل البناء سنة (٩٨١ هـ / ١٥٧٣ م)[١] ، وتقوم الدوائر المختصة حاليا بترميم هذا البناء ليعود الى رونقه الأصلي .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)

---

(١) خطط دمشق : اكرم حسن العلبي . دار الطباع ، دمشق ، ١٩٨٩ ، ص ٢٥١ و ٢٥٧ .



جامع حسّان آغا في سوق السويقة ، المعروف أيضا بالجامع الصغير ، وهو من مساجد العهد العثماني ، جدده (حسّان بن علي الصويري كما كتب فوق بابه ؛ وسمّي بالصغير لأنه بالقرب من جامع مراد باشا الكبير[٢] .

(بعدسة المؤلف من الشرق الى الغرب صيف عـام ١٩٨٩ م)

---

(٢) ثمار المقاصد في ذكر المساجد : ابن عبد الهادي . تحقيق محمد اسعد طلس ـ الذيل ـ ص ٢٣٦ رقم ١٨٧ .



ضريح الشيخ حسن الجباوي في سوق السويقة قرب جامع مراد باشا ، ولد سنة (٨٠١ هـ / ١٣٩٨ ـ ١٣٩٩ م) وتوفي سنة (٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م) استنادا للوحة المؤرخة فوق ساكف الباب ، وهو ابن الشيخ سعد الدين الجباوي صاحب الطريقة (السعدية) احدى الطرق الصوفية في الاسـلام .

(بعدسـة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)



مقــام الشيخ حسن الجباوي بجوار ضريحه في سوق السويقة .

(بعدســة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)

سوق باب المصلى

Souk BAB EL - MOUSALLA

يمتد سوق باب المصلّى باتجاه شمالي جنوبي بين السويقة وساحة اليرموك (دوّار باب المصلّى) ، ويتداخل هـذان السوقان ببعضهما البعض بحيث لا يمكن معه التفريق بين بداية هذا ونهاية ذاك ، وعلى هذا الأساس يمكننا الافتراض نظرياً بأن سوق باب المصلّى يبدأ حيث ينتهي سوق السويقة في نقطة تتوسط الطريق الممتد بين الجامع الصغير وجامع باب المصلّى (أنظر مخطط أسواق الميدان) .

ورد ذكر هذا السوق في رسالة ابن عبد الهادي[١] بقوله : (سوق عند باب المصلّى) مما يؤكد تواجده في العهد المملوكي ، كذلك أشار اليـه القساطلي[٢] في سياق حديثـه عن أسواق حيّ الميدان دون أن يسمّيه عندما قال : (ويمتد من رأس هذه الســوق الجنوبي ـ ويقصد سوق الغنم ـ طريق متسع مستقيم طوله نحو ميلين يخترق الميدان من الشمال الى الجنوب وعلى جانبيه دكاكين وقهاوي وحواصل الحنطة) الأمر الذي يدل على استمراره في العهد العثماني .

وتحدث العلاف[٣] عنه في مطلع القرن العشرين وقال : (الى أن تدخل باب المصلّى وعلى طرفيه حوانيت الحدّادين ونجّاري الأدوات الزراعية الخشبية كالنير والأعواد ومـا ماثلها وهنالـك حدادون وجلادون[٤] وفرّاية[٥] على طول الجـادة في جانبيهـا حتى تصل الجزماتية) .

---

(١) نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق : يوسف بن عبد الهادي ، السوق رقم ٤٤ .

(٢) الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي ص ٩٩ .

(٣) دمشق في مطلع القرن العشرين : احمد حلمي العلاّف ص ١٦ .

(٤) الجلاّد : العامل في صناعة الجلود وفي الاصل من يشتري جلود الغنم والمعز ويبيعها للصبّاغ .

(٥) الفرّا : من يصنع العباءات المبطّنة بالفروات ، وفي الاصل هو تاجر الفرو .

لم أجد عند زيارتي الميدانية لهذا السوق صيف عام ١٩٨٩ م ، أي من الحوانيت التي ذكرها القساطلي أو العلاف ، بل رأيت الى حواصل الخشب ومناشره ، والى حوانيت بيع (البراميل) البلاستيكية والمعدنية ، أما خلاف ذلك فهو سوق عادي كبقية الأسواق المنتشرة في كل حارة أو جادة من جادات مدينة دمشق ، حيث محال بيع المواد التموينية والغذائية وغيرها .

وفي هذا السياق أود الاشارة الى أن الواقع الفعلي لسوقي (السويقة وباب المصلّى) هو في كونهما سوق واحد لا يتجزأ ، بدايته من نهاية سوق الغنم ونهايته في ساحة اليرموك، وتنتشر عند هذه البداية حوانيت النحّاسين وحدّادي الأدوات الزراعية ، تليها حواصل الخشب ثم باعة البراميل ، وبين هذه وتلك محال بيع المواد الغذائية والتموينية حتى الساحة المذكورة ، وقربها مشيدة تاريخية هامّة هي جامع باب المصلّى .

ونتيجة لاستمرارية التداخل المكانيّ في أسواق حيّ الميدان ، من سوق الغنم حتى بوابة مصر ، لم يتطرّق المؤرخون الذين ذكرت الى حدود أو أبعاد أي من هذه الأسواق ، بل كانوا ، وفي غالب الأحيان ، يصفون حوانيت السوق ويتخطّونه الى بداية سوق مجاور أو نهاية سوق على امتداده ، الأمر الذي أفقد الوصف كثيراً من الدقّة ، وجعل من التوصل الى معرفة (البداية والنهاية) أمراً عسيراً ، ومن الجحود أن نقع عليهم باللائمة اذ لم تكن هذه الأسواق محدّدة الأبعاد بشكل دقيق كما هو الحال في سوق الحميدية مثلاً ، ونتيجة لذلك وجدت نفسي مضطراً عند وضعي لمخطط أسواق الميدان الى محاولة ايجاد المسافات الفاصلة بين كل سوقين مستمرين بشكل تقريبي ، وعسى أن تكون هذه المحاولة ناجحة أو أتركها لباحث آخر ؟ .



مشيّدة قديمة متبقية من أواخر القرن التاسع عشر أو بدايات العشرين ، عند النسق
الغربي لسوق باب المصلّى ، وتحتها حوانيت بيع البراميل البلاستيكية والمعدنية .
(بعدسة المؤلف من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي صيف عام ١٩٨٩ م)



تنشر أطباق فستق العبيد النيء ، المقشّر
وغير المقشّر ، وغرابيل القضامة والبزر
الأبيض ، تحت أشعة الشمس والهواء
الطلق لتجف استعداداً للتحميص في احدى
(المحامص) الكائنة في سوق باب المصلّى .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)

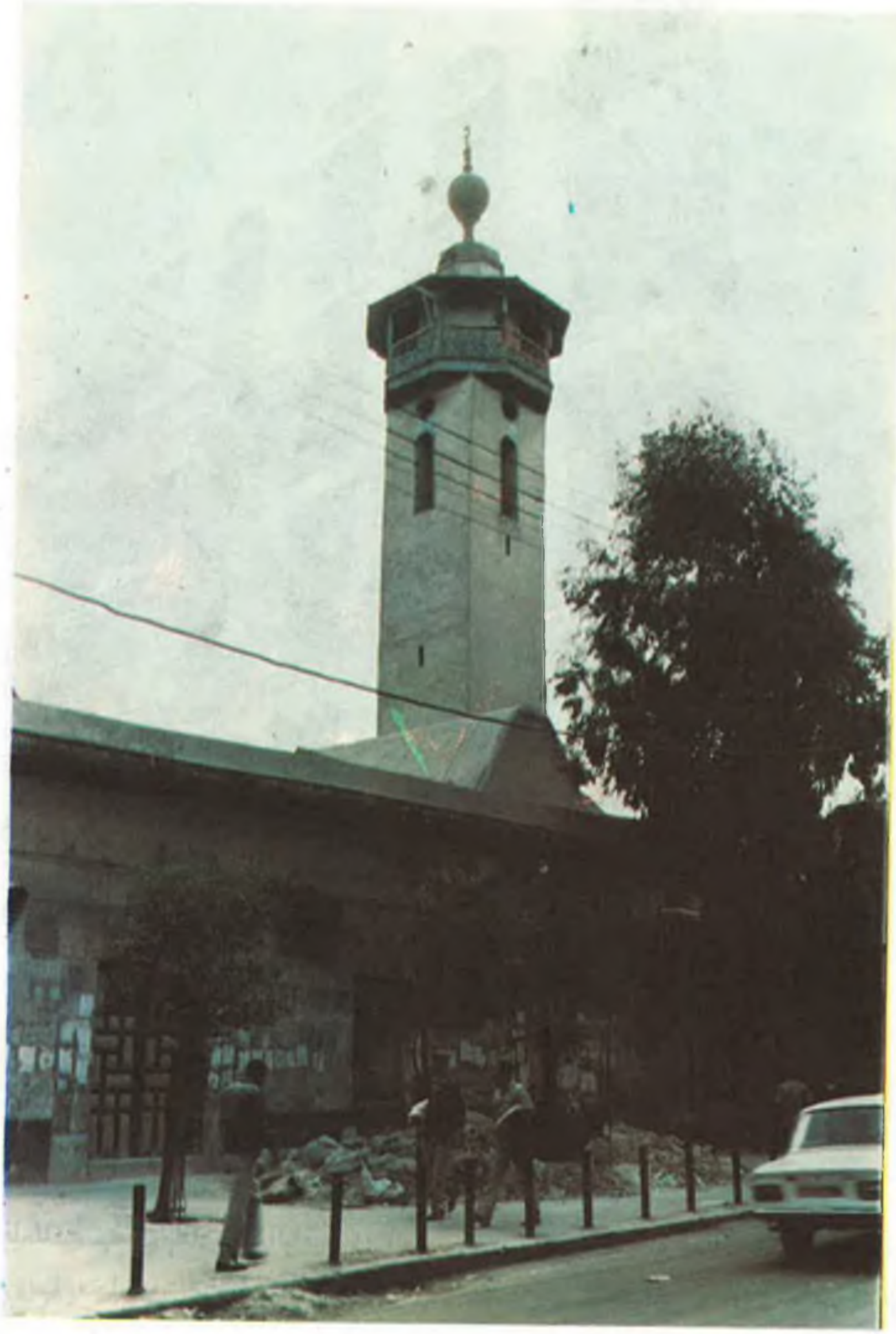


خلافا للمشيّدات القديمة الباقية في أسواق حيّ الميدان ، وكذلك المشيّدات الحجرية الأحدث زمنا منها ، والتي تمثّل (اللاطراز) في طابعها العمراني ، أو (علب الكبريت) المرصوفة في تكـرار طوابقها وواجهاتها بايقاع ممّل رتيب ، يرتفع هذا المبنى الأنيق قيد الانجاز عند النسق الغربي لسوق باب المصلّى : بجمالية واجهته التي تغاير مألـوف أبنيتنا الأخرى الا فيما ندر ، هذه الجمالية التي تحتاجها دمشق الحديثة كما يحتاج الكائن الحيّ الى الماء والهواء والفيتامين والحب . ولقد نجح المصمم في مزج العلاقات القوسية والسطحية والحجمية ، وخرج منها بشرفات فرنسية ، وحوانيت اغريقية الأقواس ، وطعّم أعلى البنـاء بقوسين عربيين ، كما (لوّن) الواجهة الحجرية بالحجر الابيض والترابي ، فخرجت هذه الكتلة عن مألوف السوق : وأضفت عليه مسحة من التحديث والمَدْرَنَة[1] .

(بعدسة المؤلف من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي صيف عـام ١٩٨٩ م)

---

(١) المدرنة : نحت عربي لكلمة (Modern) الاجنبية .



جامع باب المصلّى أو جامع المصلّى عند النهاية الجنوبية لسوق بـاب المصلّى وعلى نسقه الشرقي قرب ساحة اليرموك، ويرجّح العلبي[1] تشييده في العصـر السلجوقي ، فقد وجد فيه حاجز خشبي مؤرخ سـنة (٤٩٧ هـ/١١٠٤ م) ، ويعتبر هذا الجامع الى اليوم أكبر مسجد في دمشق بعد الجامـع الأموي ، وطرأ عليه التجديد أكثر من مرة خلال العهود المتلاحقة .

(بعدسة المؤلف من الغرب الى الشرق خريف عام ١٩٨٩ م)

---

(١) للتوسع انظر خطط دمشق : اكرم حسن العلبي . دار الطباع ، دمشق ، ١٩٨٩ ، ص ٣١٠ .

سوق الجزماتية

Souk EL - DJAZMATIAH

يقع هذا السوق في محلّة الميدان التحتاني التي كانت تعرف في السابق باسم (ميدان الحصى) ، وعلى امتداد سوق باب المصلّى ، باتجاه شمالي جنوبي ، بين ساحة اليرموك (دوّار باب المصلّى) وجسر (المحلّق الجنوبي) عند تقاطعه مع شارع الميدان (أنظر مخطط أسواق الميدان) •

لم تكن تسمية سوق الجزماتية واردة في العهد المملوكي ، وكان في موقعه ابّان ذلك العهد سوق ذكره ابن عبد الهادي[1] بقوله (سوق القمح عرصات بميدان الحصى وما والاه) ، الى أن جاءت أول اشارة له في العهد العثماني عند القاسمي[2] قوله : (الجزماتي اسم لمن يصنع الجزمات عندنا في الشام ، ولها سوق مخصوص بميدان الحصى يقال له سوق الجزماتية) •

وفي مطلع القرن العشرين ورد اسم هذا السوق عند العلاف[3] الذي قال : (حتى تصل الجزماتية حيث تكثر حوانيت لوازم القادمين من قرى حوران ، جزمات ـ حذاء طويل وله طغراء زرقاء ـ وعباآت وألبسة مختلفة عربية، وهكذا حتى تصل الى باب مصر) •

لم أشاهد في هذا السوق عند زيارتي الميدانية المتكررة لأسواق الميدان صيف عام ١٩٨٩ ، أثراً للجزمات أو العباآت أو الملبوسات العربية المختلفة ، بل رأيت اليه سوقاً كبقية أسواق المدينة غير التخصصيّة ، ينتشر فيه باعة المواد الغذائية والاستهلاكية ، وباعة الخضار والفواكه واللحوم ، واذا اعتبرنا الحلويات ـ خصوصاً الشعبية منها كالقطائف والمطبّقات ـ

(١) نزهة الرفاق في شرح حال الأسواق : يوسف بن عبد الهادي . السوق رقم ٤٢ .

(٢) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي ص ٨١ .

(٣) دمشق في مطلع القرن العشرين : العلاف ص ١٧ .

نوعاً من التخصص ، يمكننا القول أن سوق الجزماتية هو سوق تخصصيّ بها في أشهر الشتاء ، وتخصصيّ بالمرطبات والبوظة في أشهر الصيف ، وفيما عدا ذلك فهو سوق استهلاكي مؤلف من مناطق مختلفة التسميات ، ففي بدايته الشمالية مما يلي ساحة اليرموك يعرف بـ (الصحابة) وهي تسمية شائعة أصلها (صُهَيْب) نسبة لجامع سيدي صهيب عندها ، تليها نحو الجنوب تسمية (القُرَشِيّ) نسبة لمسجد الوليّ القرشي ، ثم يأتي سوق الجزماتية حتى تقاطع شارع الميدان وجسر الطريق المحلّق الجنوبي كما قدمت .

من المشيّدات الهامّة في سوق الجزماتية تربة (آراق السلحدار) أو جامع سيدي صهيب ، وجامع الموصلي ، ثم مسجد الولي القرشي وهو عبارة عن غرفة صغيرة ، بعده جامع الرفاعي ، ثم حمّام الرفاعي ، وعند نهاية هذا السوق الجنوبية وداخل نسقه الغربي يقوم جامع منجك .



الجزمات التي كان العسكريون والمدنيون يرتدونها في العهد العثماني ، وكذلك الشرطة والدرك والحرّاس خلال النصف الأول من القرن العشرين ، وهي الجزمات التي قال عنها القاسمي[1] : (الجزمات جمع جزمة ، وهي ما يلبس بالرجل من النعال ، له ساق يستر ساق الرجل أو بعضه غالباً ، وهي أجناس : عال ، ووسط ، ودون . فالعال : ما يلبسها أمراء العرب ووجوههم ، وجلدها أحمر قان ، ولها طيّات أمام الساق ، وعلى رأس ساقها المطوى طرّة حرير طويلة ، لونها أزرق ، ملتفّ عليها خيوط من السيم ، وبأسفل قدمها حذوة ، أي حذاء من الحديد ، يلبسها البدوي ويفتخر بها ، وهذه مثمنة . والوسط : دونها في القيمة والحسن . والدون : لها سوق مخصوص بميدان الحصى ، يقال له سوق الجزماتية ، يشتغلون بها الجزمات الدون ، لون جلدها أبرش الى الصفار أقرب ، يلبسها فلاحو أهل حوران ، نساء ورجالاً ، وأهل تلك الجهات من البدو ، وهذه أجناسها أيضاً مختلفة بالحسن والجودة ، ومنها ــ أي من جنس الجزمات ــ ما يلبسه الجند ، أي العساكر السلطانية ، يشتغلها الكندرجية ، وصنّاع الميري ، جلدها أسود فرنساوي ، وساقها طويل فوق الركبة ، وقد يلبس الضبّاط منها ما يكون ساقها الى آخر الفخذ ، وهذه ثمنها كثير ، على حسب صنعتها واتقانها) .

والى الجزمات وصنّاعها نسبت تسمية (سوق الجزماتية) .

---

(1) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٩ ، ص ٨١ .



منطقة (القرشي) المجاورة لسوق الجزماتية من جهة الشمال حيث تختلط المشيّدات العمرانية القديمة بالجديدة ، وتنتشر الحوانيت التجارية غير التخصصيّة على طرفي الطريق الرئيسي عندها ، وتشاهد في الصورة مئذنة جامع (الموصلي) ذات اللون الأزرق الضارب للخضرة ، وهو جامع صغير له صيفي بسيط ولا تتواجد عند بابه أية لوحة تشير الى تاريخ بنائه أو تجديده ، وفي عمق الشارع منطقة (الصحابة) .

(بعدسة المؤلف من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي صيف عام ١٩٨٩ م)



يشكّل سوق الجزماتية مزيجاً من التراث والمعاصرة حين تختلط فيه وسائل النقل المختلفة (طنابر)[١] مزخرفة و (كدش)[٢] مزيّنة ، درّاجات (بسكليتات) ، درّاجات نارية ، (طرطيرات أو طنطيئات)[٣] ، باصات للنقل الداخلي ، سيارات أجرة ، سيارات خاصة ، شاحنات ، دواب للنقل ، ولا ينقطع هذا السيل المتحرك الا للحظات محدودة ينتشر فيها السكون ليقطعه بائع متعيّش ينادي على بضاعته .

اذا كانت تسمية (سوق الحلوانيين) قد أطلقت في الماضي على شارع الملك فيصل ، فانه من الواجب أن تطلق الآن على سوق الجزماتية، فحوانيت بيع الحلويات والمرطبات تكتظ فيه ، ولها شهرتها بالقطائف والمطبّقات والقشدة والعوّامة والزلابيّة ، الى جانب حوانيت بيع المخللات و (الفريكة البلدية الخضراء) والأدوات المنزلية والكهربائية، وبين هذه وتلك تنتشر المطاعم الشعبية ، ومتاجر مواد الألمنيوم وما شابه ، كما يفترش باعة الخضرة والفواكه رصيف النسق الشرقي للسوق الى جانب بعض الباعة المتعيّشين .

(بعدسة المؤلف من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي صيف عـام ١٩٨٩ م)

---

(١) طنابر : مفردها طنبر وهي كلمة عاميّة تعني عربة النقل التي تجرّها الدواب .

(٢) كدش : لفظة عاميّة مفردها (كديش) وهو حيوان الجرّ .

(٣) طرطيرات أو طنطيئات : لفظة عامية منحوتة من اصوات الدراجات النارية وتعني : درّاجة النقل ذات العجلات الثلاث .



النهاية الجنوبية لسوق الجزماتية الآخذ الى جسر (المحلّق الجنوبي) في عمق الصورة، وعلى طرفي هذه النهاية تنتشر الحوانيت غير التخصصيّة ، فيهـا كل شيء عـدا الجزمات والعباآت والألبسة العربية التي اختفت كلياً •وترتفع في جهة اليمين من عمق السوق ــ خلف عمود الكهرباء ــ مئذنة جامع (منجك) الذي شيّده حوالي سنة (٨١٠ هـ/١٤٠٧ م) الأمير ناصر الدين محمد بن ابراهيم بن نائب الشام في العهـد المملوكي سيف الدين منجك الكبير[١] •

(بعدسة المؤلف من الشمال الى الجنوب صيف عـام ١٩٨٩ م)

(١) انظر خطط دمشق : اكرم حسن العلبي . دار الطباع . دمشق ، ١٩٨٩ ، ص ٣٥٦ .



مصنوعات فخّارية يدوية من أباريق الماء وجراره ، وأُصُص النباتات البيتيّـة التي تعرف على ألسنة الناس باسم (شقف الزريعة) ، وأطباق وصحون وقواعـد للشموع ، ومشربيات وكؤوس صغيرة ، تتكدّس فوق بعضها بترتيب متقن فوق الأرض وعلى الرفوف في حانوت (فواخيري) عند منطقة (الصحابة) المجاورة لساحة اليرموك ، والآخـذة في نهايتها الجنوبية الى منطقة (القرشي) فسوق الجزماتيـة .

(بعدسـة المؤلف صيف عام ١٩٨٦ م)



واجهة تربة ومسجد (آراق بن عبد الله السلحدار) نائب السلطنة بدمشق في العهد المملوكي ، شيّدت سنة (٧٥٠ هـ/١٣٤٩ م) ، وفي التربة ضريح ينسب الى الصحابي (صهيب الرومي)[١] ومنه جاءت تسمية جامع سيدي صهيب ، وكذلك تسمية المنطقة التي حرّفت على ألسنة الناس الى (الصحابة) •

(بعدسة المؤلف من الشرق الى الغرب صيف عام ١٩٨٩ م)

(١) العمارة العربية الاسلامية : د. عبد القادر الريحاوي . وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٩ ، ص ١٦٩ .



مئذنة مسجد الرفاعي عند النسق الشرقي من البدايةالشمالية لسوق الجزماتية، ومن المرجّح أن يكون هـذا المسجد مشيّداً في العهد العثماني ، وقد احترق عند بداية الثورة السورية عام (١٩٢٥م) فأعيد ترميمه بعد ذلك[١] .

(بعدسة المؤلف من الجنوب الى الشمال صيف عــام ١٩٨٩ م)

(١) ثمار المقاصد في ذكر المساجد : ابن عبد الهادي . تحقيق محمد اسعد طلس ، مكتبة لبنان ، ١٩٧٥ ، ص ٢١٨ .



القسم البرّاني من حمّام (الرفاعي) عند النسق الشرقي لسوق الجزماتية والى الجنوب المجاور لجامع الرفاعي ، وهو القسم الذي جدد بعد تهدّمه بفعل القصف الفرنسي لمنطقة الميدان في الثورة السورية سنوات (١٩٢٥ – ١٩٢٧ م) .

وتشير اللوحة الرخامية المؤرخة لهذا الحمّام بجوار بابه الى كونه من حمّامات القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، كما تحمل لوحة أخرى فوق ساكف الباب الكتابة التالية : (حمّام الرفاعي – يفتح ليلاً نهاراً – للرجال)[١] .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

---

(١) للتوسع انظر الحمامات الدمشقية : منير كيال . دمشق ١٩٨٦ ، ص ١٢٧ ، ايضا خطط دمشق : اكرم حسن العلبي دار الطباع ، دمشق ، ١٩٨٩ ، ص ٥١٤ .

سوق الخجا

Souk EL - KHOUJA

كان هذا السوق ممتداً على طول الجدار الغربي لقلعة دمشق وفوق خندقها موازياً لجادة السنجقدار ، بين سوق (السروجية) وسوق (الحميدية) • شيده (راغب بن رشيد الخوجة) بعد أن اشترى الأرض من الدائرة العسكرية السلطانية بتشجيع من الوالي (حسين ناظم باشا) ابان ولايته الأولى التي بدأت سنة (١٣١٣ هـ/١٨٩٥ م) للتخلص من تراكم الأقذار التي كان الناس يلقون بها في خندق القلعة مما كان يؤدي الى انتشار الروائح الكريهة والأمراض نتيجة لذلك[١] ، وقد اضطر جنود (الانكشارية) الى العمل في إعماره للحصول على المال اللازم لمعيشتهم بعد أن عجزت الدولة عن دفع مرتباتهم في تلك الحقبة • نستنتج مما تقدم أن سوق الخجا كان من أسواق العهد العثماني المتأخر (أنظر مخطط الأسواق القديمة في منطقة الزرابلية) •

وكان للسوق أربعة مداخل حسب رواية (عربي كاتبي)[٢] ، ينفتح أولها في سوق الأروام (البداية الغربية لسوق الحميدية) ، وثانيها تجاه سوق النحاسين (ولعله كان يقصد سوق السروجية أو المناخلية لأن سوق النحاسين لم يكن بجوار سوق الخجا في يوم من الأيام) ، والثالث أمام باب القلعة الواقع تجاه سوق القميلة وجامع سيدي خليل (وهو باب القلعة الغربي المفتوح الآن على شارع الثورة) ، والرابع مقابل جامع السنجقدار المعروف بجامع الحشر أو جامع (أرغون شاه) • وقد شيّد على نفس نمط سوق الحميدية بطابقين، الطابق العلوي منه مشاغل وورشات عمل ، والسفلي متاجر تخصصية ببيع الصناعات الجلدية من حقائب وما شابه ، اضافة الى الملابس العسكرية ولوازمها ، وأشغال (الخرز) التي كان سجناء قلعة دمشق ينتجونها كحقائب اليد النسائية والمسابح ونرابيش الأراكيل ، وجميعها كانت غاية في الاتقان والجمال •

---

(١) منتخبات التواريخ لدمشق : الحصني . دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ج١ ، ص ٢٧٨ .

(٢) الروضة البهيّة في فضائل دمشق المحمية : عز الدين عربي كاتبي . دمشق ، مطبعة المقتبس (١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م) ص ٣٥ .

جدّد سوق الخجا سنة (١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م) ، وقام الوالي حسين ناظم باشا بتغطيته بساتر هرمي من الحديد والتوتياء وقاية له من الحرائق التي قد تنشب في جواره ، ووقاية لجواره من النار التي قد تشبّ فيه • أما اسمه فأطلق نسبة لاسم بانيه وقد ورد في بعض المؤلفات (الخُوجَة) ومع مرور الزمن تحولت اللفظة الى (خُجا) ولكن التسمية الأولى أصحّ •

ولما تطلّب الأمر أثرياً كشف جدار القلعة الغربي والخندق عندها هدم السوق أواخر عام (١٩٨٣ م) وشيّدت عوضاً عنه في منتصف النسق الغربي من شارع الثورة عمارة أسمنتية حديثة جاءت واجهتها الشرقية على طراز العمارة العربية وأطلق عليها اسم (سوق الخجا) كما نقل اليها تجار السوق •



سوق الخجا وساتره الهرمي المعدني ونوافذ طابقه الثاني المشيّد على غرار سوق الحميدية وفيه مشاغل وورشات تصنيع الجلود ، أما طابقه الأرضي فحوانيت بيع هذه المنتجات •

(عن بطاقة بريدية صادرة أواخر الخمسينات من هـذا القرن)





(سوق الخجا التخصصي بالمصنوعات الجلدية في مطلع الثمانينات قبل هدمه لكشف جدار قلعة دمشق)

منذ مطلع هذا القرن امتهن عدد كبير من سجناء قلعة دمشق أعمال (الخرَز) لملء فراغهم ، وانتجوا منها قطعاً ملونة غاية في الجمال والجدّة ، كالمسابح وحقائب اليد النسائية و (جزادين) صغيرة للعملات وأنطقة للوسط وما شابه ، وقد لاقت هذه المنتجات رواجاً شديداً لدى السوّاح الذين كانوا يقصدون (سوق الخجا) لاقتنائها باعتباره المكان التقليدي لبيعها حيث تواجدت فيه عدة محال تخصصية تجمعت عند مدخل القلعة الرئيسي من هذا السوق .



(محفظة نقود صغيرة من الخرَز الملون انتجها سجناء قلعة دمشق

اواخر النصف الاول من هذا القرن)

سوق السروجية

Souk EL - SROUJIAH

سوق قديم مغطّى بساتر قوسي من الحديد والتوتياء ، يمتد بين جادة السنجقدار بجوار سوق الزرابلية وشارع الملك فيصل بعد أن ينعطف اليه بزاوية قائمة ، وهو يسير محاذيا لجدار قلعة دمشق الشمالي وبينهما (قناة العقرباني) المتفرعة عن نهر بردى عند ساحة المرجة (أنظر مخطط الأسواق القديمة في منطقة لزرابلية) .

ورد ذكر هذا السوق عند ابن عند الهادي[1] بقوله (سوق السروجيين غربي القلعة تباع فيه السروج وآلة الخيل) مما يدلّ على تواجده في العهد المملوكي وربما كان أقدم من ذلك ، كذلك ورد عند القساطلي [2] بقوله (سوق السروجية وتعمل به أدوات الخيل) ، كما حددت خارطة شرطة دمشق الصادرة خلال الاعوام (١٩٢٢ — ١٩٢٤ م) موقعه وتسميته في نفس موضعه الحالي . وقد أطلق عليه اسمه نسبة الى عَمَلَة السروج وبائعيها الذين يشغلونه .

السوق بحالته الراهنة على النحو التالي : تتوضع عند بدايته الغربية الآخذة الى جادة السنجقدار بضع حوانيت لبيع الألبسة الجاهزة العادية ، بعدها الى الداخل محالّ حرفة الكَمَرْجِيّة [3] (عملة الأكْمار أو الزنانير أو النُطَق الجلدية التي يشدّ بها الوسط أو البنطال وما شابه) الى جانب حرفيي أجربة المسدسات ونطق الذخيرة التي يعرف مفردها على ألسنة الناس باسم (بيت الفَرْد وجِنّاد الفَشَك) ، ثم تتداخل الاختصاصات ببعضها عندما تبدأ حوانيت النَطَفْجِية [4] (وهم من يصنع ما يلزم الدواب من أرسان ، وراسيات ،

---

(١) نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق : يوسف ابن عبد الهادي . السوق رقم ٦١ تجدها في كتاب (رسائل دمشقية) : تحقيق صلاح محمد الخيمي دار ابن كثير . دمشق ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ٨٠ .

(٢) الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي . دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٩٩ .

(٣) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس ،دمشق ، ١٩٨٨ ، ص ٣٩٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٨٥ .

وسماطات ، وعقّل وغيرها من أنواع الصوف والقطن التي تصنع باليد) وهي صنعة تابعة لصنعة السروجي ، وعند زاوية انعطاف السوق نحو شارع الملك فيصل رأيت الى حانوت يصنع السروج (٥) (وهي ما يوضع على الخيل للركوب فوقها) وما زال هذا الحانوت محافظا على الحرفة التقليدية المتوارثة ، وتنتشر عند هذا الانعطاف وبعده حوانيت صنّاع الشوادر والخيام والمظلاّت الكبيرة الواقية من الشمس ، ثم حوانيت بيع المنظّفات .

ونتيجة لانتشار السيارات واسطة للركوب بدلا عن الخيول ، تقلصت حرفة السروجية الى حدّ كبير ، كذلك تراجعت حرفة النطفجية بدرجة أقل ، ومع ذلك يمكننا اعتبار سوق السروجية من الأسواق التي ما زالت تحافظ على تخصصها رغم أن حوانيت بيع المنظفات الكيماوية والصابون وما شابه تنتشر بصورة كبيرة عند نهايته التي تفتح في شارع الملك فيصل قبالة سوق الهال .

---

(٥) تبيّن لي عند زيارتي الميدانية للسوق عام ١٩٨٩ م انه لم يبق فيه سوى ثلاثة حوانيت لا زالت تحترف هذه الصنعة .



مدخل سوق السروجية من شارع الثورة وقد أشـرت اليه بسهم

(بعدسة المؤلف من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي صيف عـام ١٩٨٩ م)



الساتر الهرمي المغطّي لسوق السروجية وقد أشرت اليه بسهم

(بعدسة المؤلف من الغرب الى الشرق صيف عــام ١٩٨٩ م)



سوق السروجية عند مدخله من جادة السنجقدار ، من الجنـوب الغربي الى الشمال الشرقي

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)



الطرف الغربي لسوق السروجية الآخذ الى جـادة السنجقدار الذي تحولت بعض متاجره وأرض الشـارع عندها الى مواضع بيـع للملبوسات الشعبية بدلاً عن آلـة الخيل والأكمار بعد أن تقلّصت صناعتها التراثية الى حدّ كبير .

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)



سروج الخيل الجميلة التي نسبت اليها تسمية (سوق السروجية) والتي ما زالت تصنع فيه رغم تقلّص تجارتها الى حدّ يهددها بالانقراض اذ لم يبق في هذا السوق سوى ثلاثة من صنّاعها كما أكّد لي أحدهم عند زيارتي الميدانية للموقع .

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)



من المشاهد المثيرة للاعجاب التي رأيت في سوق السروجية ، مشهد هذه (الأم) الصابرة على مشاق الحياة وأعبائها بكل جلَد ، ففي الوقت الذي تحمل فيه بيدها اليمنى بعض مشترياتها ، تضم بها الى صدرها الحاني طفلها الرضيع لتسقيه لبن الحياة ، بينما تجول باليسرى بين الثياب المكدّسة باحثة عن بغيتها باهتمام زائد وكان العالم لا يعنيها بشيء •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



ما زالت صناعة سَدائِل الخيل وزينتها اليدوية قائمة الى اليوم في سوق السروجية ، وهي حرفة عريقة تحتاج قبل كل شيء الى يد مدرّبة وموهبة مبدعة حتى تتحوّل خيوط الصوف والذهبَ والفضة ، والودع والخرز الملون والطُرَر ، الى أَسْدال تزيّن رؤوس الخيل وأعناقها وسروجها ورُكَبِها ، وتضفي على رونقها مسحة من الجمالية العفوية .

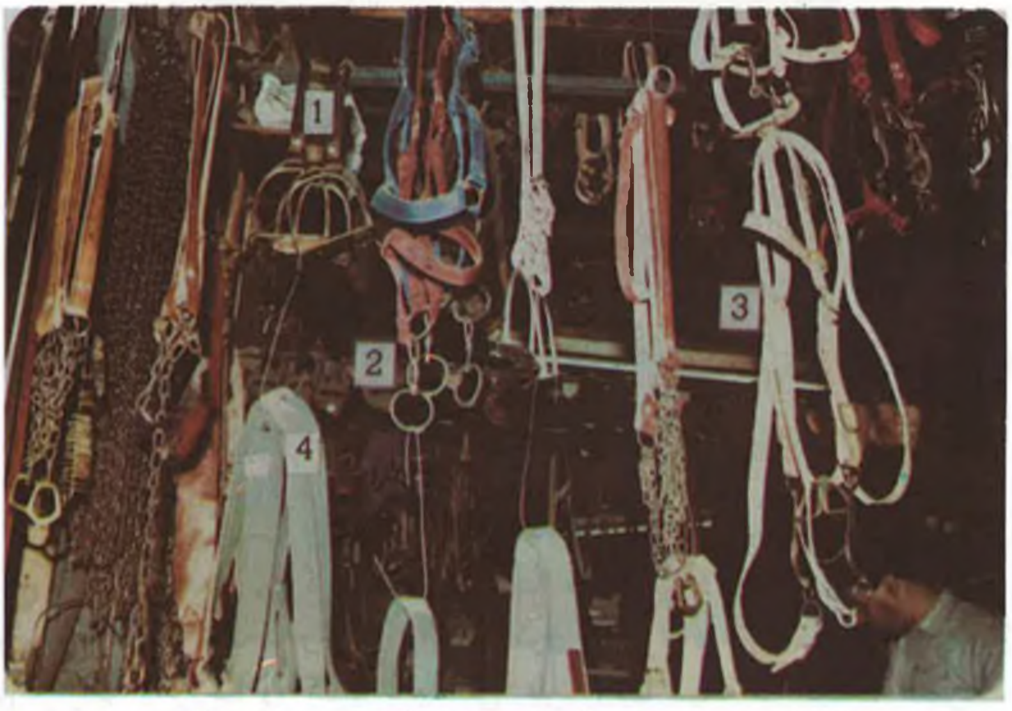
ولقد تعوّد الناس اطلاق التسميات اللفظية الغريبة على هذه السُدُل (كالصَدْر) ـ رقم (1) في الصورة ـ وهو الجزء المزخرف الذي يتدلّى أمام صدر الحصان ، وكذلك (الشَوبَنْدْ) ـ رقم (2) : في الصورة ـ وينسدل خلف السرج .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



من رُكُبِ الخيل وآلتها المصنّعة يدويا في سوق السروجية

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



بعض من آلة الخيل والدواب المصنّعة باتقان في سوق السروجية وهي :

1 — رَكّابات : لصعود الراكب ونزوله عن ظهور الخيل ولتثبيت قدميه عند ركوبها •

2 — مَدْوَر : كِمَامَة أو حِجَام يوضع حول خِطمْ (بوز) الدابّة ليربط به الرَسَن •

3 — لِجام عربي •

4 — راسيّة بقر •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



من العادات الطريفة التي يتبارى فيها أصحاب دواب الجرّ والنقل (كالطنبرجية) مثلاً ، تزيين حيواناتهم بأعداد كبيرة من عقود (الخرز) خصوصا الزرقاء منها التي يُعتقد بأنها تدفع اذى العين الحاسدة ، والشرائط الجلديـة والقماشية المزخرفة (بالوَدَعْ) ، والحبـال المجدولة و (الطُرَر) الملونة والأجراس الصغيرة ، كما تعلو جبهة الدابّة أو نقرتها عـادة (ريشـة) ضخمة سـوداء تكمل المظهر التجميلي لهذا الحيوان المحظوظ ، ومثل هذا المظهر ان دلّ على شيء فانما يدل على صدق العاطفة التي تربط الانسـان البسيط بالحيوان مصدر رزقه ، وفطرية الحس التزييني عند هذا الانسان ، وعفوية عشقه لكل العناصر الجمالية المكونة للمظهر الخارجي لدابّتـه .

(الصورة عن المجلة الجغرافية الوطنية الصادرة في أمريكا — عدد كانون الاول لعام ١٩٢٦ م)



سدائل الخيل والدواب التزيينيـة المصنوعة في سوق السروجية بتكوينات جمالية غاية في الدقـّة والأناقة والاتقان .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



طوق الخرز الملون ، المستعمل في زينة الدواب ، والمصنّع حديثا على شكله القديم الذي كان عليه في العهد العثماني بدلالة الهلال والنجمة (شعار الدولة العثمانية) المعلقيّن في طرفه السفلي والمزينين بالخرز الازرق رداً للعين الحاسدة .

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

سوق الزرابلية

Souk EL - ZARABLIAH

كان امتداد هذا السوق في الأصل بين خان الباشا وسوق التبن شمالا، وجادة السنجقدار وسوق السروجية جنوبا ، وذلك قبل تنظيم المنطقة وفتح شارع الثورة فيها عام ١٩٧٤ م (أنظر مخطط الأسواق القديمة في منطقة الزرابلية) .

ورد اسم الزرابلية لأول مرة عند ابن عبد الهادي [١] بقوله : (سوق الزرابليين ولهم سوقان ، سوق بالرصيف بباب البريد ، وسوق بالعقيبة) مما يدلّ على تواجد سوقين بنفس الاسم في موضعين مختلفين ابّان العهد المملوكي ، وربما كانا أقدم من ذلك .

وذكره القساطلي [٢] عند تعداده لأسواق العهد العثماني دون أن يحدد موضعه وقال : (سوق الزرابلية احترق من عشر سنين أربع مرّات) ، وباعتبار أن القساطلي نشر مؤلفه لأول مرة عام (١٨٧٩ م) يمكننا الاستنتاج أن احتراق السوق قد تم أواخر الستينات من القرن التاسع عشر . كما أشار اليه القاسمي [٣] في حديثه عن الزرابيلي بقوله : (هو اسم لمن يصنع الزرابيل ، جمع زربول — غير عربي — وهو نعل ، أي مداس كبير ، غليظ ، يعمل ويصنع في سوق مخصوص يسمى الزرابلية ، وهذا المداس ربما يبقى في رجل الفلاح سنين عديدة ، نظرا لغلظ نعله الأسفل) .

وحدد العلاّف [٤] موقع هذا السوق حيث هو الآن وقال : (ثم تخرج منه — ويقصد من سوق العلاّفين أو التبن — الى ساحة البحرة المدورة حيث ترى منفذين ، أحدهما الى اليمين ويدعى الزرابلية وفيه تباع أحذية المزارعين وينتهي بجادة السنجقدار) .

مما تقدم نتوصّل الى القول بأن سوق الزرابلية تواجد في العهد المملوكي في موضعين يختلفان عن الموضع الذي شغله في العهد العثماني وما زال يشغله الى الآن .

(١) رسالة نزهة الرفاق في شرح حال الأسواق : يوسف بن عبد الهادي . نشر الرسالة حبيب الزيات في الخزانة الشرقية ، مجلة المشرق ، العدد ٢٧ ، ١٩٣٩ .
(٢) الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي . دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٢ ، (الطبعة ٢) ص ٩٩ .
(٣) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس ، ١٩٨٨ ، دمشق ، ص ١٦٥ .
(٤) دمشق في مطلع القرن العشرين : العلاف . دار دمشق ، ١٩٨٣ ، دمشق ، ص ١٧ .

وتبين لي عند زيارتي الميدانية لموقع هذا السوق أن معالمه القديمــة تغيرت بعد تنظيم المنطقة كما أسلفت ، اذ اختفت حوانيته القديمة وبقي منه الاسم فقط وبضع محال حديثــة البناء ما زالت تحافظ على اختصاصها في بيع الأحذية وأمامها على الرصيف عدد من الاسكافية (مصلحوا الأحذية) وعند كل واحد منهم (مـكـنـة) يخيط بواسطتها نعلاً جديداً أو ما تلف من الحذاء ، أما الزربول فقد اختفى كليا ولم يعد له وجود أو ذكر •



سوق الزرابلية من الشمال الى الجنوب في جهــة اليسار وقد أشرت اليه بالحرف (A) وفي العمق من الصورة في نفس الجهة جادة السنجقدار ، أما في جهة اليمين حيث الحرف (B) فجادة طاهر الجزائري الآخذة الى ساحة المرجة •

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)



حوانيت بيع الأحذية في سوق الزرابلية من الجنوب الى الشمال وعندها على الرصيف ينتشر الاسكافيون لاصلاح ما تلف من نعال وأحذيـة .

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

سوق التبن

Souk EL - TIBN

سـوق مكشوف قديم ، يمتد من النهاية الجنوبية لشارع الثورة شرقا الى الطرف الجنوبي لساحة سـوق الخيل غربا ، وهو امتداد لشـارع الملك فيصل الحالي نحو الغرب (أنظر مخطط الأ سواق في منطقة الزرابلية) وكذلك (جزء خارطة بلديـة دمشق المنشورة في هـذا البحث) .

وردت أول اشارة لاسم سوق التبن في العهد الأيوبي عند (ياقوت الحموي)[1] بقوله : (أن دار شداد بن عاد في سوق التبن يفتح بابها شأما الى الطريق وأنه كان يزرع له الريحان والورد وغير ذلك فوق الأعمدة بين القنطرتين قنطرة دار البطيخ وقنطرة سوق التبن) . وهذه المقولة تدلّ على أن سوق التبن قريب من دار البطيخ ، ونحن نعلم أن موقع دار البـّطيخ في منطقة (تحت القلعة) وهي المنطقة التي كانت ممتدة بين سوق الهال الحالي وسوق الخيل الى جامع يلبغا في ساحة المرجة ، فلا بدّ وأن يكون موقع سوق التبن في نفس هذه المنطقة ايضا ، ومما تقدم نتوصل الى أن هذا السوق تواجد في العهد الأيوبي وربما كان أقدم من ذلك ولكننا لا نملك الدليل على ذلك .

وكذلك ذكره ابن عبد الهادي [2] من العهد المملوكي باسم (سـوق الدجاجيين عند باب الجابية وبالحدرة) ومن المعروف أن منطقة (الحدرة) كانت في نفس منطقة سوق التبن الحالي (أنظر مخطط تجمع الاسواق في العهد المملوكي في بداية هذا المؤلف) كما أن من التسميات التي يطلقها الناس عليه الآن تسمية (سوق الدجاج) وعلى ألسنة العامّة (سوق الجاج) مما يشير الى استمراره في العهد المملوكي وبنفس الموقع أيضا .

---

(١) معجم البلدان : ياقوت الحموي . دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ج٢ ، ص ٤٦٤ .

(٢) نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق : يوسف بن عبد الهادي (تجد هذا البحث في كتاب : رسائل دمشقية . تحقيق صلاح محمد الخيمي . دار ابن كثير ، دمشق ـ بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ٨٠ ، رقم السوق ٦٤) .

وأشار اليه العلاّف [٣] أواخر العهد العثماني وسمّاه (سوق العلاّفين) نسبة لما كان يباع فيه من العلف وقال : (ومنه الى سوق العلاّفين ـ ويقصد من سوق الخيل ـ وعلى طرفيه بعض المقاهي وحوانيت بيع الحبوب والدواجن من الطيور والدجاج والأرانب والحمام وما شابهها) • وهذا الوصف ينطبق على موقع السوق الحالي كما ينطبق على تخصصه أيضا •

غير أن خارطة شرطة دمشق الصادرة بين الأعوام (١٩٢٢ ـ ١٩٢٤ م) تطلق اسم سوق التبن على موضعين : أولهما السوق الحالي ، وثانيهما على (نزلة معاوية) المجاورة والموازية لسوق البزورية من جهة الشرق •

وتبين لي عند بحثي الميداني في هذا السوق صيف ١٩٨٩ م أنـه لا زال محافظـا على اختصاصه القديم ببيع العلف والدواجن والطيور على اختلاف أنواعهـا ، لذلك يعرف على ألسنة الناس بأسماء مختلفة ، منها ما هو متوارث منذ القدم ومنها ما هو محدث نتيجة للسلع التي يبيعها ، من هذه الاسماء : (سوق التبن) وقد حدثني أحد التجار فيه ممن يتمتع بروح عالية للمرح قائلا : (اسمه سوق التبر ـ أي الذهب ـ لا سوق التبن) ، ومنها أيضا : (سوق العلاّفين) و (سوق الدجاج) و (سوق الطيور وأحيانا سوق الطير) • وقد لاحظت اثناء تجوالي فيه بدءا من ساحة سوق الخيل غربا نحو شـارع الثورة شرقا أن المشيدات الأسمنتية الحديثة بدأت بالزحف اليه لتحيله الى مكـّعبات كتلوية متباينة بحدّة ، تشكـّل بعناصرها التكوينية مظهرا من التراث والمعاصرة • فعلى نسقه الشمالي تنتشر حوانيته المشيّدة في العهد العثماني المتأخر وفيها من الغرب الى الشرق باعة العصافير المغرّدة وطيور الحب ، ثم باعة الدواجن بأنواعها ، وعند نهايته الشرقيه باعة العلف والقفف والسلال والمكانس وأطباق القشّ وما شـابه ، أما عند نسـقه الجنوبي فمكـّعبات حديثة من الأسمنت تحوي حوانيت يشغلها باعة الدجاج والبيض كما يشغلون الرصيف أمامها ، ويطلق الناس على هذا النسق من سوق التبن اسم (سوق البيض) •

(٣) دمشق في مطلع القرن العشرين : العلاّف . تحقيق علي جميل نعيسة . دار دمشق ، ١٩٨٣ ، ص ١٧ .



لوحة جمالية عفوية التكوين في ســـوق التبن أو العلاّفين ، يشكّل فيهـا (القشّ) عناصر الكتل المترابطة ببدائية عجيبة ، فالسلال والقفف والمكانس والأطباق تحيط مدخل الحانوت احاطة السوار بالمعصم وتخفي ما بداخله من (علف) متنوّع تقتـات به الطيور والحيوانات .

(بعدسة المؤلف عــام ١٩٨٩ م)



النهاية الجنوبية لشارع الثورة عند التقائه بسوق الزرابلية ، ويبدو في الصورة الملتقطة بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي ومن فوق جسر المشاة الذي يربط بين طرفي هذا الشارع :

A — مدخل سوق التبن .

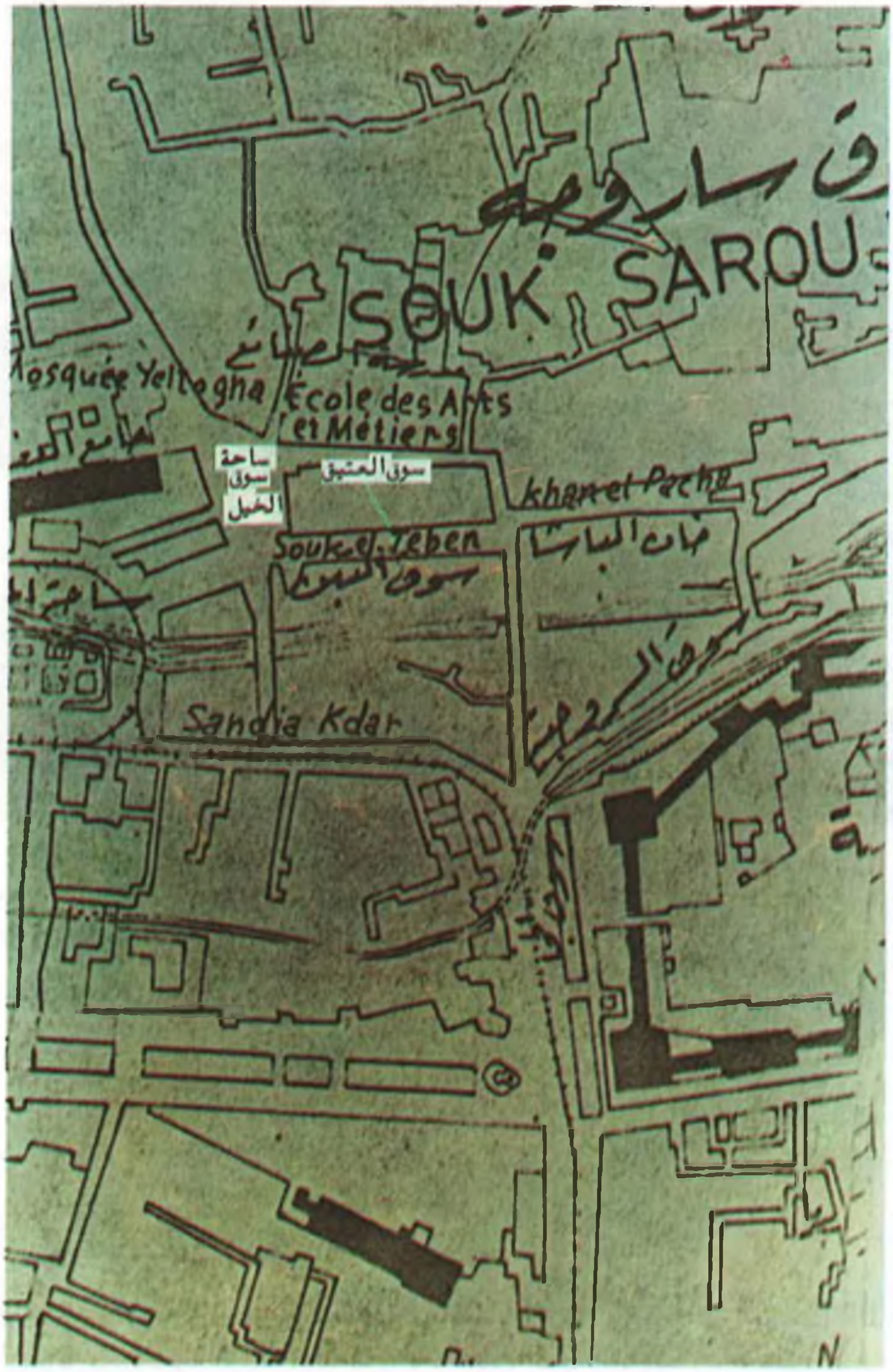
B — مدخل سوق العتيق .

C — جسر الثورة .

D — فندق السنابل .

E — الطرف الشمالي لسوق الزرابلية .

وجميع هذه الأسواق والمواقع الظاهرة في الصورة كانت خلال العهدين المملوكي والعثماني جزءاً من مساحة أوسع تمتد بين سوق الهال الحالي وساحة سوق الخيل حتى ساحة المرجة وتعرف باسم (تحت القلعة) ، وتواجدت بجوار وقرب هذا الموقع المصوّر بالذات منطقة (الحدرة) التي أشرت اليها بمخطط تجمّع الأسواق وكثافتها في العهد المملوكي عند بداية هذا المؤلف ، وفيها سوق الحدرة وسوق جسر الزلابية وسوق السكاكينين وسوق الدجاجين .



جزء من خريطة دمشق التي وضعتها بلدية دمشق سنة (١٩٢١ ـ ١٩٢٤ م) وفيها اشارة الى سوق التبن (العلاّفين) واهمال لذكر سوق العتيق وسـاحة سـوق الخيل لذلك قمت باضافتهما تسهيلا للبحث •



من حوانيت سوق التبن الممتدة عند النسق الغربي لشارع الثورة حتى سوق العتيق وفيها تبـاع السلال والمكانس والقفف ، وتبدو في أسفل الصورة براميل العلف بأنواعه المختلفة الذي سأذكره بالتفصيل بعد قليل .

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

أحمد



بعض من المواد التي تباع في سوق التبن وهي :

A — حمّص مكسّر .

B — بُوشار (نوع من الذرة يسخّن على النار ممزوجا بالزيت والملح فيكبر حجمه ويصبح هشّا يتناوله الصغار والكبار ويتلذذون بطعمه) .

C — حنطة مقشورة .

D — فول مصري .

E — فول عادي .

F — حمص حَب .

G — ترْمُس (نوع من الحبوب ينقع بالماء ويضاف اليه الملح فيتناوله الصغار والكبار كالقضامة ، ولا زلت أذكر بائع الترمس الجوّال بسلّته على المقاهي يبيع روّادها هذه المادة اللذيذة بواسطة مكيال (علبة من التنك) يسكب محتوياتها على قطعة من الورق ويرشّ فوقها قليلا من الملح ، وقد تقلّص عدد باعته الى حدّ كبير بتقلّص عدد المقاهي التي كانت منتشرة في سائر أنحاء المدينة) .

واضافة الى ما ذكرت من المواد ، هناك أنواع أخرى مثل : عَلَف الصِيصان (صغار الدجاج) ، والفرِيكَة ، وعلف الشعير ، والذرة ، والقنْبُز والبرِّيق (وتلفظ على ألسنة العوام : برّيء) وهاتان الأخيرتان طعام العصافير والطيور .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



من الديكة التي تباع في سوق التبن ، والى الخلف قفص يحوي طيور البّط ، كما تملأ هذا الحانوت أيضا أقفاص الأرانب والدجاج وديوك الحبش والحمام وكل ما يؤكل من الطير .



أقفاص العصافير المنزليـة المغرّدة التي تباع في سوق التبن كالكنار بأنواعه : الجرماني والحبشـي وغيرهما ، وطيور الحب وتعرف أيضا باسم طيور الغـرام ، والببغـاوات وما شـابه .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

ساحة سوق الخيل

Souk EL - KHAIL SQUARE

تقع هذه الساحة التي كانت في يوم من الأيام سوقا للخيل الى الشرق المجاور لساحة المرجة ، ويفتح فيها من جهة الشرق سوق العتيق ، ومن الجنوب سوق التبن على امتداد شارع الملك فيصل ، ومن الشمال زقاق جوزة الحدباء الآخذ الى سوق صاروجا (أنظر مخطط الأسواق القديمة في منطقة الزرابلية) .

ورد ذكر هذه الساحة باسم (سوق الخيل) في مؤلفات العهد المملوكي [1] التي تتحدث عن أسواق منطقة (تحت القلعة) مما يدل على تواجدها في تلك الحقبة كسوق لتجارة الخيول وربما كانت أقدم من ذلك لأن قلعة دمشق شيدت في العهد السلجوقي سنة (٤٦٩ هـ / ١٠٧٦م) ومن الطبيعي أن تنشأ حولها الأسواق ولكننا لا نملك الدليل على ذلك .

كما ذكرتها مصادر العهد العثماني[2] باسم (سوق الخيل) أيضا ، غير أن الأختفاء التدريجي لهذه التجارة في مطلع القرن العشرين نتيجة انتشار المَيْكَنَة (المكننة الآلية كالسيارات وما شابه) جعلها تفقد هذا التخصص وتتحول في تلك الحقبة الى مواقف لعربات الركوب والحمير البيض المعدة للنقل والايجار ، ومن الأسواق التي كانت تفتح فيها في ذلك العهد سوق (علي باشا) الشهير بالفواكه والحلويات وما شابه [3] .

---

(١) رسالة نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق : يوسف بن عبد الهادي ، تجد هذه الرسالة في كتاب (رسائل دمشقية) تحقيق صلاح محمد الخيمي . دار ابن كثير ، دمشق ـ بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ٧٣ ، السوق رقم ٧٢ . ايضا مفاكهة الخلان في حوادث الزمان : ابن طولون ، ج١ ، ص ١٢٦ ـ ٢٢٥ . ايضا كتاب الاعلاق الخطيرة : ابن شداد ص ١٥٩ ـ ١٦٥ .

(٢) الروضة الغناء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي . دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٩٩ . ايضا دمشق في مطلع القرن العشرين : العلاف . دار دمشق ، دمشق ١٩٨٣ ، ص ١٧ و ٢٠ و ٣٦ .

(٣) انظر كتابنا دمشق تاريخ وصور . وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨٦ ، ص ٧٧ .

وأشار اليها ولتسينجر [٤] وقسّمها الى : سوق الخيل أو سوق الحمير ، ثم سوق الجمال الى الشرق المجاور لهما ، بعد ذلك سوق الخضراوات الذي نوهت عنه في بحث سوق العتيق • وبمناسبة الحديث عن سوق الجمال تجدر الاشارة الى أن هذه التسمية تطلق أيضا على سوق مماثل تواجد في تلك الحقبة من الزمن الى الجنوب المجاور لساحة الزفتية في محلّة الميـدان الفوقاني [٥] •

أما اليوم فهي ساحة واسعة لبيع الخضر والفواكه ، وقد ورثت تخصصها هذا من سوقي (الهال وعلي باشا) ، وأقيمت فيها (سُرادِقات) [٦] على شكل مربّع كبير تغطّيه سقوف هرمية من البلاستيك البرتقالي اللون ينتشر تحته باعة الخضار والفواكه ويعرضونها بترتيب جميل ملفت للنظر ، وقد أطلق تجار السوق مؤخرا على هذه الساحة اسم (سوق علي باشا) تخليداً لاسمه وجودة معروضاته من الفواكه التي ميّزته عن سائر أسواق المدينة •

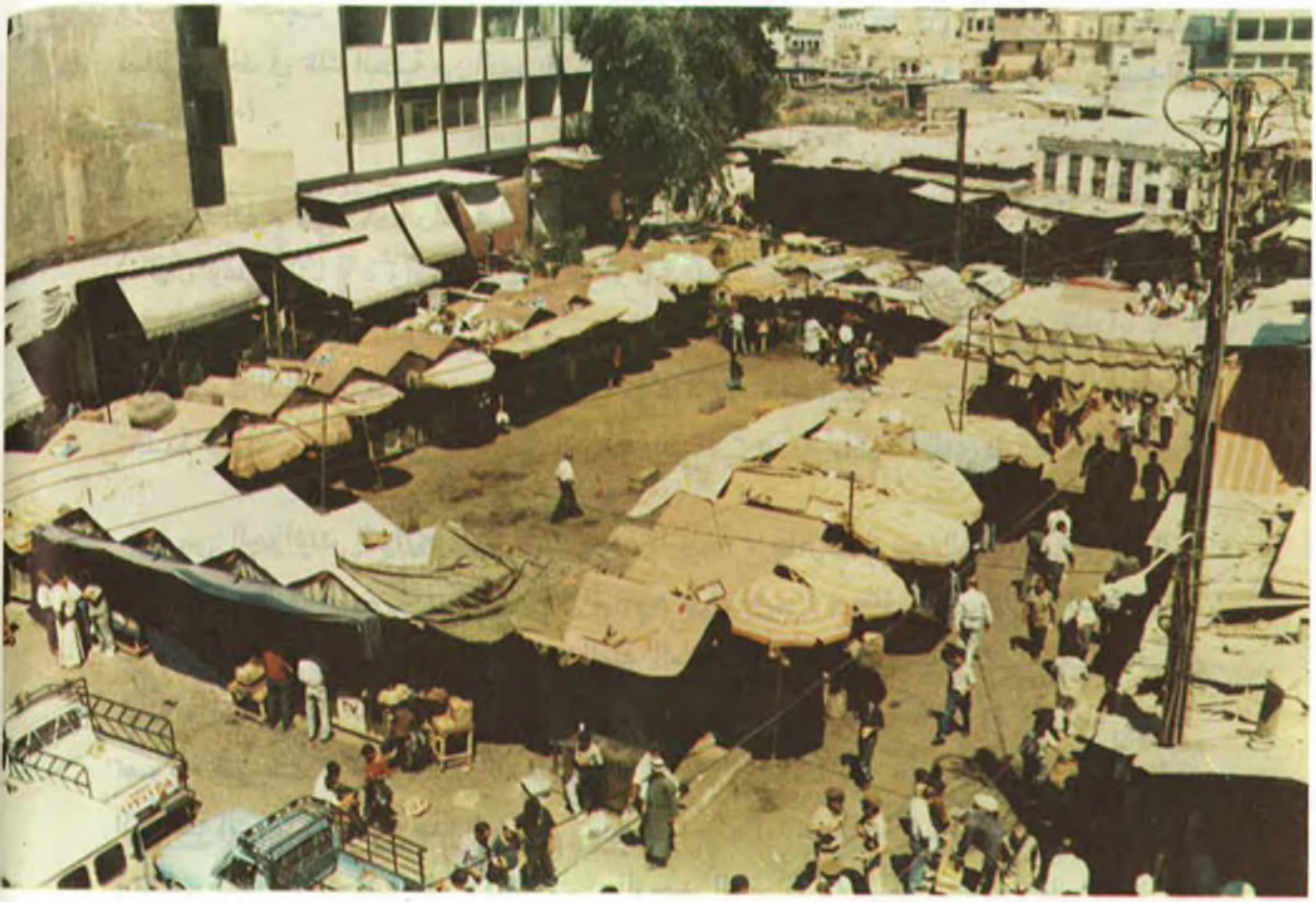
من الحوانيت التراثية المعروفة في هذه الساحة ، حانوت (برو العطّار) ويرجع الى نهايات القرن التاسع عشر ، وكان صاحبه المرحوم (ابراهيم ؟ ويطلق عليه تدليلاً اسم برو) من أشهر من مارس تجـارة العطارة في العهد العثماني المتأخر ومن هنا لُقّب بالعطّار نسبة لمهنته • اقتربت من الحانوت عند الطرف الشمالي للساحة بجوار طلعة جوزة الحدباء بغيـة تصويره ففوجئت به حانوتا لبيع الدهانات ولوازمها الى جانب قليل قليل من المواد الكيميائية الصناعية التي ما زال ورثة هذا الحانوت يتعاملون معها ، أما مواد العطارة من حشائش وأعشاب ونباتات طبيّة فقد اختفت كليا ، فقط الشيء الوحيد الباقي لافتة صغيرة قديمة تعلو الحانوت كتبت عليها عبارة : (برو العطّار) •

---

(٤) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر . تعريب قاسم طوير . دمشق ، ١٩٨٤ ، ص ٩٥ .

(٥) خارطة بلدية دمشق الصادرة خلال الاعوام (١٩٢١ – ١٩٢٤ م) .

(٦) سُرادِقات : مفردها سُرادِق وهي لفظة فارسية تعني خيمة او خيمة تنصب في صحن الدار ، وقد عرّبت الى : سراد . انظر المعجم الذهبي (فارسي – عربي) : د. محمد التونجي . دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٣٢٨ .

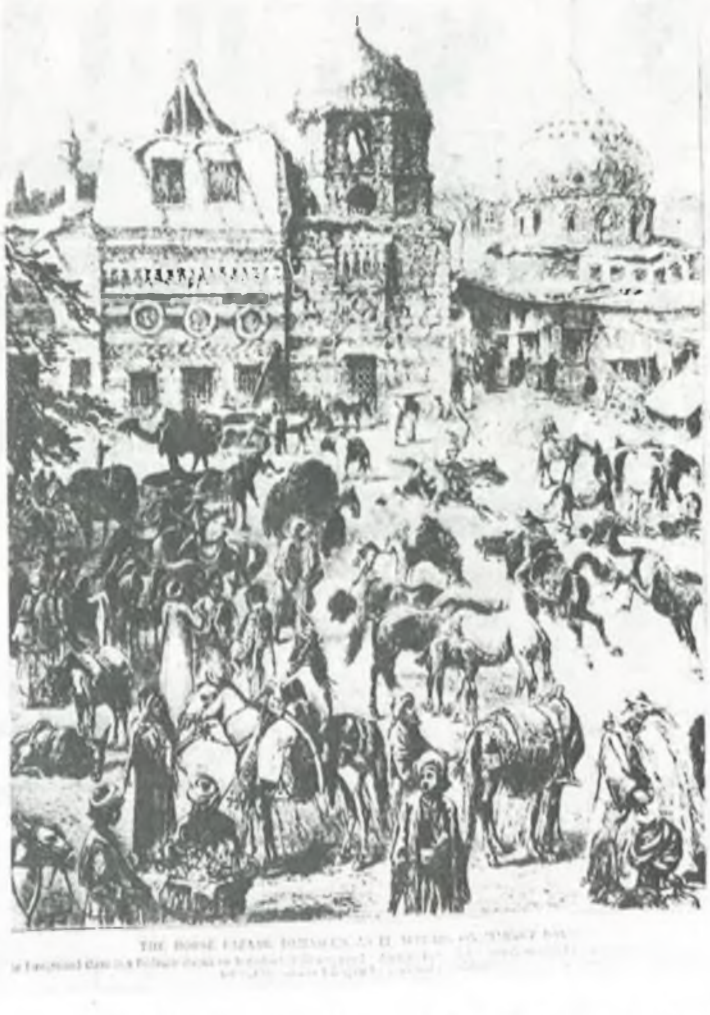


ساحة سوق الخيل من الشرق الى الغرب ، وتبدو فيها (السّرادِقات) المقامة حديثا على شكل مربّع مفرّغ الوسط أضلاعه مغطّاة بسقوف هرمية (جملونية) متكررة من البلاستيك ذي اللون البرتقالي وقد رصفت تحتها الفواكه والخضراوات بشكل جميل ومنظّم .

وهذه هي الساحة التي كانت في العهد المملوكي سوقا للخيل والحمير ، وسوقا للجمال والبقر في كل يوم جمعة [١] ، وفي العهد العثماني سوقا للخيل والحمير البيض [٢] ، أما اليوم فهي سوق للخضر والفواكه يطلق عليه الباعة أنفسهم اسم (سوق علي باشا) .

(١) رسالة نزهة الرفاق في شرح حال الأسواق : يوسف بن عبد الهادي . نشرها حبيب الزيّات في الخزانة الشرقية من مجلة المشرق ، العدد ٣٧ ، ص ٢٨ ، سنة ١٩٣٩ م . وتجدها ايضا في كتاب رسائل دمشقية : تحقيق صلاح محمد الخيمي . دار ابن كثير ، دمشق ـ بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ٧٢ .

(٢) دمشق في مطلع القرن العشرين : العلاّف . دار دمشق ، دمشق ، ١٩٨٣ ، ص ١٨ .



ساحة سوق الخيل بريشة فنان أوروبي زار دمشق في القرن التاسع عشر وقـد سجّل تحت الصورة عبـارة : (بازار الخيل بدمشق كما يبدو أيام اقامة السوق).



ساحة سوق الخيل من الجنوب الى الشمال حوالي العشرينات أو الثلاثينات من هــذا القرن العشرين وقد اختفت منها الخيول والحمير وتجمّع فيها الناس لسبب مجهول ، ويبــدو في الصورة :

A — طلعة جوزة الحدباء الآخذة الى سوق صاروجا •

B — مئذنة جامع الورد أو جامع برسباي الذي شيّده الامــير برسباي الناصري نائب طرابلس وحلب في العهد المملوكي سنة (٨٣٠ هـ / ١٤٢٦ م) [1] في حارة الورد من سوق صاروجا •

C — المدخل الغربي لسوق العتيق •

D — حانوت (برو الخـّطـار) •

(١) انظر كتابنا دمشق تاريخ وصور . وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨٦ ، ص ٨٠ .



النسق الغربي للسرادقات المقامة في ساحة سوق الخيل وتحت ظلالها يتفيأ باعة الخضر والفواكه وبضاعتهم المنسقة باسلوب بديع •

(بعدسة المؤلف من الشرق الى الغرب صيف عام ١٩٨٩ م)



لا زالت لافتة (برو العطار) الأصلية القديمة تعلو دكانه في ساحة سوق الخيل صامدة بوجه عوامل الطبيعة والزمن منذ نهايات القرن التاسع عشر والى اليوم رغم اهترائها •

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



بعض فاكهة الشام التي أشاد (البدري) [١] بطعمها وجودتها ، وتغنّى الشعراء بحسنها ومحاسنها ، وطرب الغريب والقريب لمذاقها ومنظرها ، تتجمّع بِبِدعَة تحت سرادقات ساحة سوق الخيل لتعيد ذكريات سوق علي باشا في الأربعينات وما قبلها . من هذه الفواكه الصيفية : الخوخ والأجاص والعنب بأنواعه والدرّاق والتفاح والسفرجل والبطيخ ، ومن الحمضيات : الليمون والرمّان والبندورة وغير ذلك كثير .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

(١) نزهة الانام في محاسن الشام : أبو البقاء عبد الله البدري . دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٠ .





لوحتان لخضرة الشام وتتاجها الزراعي في ساحة سوق الخيل كالفليفلة والباذنجان والجزر والخس والفجل والنعنع والبقدونس والكزبرة والبقلة واللفت والبطاطا وغيرها من المنتجات الأخرى .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)

سوق علي باشا

Souk ALI - PASHA

يقع هذا السوق في منطقة (تحت القلعة) ويمتد بين ساحة المرجة وساحة سوق الخيل ، بناه (علي باشا المورهلي) أحد وجهاء دمشق سنة (١٢٩٤ هـ / ١٨٧٧ م) أيام الوالي عمر فوزي باشا [١] في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، كما بنى فوقه فندقا صغيرا مما جعله سوقا مسقوفا ، وجدده سنة (١٢٩٦ هـ / ١٨٧٩ م) [٢] ابّان الولاية الثانية لاحمد حمدي باشا . هدم في النصف الثاني من اربعينات هذا القرن أو مطلع خمسيناته .

تخصص السوق ببيع اجود أنواع الفواكه الطازجة والمجففة ، ومن الطريف أن بعضاً منها كانت تؤجّر الى دور اللهو (الكاباريهات) في المساء وتعاد الى السوق في الصباح دون المساس بها على اعتبار انها للمنظر فقط (بالعامية : للصبابة) . كما تعرّض الى العديد من طوفانات بردى وكانت المياه تغمره وتتلف محتوياته وممتكاته وما جاور من دور ومحال تجارية واحيـاء قريبـة .

(١) منتخبات التواريخ لدمشق : الحصني ، ص ٢٧١ .

(٢) الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية : عز الدين عربي كاتبي الصيّادي . دمشق ، ص ٣٢ .



ساحة سوق الخيل من الشمال الى الجنوب في حوالي الثلاثينات من هذا القرن العشرين بعد أن تحولت الى مواقف لعربات الركوب ، وللحمير البيض التي كانت تستعمل للنقل والأجرة ، ويشاهد في مركز الصورة مدخل سوق علي باشا الآخذ الى ساحة المرجة وقد أشرت اليه بسهم .

سوق العتيق

Souk EL - ATEEK

يمتد سوق العتيق بين النهاية الجنوبية لشارع الثورة وساحة سوق الخيل ، ويوازي في استقامته سوق التبن ويقع الى الشمال المجاور له (أنظر مخطط الأسواق القديمة في منطقة الزرابلية ، وكذلك جزء خارطة بلدية دمشق في بحث سوق التبن) .

لم يرد ذكر هذا السوق في مؤلفات العهد المملوكي ، ولكن هذا الأمر لا ينفي وجوده في ذلك العهد باسم آخر سيّما وأن عددا من الأسواق كانت عند موقعه الحالي (كسوق السكاكينيين والدجاجيين والقربيين وسوق جسر الزلابية وسوق الحدرة وغيرها) ومن المؤسف ألا تتوفر لدينا معلومات مفصّلة عنها ، والشيء الوحيد الذي يدعم هذه الفرضية هو وجود سوق التبن المعروف منذ العهد الأيوبي الى اليوم بجواره كبقية الأسواق التي كانت في هذا الموضع ، اضافة الى أن اسم (سوق العتيق) الذي ظهر لأول مرة في العهد العثماني يشير الى كونه سوقا قديما أو مغرقا في القدم لكننا لا نملك الدليل على ذلك سوى الافتراض والتخمين .

وكانت أول اشارة لاسم هذا السوق قد جاءت من العلاّف [1] بقوله : (والمنفذ الثاني – ويقصد ساحة البحرة المدّورة – ينتهي الى سوق العتيق وفيه أنواع اللحوم والخضر ، ويعود لينتهي في سوق الخيل ويتصل بجادة جوزة الحدباء الى سوق ساروجة) . وهذه المقولة تنطبق على موقع السوق حاليا .

كما ذكر القساطلي[2] وجود سوق الخضر دون أن يحدد موقعه وقال : (سوق الخضروية تباع فيها الخضر والفواكه بالجملة) ، وعند الرجوع الى ولتسينجر [3] ظهر أن موقع هذا السوق الذي سمّاه (سوق الخضراوات) كان في الطرف الشرقي لسوق العتيق الحالي وبجواره مسجد سوق العتيق من جهة الغرب بينه وبين سوق الجمال .

---

(١) دمشق في مطلع القرن العشرين : العلاّف . دار دمشق ، دمشق ، ١٩٨٣ ، ص ١٨ .

(٢) الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي . دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٩٩ .

(٣) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر . تعريب قاسم طوير . دمشق ، ١٩٨٤ ، ص ٩٥ . والخارطة المرفقة بالكتاب (المربع C 2 رقم ٩) .

وتبيّن لي عند زيارتي الميدانية لسوق العتيق صيف عام ١٩٨٩ م أنه سوق قصير ضيّق ينزل اليه ببضع درجات من شارع الثورة ، وما أن هبطتها حتى استقبلتني رائحة اللحم والسمك و (المقادم والرؤوس) المنبعثة من الحوانيت المنتشرة على طرفيه ، والتي تظللها (خامات) أقامها أصحاب هذه الحوانيت حماية لبضاعتهم من أشعة الشمس المحرقة في شهر آب وهو الشهر الذي قمت فيه بدراسة وتصوير هذا السوق الذي يذكّرني بأسواق اللحم في مدينة حلب واستنبول وأثينا ، لذلك يسمّيه الناس أيضا عندنا (سوق اللحم وأحيانا سوق السمك)، أما الخضار التي ذكرها العلاّف فلم يعد لها وجود فيه وانتقلت تجارتها الى ساحة سوق الخيل المجاورة له كما ذكرت عند بحث هذه الساحة .

مما تقدّم يمكننا القول بأن سوق العتيق هو من الأسواق التخصصية القليلة الباقية في دمشق لاحتفاظه بنوعية السلعة التي تباع فيه .



مدخل سوق العتيق أو سوق اللحم الذي ينزل اليه ببضع درجات من شـارع الثورة الى الشمال القريب من سوق التبن وفي العمق من الصورة نهاية هذا السـوق الآخذة الى ساحة سوق الخيل • وتبدو في جهة اليسار من المقدّمة منضدة حديدية فرشت فوقها (المقادم أو الكوارع ورؤوس الغنم التي تعرف على ألسنة الناس باسم : النيفا) بشكل ملفت للنظر ينمّ عن ذوق وحسّ جمالي عند بائعها ، أما في جهة اليمين من الزاوية السفلية فمنضدة أخرى تسترخي فوقها (السجقّات) التي يسـمّيها الناس (القَشّة) وهي مجموعة الجهاز الهضمي لدى الغنم من أمعاء دقيقة وغليظة ومعدة •

(بعدسة المؤلف من الشرق الى الغرب صيف عـام ١٩٨٩ م)



سوق العتيق من الغرب الى الشرق وتتدلّى في أقصى اليمين من مقدمة الصورة رئات الغنم التي يسمّيها الناس (الفشّة) ـ وهي غير القشّة التي تعني السجقّات ـ وبالقرب منها الكبدة المعروفة بين الناس باسم (السودا) وتحتهما على المنضدة الحديدية (بيض الغنم وبقية الأجهزة الباطنة لهذه الحيوانات من طحال وكلىً وما شابه) . أما في جهة اليسار فالذبائح والسجقّات .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



من مشاهد الحياة اليومية في سوق العتيق بائع المقادم والرؤوس والقشة ومحاولة للظهور في الصورة رغم أنف المصور .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



بعض أنواع السمك التي تباع في سوق العتيق وقد سجّيت فوق ألواح الثلج منعاً لتفسّخها بفعل الحرارة وهي : بوري ، قطان ، غريبة ، فرّيده (فرّيدى) ، دهبان ، سلّور ، سفرنه ، مشط ، كارب ، مراوى ، بقر ، الى جانب أنواع أخرى من الحيوانات البحرية .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)

سوق المحايرية

Souk EL - MAHA'IRIAH

كان موقع هذا السوق على امتداد الرصيف الحالي الواصل بين سوق السروجية وسوق الحدادين عند شارع الملك فيصل ، قبالة النهاية الجنوبية لسوق الهال (أنظر مخطط الأسواق القديمة في منطقة الزرابلية ، ومخطط سوقي الحميدية والعصرونية في بداية هذا المؤلف) .

ورد ذكر سوق المحايرية عند ابن عبد الهادي[1] بقوله : (كان لهم سوقان ، أحدهما عند الإخصاصيين ثم بطل ، والثاني في القشّاشين وهو الى الآن) مما يشير الى تواجده في العهد المملوكي وربما كان أقدم من ذلك ، وكان سوق الاخصاصيين في موضع الدرويشية الحالية ، بينما كان القشّاشون في منطقة تحت القلعة عند سوق المحايرية الحالي الذي حددت موقعه في بداية هذا البحث .

كذلك ذكره القساطلي [2] بقوله : (سوق المحايرية به يعملون المحاير والصناديق البسيطة للفواكه) ، ووصف العلاّف [3] موقع هذا السوق عند حديثه عن أسواق دمشق فقال : (ومنه تصل — ويقصد من خان الباشا — الى سوق المحايرية وهو خاصّ بعمل المحارات والصناديق والخيم) الأمر الذي يدل على استمراره في العهد العثماني .

وعرّف القاسمي [4] صنعة (المحايري) بقوله (هو من يصنع المحاير وهي من الخشب على صفة السرير ، تعمل محامل للحجاج حين سفرهم للحجاز ، وتسمى الواحدة محارة وهي شقّتان تحمل على ظهر الجمل ، كل شقّة بطرف والمحايري حرفة مهمّة لها سوق مخصوص بدمشق يعرف بالمحايرية ، وهم يصنعون أيضا غير المحاير والشباري ، كسحاحير من خشب مخصوصة لتجار المشمش المجفف المعروف بالنقوع ، والقمردين ، والعنب وغيرها) .

كما أشارت خارطة شرطة دمشق الصادرة خلال الأعوام (١٩٢٢ — ١٩٢٤ م) الى موقع سوق المحايرية وهو يوافق تماما موقعه الحالي .

---

(١) رسالة نزهة الرفاق في شرح حال الأسواق : يوسف بن عبد الهادي . نشرها حبيب الزيات في الخزانة الشرقية من مجلة المشرق ، العدد ٣٧ ، عام ١٩٣٩ ، السوق رقم (١٥٠) .

(٢) الروضة الغناء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي . دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٩٩ .

(٣) دمشق في مطلع القرن العشرين : العلاف . دار دمشق ، دمشق ، ١٩٨٣ ، ص ١٨ .

(٤) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٨ ، ص ٤٢٠ .

وتبين لي عند زيارتي الميدانية لهذا الموضع أن المحال التجارية التي كانت تشغله في العهد العثماني المتأخر لا زالت في مواضعها رغم تنظيم شارع الملك فيصل قبالتها ، فقط الشيء الذي تغيّر هو نوعية الاختصاص الذي كان السوق يمارسه ، اذ اختفت منه صناعة المحاير والسحاحير الخشبية ، وحلّت محلّها تجارة الصابون والمنظفات وما شابه ، كما انتشر أمامه على الرصيف باعة الفاكهة والخضرة وهم يشكّلون امتدادا لسوق الهال قبالته ، وعند هذا الرصيف بجوار (مسجد الدلبة) تواجدت أعظم شجرة (دلب) في دمشق، وسأتحدث عنها بالتفصيل في الصفحات القادمة .



سوق المحايرية في شارع الملك فيصل وقد أشرت اليه بالحرف (A) ، من الشمال الى الجنوب ، وتشاهد فيه حوانيت باعة الصابون والمنظفات الكيميائية المختلفة ، كما ينتشر أمامه على طول الرصيف باعة الخضار والفواكه كامتداد لسوق الهال الذي يقع قبالته ، وفي أقصى يمين الصورة مدخل سوق السروجية و أشرت اليه بالحرف (B) ، وقد واجهتني عند تصوير هذا السوق مشكلة السيارات التي كانت تشكّل فيه خطا مستمرا لا ينقطع لحظة وأنا أنتظر تلك اللحظة تحت شمس آب المحرقة فلم أفلح لأن الزاوية التي أريد التقاطه منها تقع عند الرصيف المقابل والا لما كانت الصورة شمولية .

(بعدسة المؤلف صيف عام ١٩٨٩ م)



مسجد (الدلبة) في سوق المحايرية حيث تواجـدت الى جواره شـجرة الدلب الضخمة المعمّرة .

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)



شجرة الدلب (١) الضخمة التي تحدّث عنها بورتر (٢) وقال أن محيطها يبلغ (٤٠) قدما ، كما ذكرها العلاّف (٣) في حديثه عن سوق المحايرية بقوله : (وفيه أعظم شجرة دلب في دمشق اذ كانت مجوّفة يوضع فيها مختلف الصناديق على شكل دكّان ومساحة تجويفها ثلاثة أمتار مربّعة موزّعة الفروع على الجوانب ، لكل فرع منها دائرة اسطوانية تزيد على الأربعين سنتيتر مربّعة ، وقد أزالها الأتراك قبل النفير العام الأول بقليل والى جانبها قطعة من الحجر الأسود بشكل قدح مدور يبلغ طول محيطها سبعة أمتار) . كذلك حدد ولتسينجر (٤) موقعها عند سوق المحايرية ، لكنه خلافاً للعلاف ذكر أنها اجتثت من مكانها عام (١٩١٨ م) . وكان موقع هذه الشجرة بجوار مسجد (الدلبة) الذي نسبت تسميته اليها ، وهو مسجد صغير جددت بوابته سنة (١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م) (٥) . وكان يطلق على شجرة الدلب هذه اسم (شجرة المحايرية) نسبة للسوق القائم عندها (٦) .

---

(١) الدلب : شجر كبير من فصيلة الدلبيّات يعيش على ضفاف الانهر ومجاري الماء ويزرع على جوانب الطريق والساحات العامة ، وقد يبلغ ارتفاعه (٣٠) مترا وهو معروف في اوروبا الجنوبية وآسيا الغربية (انظر معجم المنجد في اللغة والاعلام – قسم اللغة – كلمة دلب) .(٢)

(٢) Five years in Damascus : Porter Part II P. 49

(٣) دمشق في مطلع القرن العشرين : العلاّف . دار دمشق ، دمشق ، ١٩٨٣ ، ص ١٨ .

(٤) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر . تعريب قاسم طوير . دمشق ، ١٩٨٤ ، ص ١٠٠ .

(٥) ثمار المقاصد في ذكر المساجد : يوسف بن عبد الهادي . مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ٢١٧ ، رقم المسجد (١٠٨) .

(٦) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر . ص ١٠٠ ، الحاشية رقم ٤ .

ســـوق الهـــال

Souk EL - HALLE

كان هذا السوق الواسع المكشوف متمداً بين سوق صاروجا شمالا وشارع الملك فيصل جنوبا وذلك قبل اعمار سوق الهال الجديد في منطقـة الزبلطاني حوالي الثمانينات وانتقالـه رسمياً اليه (أنظر مخطط الأسواق القديمة في منطقة الزرابلية) .

أنشيء سوق الهال كسوق تخصصي للخضر والفواكه ضمن حديقة (سامي باشا مردم بك) التي تواجدت بين خان الباشا وجادة القبّارين وهدم لذلك مسجد (لالا مصطفى باشا) [1] ثم عمّر من جديـد في شارع بغـداد ، وقد تمّ انشاء السوق خلال السنوات (١٩٢٨ ــ ١٩٣٠ م)[2] وأطلقت عليه التسمية الفرنسية (Halle) تشبيها له بالسوق المتواجد في مدينة باريز الذي يحمل نفس الاسم والتخصص .

وعلى الرغم من انتقال سوق الهال رسميا الى موضعه الجديـد في (الزبلطـاني) كما أسلفت ، ظلّ الناس يطلقون على هذا الموضع اسم (ســوق الهال) ، وظلّ بائعو الخضر والفاكهة ينتشرون في طرفه الجنوبي الآخذ الى شارع الملك فيصل ، وعلى الرصيف المقابل عند مدخل سوق السروجية ، وخلافا لبقية أسواقدمشق التي يبدأ العمل فيها بين التاسعة والعاشرة صباحاً ، يبدأ العمل في سوق الهال منذ الفجر وحتى الظهيرة ، وقد يستمرّ البعض من بائعي الفاكهة فيه الى المساء .

---

(١) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر . تعريب قاسم طوير . دمشق ، ١٩٨٤ ، ص ٩٦ والحاشية ٤ .
ايضا خارطة شرطة دمشق الصادرة خلال الاعوام (١٩٢٢ ــ ١٩٢٤ م) .

(٢) كتاب الحكومة السورية في ثلاث سنوات (١٩٢٨ ــ ١٩٢٩ ــ ١٩٣٠ م) ص ٤٨ .



البداية الجنوبية لسوق الهال من شارع الملك فيصل باتجاه الشمال ، وفي عمق الصورة نهايته الشمالية الآخذة الى جادة سوق صاروجا وفي بدايتها من جهة اليمين جامع المؤيدية .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



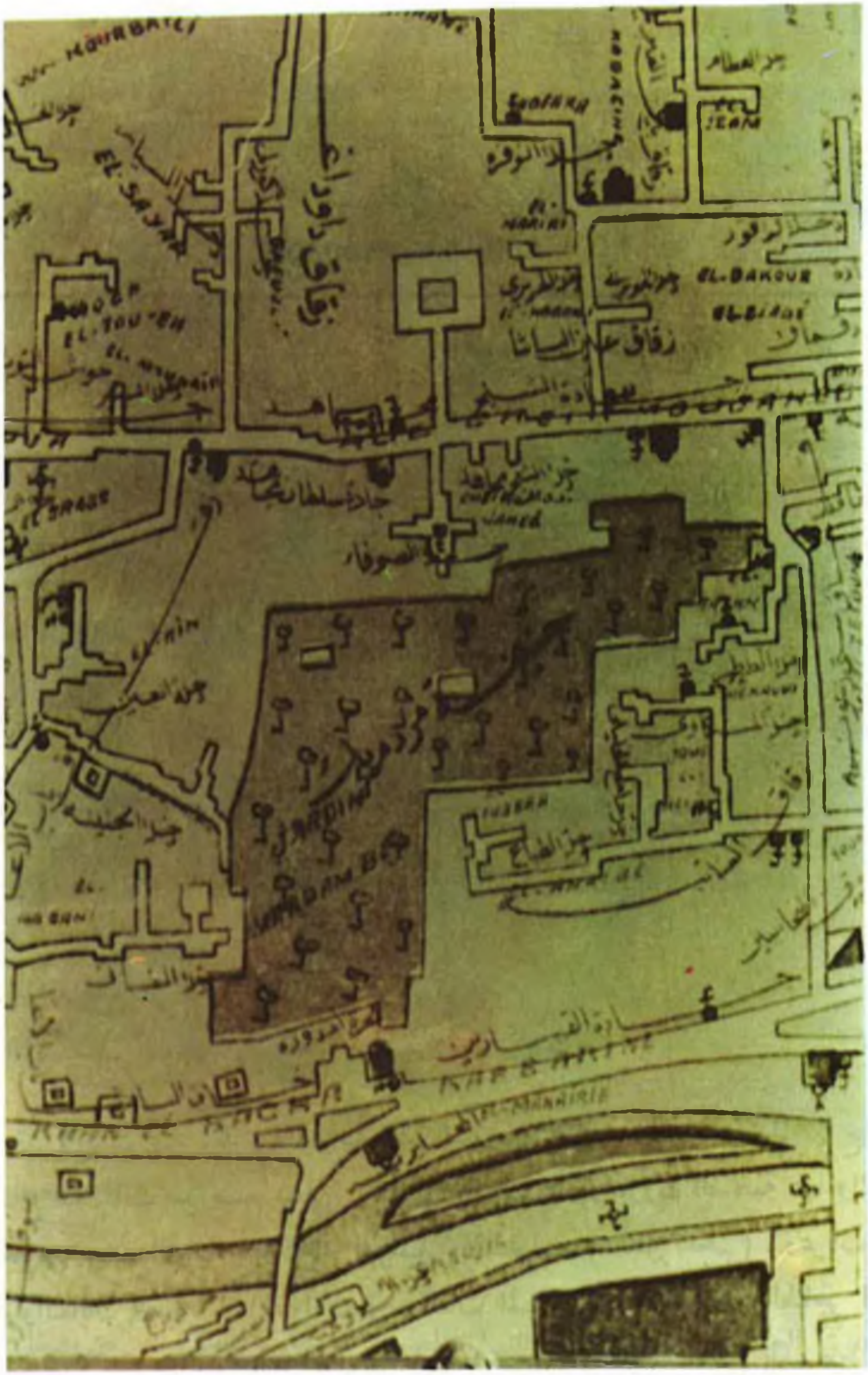
من محال بيع الفواكه في سوق الهال حوالي الأربعينات من هذا القرن العشـرين



a) Mo. Muṣṭafa Pascha (D. 3,2) v. J. 971 h Gesamtansicht von S.; links Gemäuer vom Palast des Stadtpräfekten.

مسجد (لالا مصطفى باشا) الذي هدم ودرست حديقة (سامي باشا مردم بك) المحيطة به لانشـاء سـوق الهال في موضعهما •

(الصورة من كتاب ولتسينجر : الآثار الاسـلامية في مدينـة دمشـق ـ النسخة الألمانية ـ المطبوعة في برلين عام ١٩٢٤ م)



جزء من خارطة شرطة دمشق الصادرة خلال الأعوام (١٩٢٢ ــ ١٩٢٤ م) وتبدو فيها (جنينة مردم بك) التي شيّد في موضعها سوق الهال ، كما يبدو في جزئها الجنوبي موضع (بحرة المدورة) وقبالتها سوق السروجية ، ويفصل بينهما ــ على امتداد شـارع الملك فيصل الحالي ــ خان الباشا وجادّة القبارين .

سوق الحدّادين

Souk EL - HADDADIN

يشغل هذا السوق النسق الجنوبي من شارع الملك فيصل في الجزء الذي كان يعرف باسم (جادة القبارين) قبل تنظيم الشارع ، ويمتـد بين مدخلي سوق السروجية وسـوق المناخلية (أنظر مخطط الأسواق القديمة في منطقة الزرابليـة ومخطط سوقي الحميديـة والعصرونيـة) .

ورد اسم (سوق الحدّادين) لأول مرة عند يوسف بن عبد الهادي[1] الذي حدّد موقعه في (باب الجابية وفي الشاغور) ، كما ورد عنـد ابن طولون [2] (خارج بـاب الجابيـة) ، وذكره النعيمي[3] دون ذكر لموقعه مما يدلّ على تواجده في العهد المملوكي ولكن في موضع مغاير للمكان الذي يشغله الآن .

أما في العهد العثماني فقد أشار اليه العلاّف [4] في سياق حديثه عن (قبضايات) ذلك الزمان وذكر وقوعه قبيل مدخل جادة المناخ ، وهذا الموضع هو المكان الذي يشغله الآن ومن غير المعروف متى تمّ انتقاله اليه ، ولكن من الثابت أنه تواجد فيه خلال العهد العثماني وأيام الانتـداب الفرنسي رغم اعادة تنظيم المنطقة وفتح شارع الملك فيصل في تلك الأيام .

وقد لاحظت عند زيارتي الميدانية لهذا السوق صيف عام (١٩٨٩ م) أن جميع السلع التي تباع فيه كانت من صنع محليّ ، فهناك حاويات الماء والمازوت الضخمة منها والصغيرة المصنّعة من معدن التوتياء ، وكذلك البراميل والسطول و (مناقل الفحم) ، وعربات نقـل الأتربة والنفايات اليدوية و (قازانات) حمّامات المـازوت والحطب ، والطناجر الكبيرة المستعملة في (سلق) الحمّص والفول وما شابه وتعرف على ألسنة الناس باسـم (الحلل

(١) نزهة الرفاق في شرح حال الأسواق : يوسف بن عبد الهادي ، ايضا ثمار المقاصد في ذكر المسـاجد : نفس المؤلف ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ١٠٠ ـ ٢١٤ ـ ٢٦٤ .

(٢) مفاكهة الخلاّن في حوادث الزمان : ابن طولون . القاهرة ، ١٩٦٢ ، ج١ ، ص ١٥٦ و ٣٧١ .

(٣) الدارس في تاريخ المدارس : النعيمي . ج٢ ، ص ٣٨٧ .

(٤) دمشق في مطلق القرن العشرين : العلاّف . دار دمشق ، دمشق ، ١٩٨٣ ، ص ٢٥٩ .

ومفردها حلّه) ، والأدوات الزراعية البسيطة وأدوات البنّائين ولوزام اللحّامين من (كلاليب) لتعليق ذبائحهم (والاسم المتعارف عليه للذبيحة عندهم هو الدابّة) وبعض أدوات الروافع الصغيرة كبَكَرات الآبار والسلاسل الحديدية ، وقساطل المدافيء التي يطلق عليها الناس اسم (بواري الصوبيا) ومَحَامِص البنّ التي تستعمل في الأرياف لتحضير القهوة العربية وغير ذلك من الأدوات التي يحتاجها العمّال العاديّون .



سوق الحدّادين الذي يشغل النسق الجنوبي من شارع الملك فيصل بين مدخلي سوق السروجية وسوق المناخلية في المنطقة التي كانت تعرف باسم (جادة القبارين) قبل أن ينظّم هذا الشارع .

(بعدسة المؤلف من الغرب الى الشرق صيف عام ١٩٨٩ م)



بعض حوانيت ســوق الحدّادين التي تتجر بالمصنوعات المعدنية المحليّة ومن هــذه المصنوعات :

A — حاويات الماء والمازوت (الخزّانات) بحجومها المختلفة (ســعة ٢ طن ، ١ طن ، ½ طن) وغير ذلك .

B — عربات نقل الأتربة والنفايات اليدويــة .

C — قازان حمّام (لفظة تركية أصلها : قزغان وقازغان)[١] وهو الوعــاء الذي يغلى فيه الماء .

D — مناقل الفحم لشيّ اللحوم بأنواعها .

E — طناجر (مفردها طنجرة وهي لفظة تركية أصلها : تنجرة)[٢] وتعني الأوعية التي يطبخ فيها الطعام .

(بعدسة المؤلف من الغرب الى الشرق صيف عــام ١٩٨٩ م)

---

(١) انظر قاموس (كتاب معاني لهجة) : جيمس رد حاوص . مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٧ .
(٢) المصــدر الســابق .



حانوت حدّاد في سوق الحدّادين وفيه تصنع الأدوات التالية يدوياً :

A — محمصة بنّ لتحضـير القهوة العربية في الأرياف وعند البدو .

B — جنازير حديديـة متنوّعة (وهي لفظـة فارسية محرّفة مفردهـا : زنجير وتعني سلسلة)[1] .

C — شناكل أو كلاليب لتعليق الذبائح : لفظة فارسية عامّية مفردهـا : شنكل)[2] وبالعربية : خطّاف .

D — رفش سقاية (يشبه المسحاة أو مجرفة التراب ويستعمل في تحويل مجرى الماء مـن ساقية الى أخرى) .

E — مَرّ سقاية (وهو المسحاة أو مجرفة التراب) .

F — بكرة بئر لرفع الدلو المملوء بالماء من البئر أو إنزاله فيه .

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

---

(١) المعجم الذهبي (فارسي — عربي) : د. محمد التونجي . دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٩ .
(٢) المصـدر السـابق .

حانوت حدّاد في سوق الحدّادين يكتظّ بالمصنوعات المحليّة المعروضة في كـل جزء ممكن من أجزائه الفارغـة ، من الداخل ومن الخارج ، وهذه المصنوعات المعدنية هي :

A — براميل للغسيل والاستنبات •

B — قساطل للمدافيء (وتعرف بالعامية باسم : بواري الصوبيا وأحياناً : الصوبا) •

C — شـَعـّالة فحم (لاشعال الفحم وتحويله الى جمر) •

D — مـِنـْقـَل فحم لشيّ اللحوم والفراريج •

E — كـْريـْك أو مـَجـْرُود (وهما لفظتان دخيلتان عـلى العربية وتعنيـان : مجرفة النفايات) •

F — لـَكـَن غسيل (وهي لفظة عامية فارسية وتركية تعني : طبق الغسيل أو الوعـاء الواسع الضخم لغسل الثياب)[1] •

G — سـَطـْل (وهي لفظة دخيلة على العربية) ويستعمل السطل لنقل الماء والسوائل وما شابه •

H — مـَجـْمـَرَة (لحمـل الجمر الى مدخني الأركيلة أو النارجيلة) •

---

(١) انظر المعجم الذهبي (فارسي — عربي) : د. محمد التونجي . دار العلـم للملايين ، بـيروت ، ١٩٦٩ ، ايضا معجم (كتاب معاني لهجة ، تركي — انكليزي) : جيمس رد حاوص ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٧ .



(بعدسة المؤلف عــام ١٩٨٩ م)

سوق النحّاسين

Souk EL - NAHHASIN

يتألف هذا السوق من سوقين ضيّقين مسقوفين متجاورين ومتوازيين يمتحان في شارع الملك فيصل قبالة سوق المناخلية والى الغرب قليلاً ، ويتعامدان مع هذا الشارع باتجاه جنوبي شمالي (أنظر مخطط أسواق منطقة الزرابلية أو سوقي الحميدية والمصرونية) •

ورد ذكر سوق النحّاسين عند ابن عبد الهادي[١] وقد أشار الى وجود سوقين : الأول يباع فيه النحاس تحت القلعة ، والثاني يصنع فيه بباب الفراديس • كما ذكره ابن طولون[٢] وحدد موقعه بتحت القلعة ولم يذكر الموقع الآخر ، وأشار اليه النعيمي[٣] أيضاً • يستدلّ مما تقدّم على أن هذا السوق كان موجوداً في العهد المملوكي في موضعين : تحت القلعة وباب الفراديس المعروف باسم باب العمارة ، وربما كان قبل ذلك في مواضع أخرى لم تصلنا فصناعة النحاس من أقدم الصناعات التي عرفها الانسان •

وفي المصادر التي تتحدث عن الأسواق في العهد العثماني أغفل القساطلي[٤] ذكره بينما أورده القاسمي[٥] دون أن يحدد موقعه ، أما خارطة شرطة دمشق الصادرة خلال الأعوام (١٩٢٢ ــ ١٩٢٤ م) فقد أكدّت تواجده في نفس الموضع الذي يشغله الآن وبنفس التسمية، والطريف في الأمر أن هذه الخارطة أشارت الى وجود نزل (فندق) ضمن هذا السوق من جهته الجنوبية الآخذة الى شارع الملك فيصل، وقد أكّد لي المسنّون من أهل السوق تواجد مثل هذا الفندق[٦] • والأطرف من ذلك كيف كان نزلاؤه يتحمّلون سماع (كونشرتو النحاسيات) التي كانت تعزفها المطارق فيه طوال النهار •

---

(١) نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق : يوسف بن عبد الهادي ، تجدها في رسائل دمشقية : تحقيق صلاح محمد الخيمي . دار ابن كثير ، دمشق ـ بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ٨١ ، السوق رقم ٦٨ .

(٢) مفاكهة الخلاّن في حوادث الزمان : ابن طولون ، ج١ ، ص ٢٤١ .

(٣) الدارس في تاريخ المدارس : عبد القادر النعيمي . ج٢ ، ص ٨٧ ـ ٢٨٦ ـ ٤٠١ ـ ٤٠٦ .

(٤) الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي . دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٩٧ .

(٥) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي . دار طلاس ، ١٩٨٨ ، ص ٤٧٩ .

(٦) في رواية المسنّين من اهل السوق انه كان يدعى (فندق إزمير) وانه كان قائماً خلال النصف الأول من هذا القرن .

ما أن تدخل سوق النحّاسين حتى تصمّ أذنيك أصوات قصف المقارع الخشبية منها والمعدنية فوق صفائح النحاس بايقاع متواتر يتحول اذا أطلت البقاء فيه الى طنين مستمرّ. فالحوانيت متقابلة متقاربة مفتوحة دونما واجهات تخفف الصدى .

ولقد قمت بالتجوال في هذا السوق مرتين ، الأولى كانت عام ١٩٨٥ م فشاهدت ما كان يصنع فيه من أدوات المطبخ النحاسية كالأطباق والمعاجن والحلل الكبيرة وفي طرفه الشمالي تصنع (قازانات الحمّام) التي تعمل على وقود المازوت ، والثانية عام ١٩٨٩ م فوجئت خلالها ببدء انتشار صناعة الأدوات النحاسية التزيينية كمصبّات القهوة ولوازمها من (سماور ومنقل الفحم) وما شابه الى جانب السيوف العربية وغير ذلك ، وباعتقادي أن دخول هذه الصناعة قد تفقد السوق تخصصه الفريد في عمل الأدوات المنزلية التي ذكرت .



سوق النحّاسين الضيّق المسقوف من داخله باتجاه شارع الملك فيصل ؛ وفي طابقه الثاني ـ جهة اليسار من الصورة ـ تواجد النزل (الفندق) الذي أشارت اليه خارطة شرطة دمشق الصادرة خلال الاعوام (١٩٢٢ ـ ١٩٢٤ م) .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



المنتجات النحاسية المحدثة في سوق النّحاسين كالسماور ومصبّ القهوة المرّة ومنقل الفحم وما شابه ، والتي قد تؤدي في نهاية المطاف الى تراجع الصناعة التخصصية لهذا السوق الذي نشأ أصلا لعمل الأطباق المنزلية وأدواتها التي ذكرت في النص .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



تحتاج حرفة تطريق النحاس يدوياً الى كثير من الجهد ومتانة الأعصاب وقـدرة على التحمّل والصبر والدأب المضنييّن حتى تتحوّل صفائحه القاسية الى طناجر وأطباق للغسيل، ويعرف مفردها على ألسنة الناس باسم (لكَن أو لجن الغسيل) وصوانٍ وأدوات للمطبخ ومَعَاجِن وكل ما يقع تحت هذا التصنيف، من تسميات .

(بعدسة المؤلف عــام ١٩٨٥ م)





المطارق التي لا تتوقف أبدا عن القصف المدوّي في سوق النّحاسين منذ أن وجد هذا السوق ، وأعترف لكم أنني لم أحتمل البقاء فيه لأطول مما تحتاجه هاتين الصورتين من الزمن ، قذفت بعدها بنفسي خارجا خشية أن أصبح زبوناً مزمناً عند أطباء الاذنية .

(بعدسة المؤلف عامي ١٩٨٥ - ١٩٨٩ م)

سوق المناخلية

Souk EL - MANAKHLIAH

يمتد هذا السوق بين سوق العصرونية وشارع الملك فيصل عبر بابي الفرج الداخلي والخارجي مشكلا بينهما انعطافا بزاويتين قائمتين ، ويغطيه ساتر هرمي من الحديد والتوتياء في معظم أقسامه خصوصا بين البابين ، أما تسميته فنسبة الى (المناخل أو الناخلين)[1] أو باعتها (أنظر مخططي أسواق منطقة الزرابلية ، وسوقي الحميدية والعصرونية) •

ورد ذكر سوق المناخلية في مؤلفات العهد المملوكي [2] مما يشير الى تواجده في تلك الفترة وربما كان أقدم من ذلك ، أما في العهد العثماني فذكره القساطلي [3] وهو يعدد الأسواق المتجاورة بقوله : (وسوق الخيل وسوق الجمال وسوق الخضروية وسوق الحمير وسوق المحايرية وسوق المناخلية والبوابيجية وكل هذه متصلة مشهورة) • كما أشار اليه العلاف [4] بقوله (وفيه باعة الأخشاب والأحذية) ، وأشارت خارطة شرطة دمشق الصادرة خلال الأعوام (١٩٢٢ ــ ١٩٢٤ م) الى موقعه وتسميته الحاليين •

لحظت عند زيارتي الميدانية لموقعه في منتصف عام (١٩٨٩ م) أن هجمة الزحف الاختلاطي قد بدأت بالانتشار فيه ، فمتاجر الأحذية الشعبية تتوزع بين متاجر الدهانات ولوازمها ، كذلك حوانيت الأنابيب والأسلاك المعدنية الى جانب محال بيع الأدوات العصرونية، كل هذا بين البابين، أما بعد خروجك من الباب الخارجي باتجاه شارع الملك فيصل فيأخذ السوق طابعا تخصصيا بلوازم النجارين والحدادين والصناع والعدد الصناعية •

من المشيدات التاريخية في سوق المناخلية باب الفرج الذي شيده السلطان نور الدين محمود بن زنكي الملقب بالشهيد ولم يكن متواجدا بين أبواب دمشق الأصلية وسماه بهذه التسمية تفاؤلاً لما وجد لأهل البلد من فرج بفتحه ، وهو باب مزدوج الداخلي منه على حذاء السور وقد جدده الملك الصالح أيوب سنة (٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م) في العهد الأيوبي ، أما الخارجي فقد أعيد بناؤه في القرن الخامس عشر[5] • وكذلك جامع المناخلية أو سنان آغا •

---

(١) المناخِل : جمع مُنْخُل ومُنْخَل أي ما يُنْخَل به من دقيق وسواه بقصد غربلته وازالة نُخالته ، والناخِلون : جمع ناخِل وهي اسم الفاعل (انظر معجم المنجد تحت فعل نَخَلَ) .

(٢) نزهة الأنام في محاسن الشام : البدري ص ٣٦ ، ثمار المقاصد في ذكر المساجد : ابن عبد الهادي ص ٢٦٤ .

(٣) الروضة الغناء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي . دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٩٩ .

(٤) دمشق في مطلع القرن العشرين : احمد حلمي العلاف . دار دمشق ، ١٩٨٣ ، ص ١٨ .

(٥) دمشق القديمة (أسوارها ابراجها ابوابها) : د.صلاح الدين المنجد، مديرية الآثار القديمة، دمشق ١٩٤٥ م.



باب الفرج الداخلي المحاذي للسور حيث بداية سوق المناخلية
(بعدسة المؤلف من الجنوب الى الشمال صيف عام ١٩٨٩ م)



سوق المناخلية من الشرق الى الغرب بين بابّي الفـرج حيث تختلط حوانيـت بيـع الأحذية بحوانيت لوازم الدهـّانين والصحيّة والعصرونية وغيرها .

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)



سوق المناخلية من الشمال الى الجنوب ، من شارع الملك فيصل باتجاه باب الفرج الخـارجي الذي يبدو وسط الصورة .

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)



احدى منعطفات سوق المناخلية المؤدية
الى جادة بحرة الدفاقة حيث تباع الأنابيب
المعدنية التي تعرف على ألسنة الناس باسم
(بواري) بنوعيها (المُزيبَق والأسْوَد)
والطريف في الأمر أن أصحاب الحوانيت
يربطونها الى واجهات حوانيتهم بواسطة
السلاسل المعدنية المقفلة (يجنزرونها)
ويتركونها حتى في أيام العطل كالجُمَع
والأعياد دون أن يمسّها انسان .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



من محالّ سوق المناخلية التي تتجر بالأنابيب البلاستيكية والمطاطية المستعملة
السقاية وغير ذلك ، وتعرف على ألسنة الناس بأسماء مختلفة : (نرابيش ، برابيش
خراطيم) ، ومنها ما يستعمل في التمديدات الكهربائية فيدعى عندئذ : (توب أو توبة
معكرونة) وهذه الأنواع أشد قساوة وصلابة من الأولى .

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)

من المشيدات التاريخية في سوق المناخلية (جامع سنان آغا أو جامع المناخلية) ويقع في نهاية الفرع الغربي لهذا السوق الآخذ الى شارع الملك فيصل (أنظر مخطط سوقي الحميدية والعصرونية ، ومخطط الأســواق القديمة في منطقة الزرابلية) •

تتواجد فوق ساكف باب الجامع وبجواره ثلاث لوحات تحمل الاولى منها عبارة (جامع سنان آغا أنشأه الأمير سنان آغا بن عبد الله سنة ٩٧٠ هـ / ١٥٦٢ م) وكان سنان هذا آغا للانكشارية في بدايات العهد العثماني ، أما الثانية فكتب عليها (جامع المناخلية سنان آغا) والثالثة (دار القرآن بجامع المناخلية سنان آغا١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م) •

استخدم هذا الجامع سجنا عسكريا خلال الحرب العالمية الأولى [1] (١٩١٤ — ١٩١٨ م) كما اقيمت له مئذنة حجرية منذ عهد قريب على الرغم من تواجد مئذنته الأساسية التي تفي بالغرض رغم قصرها •

---

(١) الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر . تعريب قاسم طوير . دمشق ، ١٩٨٤ ، ص ١٠١ . وللتوسع انظر ثمار المقاصد في ذكر المساجد : يوسف بن عبد الهادي . مكتبة لبنان ، ١٩٧٥ ، ص ٢٢٦ ، ايضا العمارة العربية الاسلامية : د. عبد القادر الريحاوي . وزارة الثقافة ، ١٩٧٩ ، ص ٢٢٩ .



جامع سنان آغا أو جامع المناخلية
(بعدسة المؤلف من الشمال الى الجنوب صيف عام ١٩٨٩ م)

سوق الجمعة

Souk EL - DJOUMAA

يمتد هذا السوق على طول امتداد جادة المدارس في حي الصالحية من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ، بين جادة أبي جرش وجادة العفيف (أنظر مخطط سوق الجمعة) •

لم يرد ذكره في المصادر التي تتحدث عن العهد المملوكي ، كما لم يرد في مصادر العهد العثماني ، الا عند العلاف[1] ، وفي (خريطة دمشق) التي نظمتها بلدية دمشق خلال السنوات (١٩٢١ ـ ١٩٢٤ م) تحت اشراف المسيو فيير مدير هندسة البلدية آنذاك ، لكنها عيّنت موضعه الى الشمال قليلاً من موقعه الحالي • ولقد حدثني التجّار المسنّون فيه أنه سوق قديم يذكرونه منذ طفولتهم دون أن يستطيعوا تحديد الزمن بدقة ، وأنه ربما نشأ أواخر القرن التاسع عشر أو مطلع العشرين عندما كان الباعة يتوافدون اليه من أحياء الميدان وباب السريجة وغيرهما ، ومن قرى الغوطة القريبة كداريا وكفرسوسة ، كل يوم جمعة من الصباح الى الظهر فقط ومن هنا جاءت تسميته بسوق الجمعة ، ومع الأيام أضيف يوم الاثنين اليه بدوام يستمرّ طوال النهار • أما اليوم فيقام كامل أيام الأسبوع دون توقف من الصباح الى المساء •

كانت وسائط نقل السلع الى سوق الجمعة في السابق عبارة عن الدواب والطنابر والترام الذي كان يصل الى جامع الشيخ محي الدين ، كما كان البعض من الباعة الوافدين اليه يحملون بضاعتهم فوق أكتافهم ويسيرون بها مسافات غير قصيرة حتى يصلوه ، أما اليوم فأصبحت العملية أسهل بكثير نتيجة انتشار سيارات النقل الصغيرة كالهوندا والسوزوكي وما شابه •

---

(١) دمشق في مطلع القرن العشرين : احمد حلمي العلاف ، دار دمشق ، ١٩٨٣ م ، ص ١٩٠ ـ ٢٠٤ .

لا أكون مبالغاً اذا قلت أن سوق الجمعة هو سوق (كل شيء) ، ففيه تتوفر الفاكهة والخضراوات والحبوب واللحوم والمعلبات والمواد الغذائية المختلفة بالدرجة الأولى ، الى جانب الأقمشة والأحذية الشعبية ، الى جانب أدوات المطبخ والأدوات المنزلية ولوازمهما ، وغير ذلك من المواد الأخرى الكثيرة التي قد لا تخطر على بال .

وفيه من المشيدات التاريخية الممتدة على طول جادة المدارس ما لا يتواجد في أسواق مدينة دمشق الأخرى ، بدءاً من العهد الأيوبي منتهياً بالعهد العثماني ، وهي على التتابع من الشرق الى الغرب وعلى طرفي هذا السوق أو الجادة : جامع الشيخ محي الدين بن عربي وضريحه وقبالته التكية السليمية ، ثم البيمارستان القيمري وقبالته التربة القيمرية (تربة منشيء البيمارستان أو المستشفى كما كانت تعرف في السابق) ، ثم المدرسة الجهاركسية (الجركسية) والمدرسة الأتابكية وقبالتها نحو الغرب قليلاً التربة التكريتية وقبالتها دار الحديث الأشرفية البرانية (ومن كثرة المدارس في هذه الجادة سميت بجادة المدارس) ، ثم المدرسة المرشدية ثم التربة الفرنثية ، كما تتواجد قبة مجهولة عند التقاء هذه الجادة بجادة العفيف ، وسأشرح بالتفصيل والصور كل من هذه المشيدات في الصفحات التالية .



الجزء القصير المغـّطى من النهاية الغربية لسوق الجمعة في جادة المدارس

(بعدسة المؤلف من الغرب الى الشرق صيف عام ١٩٨٥ م)



جزء من (خريطة دمشق) التي نظـّمتها بلدية دمشق خلال الأعوام (١٩٢١ ـــ ١٩٢٤ م) ويبدو فيها موقع (سوق الجمعة) الى الشمال قليلا من موقعـه الحالي ، وقد أضفت اليها سهماً يشير الى مسار خط ترام (الشيخ محي الدين) الذي كان انتهاؤه عند جامع الشيخ محي الدين بن عربي غير المذكور في الخارطة .



تنتشر في النصف الشرقي من سوق الجمعة مظلات الباعة المتعيّشين أمام الحوانيت وقد تستقر في بعض الأحيان في الطريق نفسه أو تتجمع ضمن الفسحات والساحات الموزّعة على طول امتداد هذا السوق .

(بعدسة المؤلف من الجنوب الى الشمال صيف عام ١٩٨٩ م)



ساحة سوق الجمعة أمام مدخل جامع (الشيخ محي الدين بن عربي) في حي الصالحية ـ جادة المدارس ـ حيث ينتشر الباعة المتعيشون ، وقد رأيت الى احدهم يُلَوّح (بشرشف) أبيض وهو ينادي : (للأموات ، للعرسان ، لَحقّوا حالْكُن) فالتقطت له الصورة خلسة ونجوت بنفسي قبل أن أصبح في عداد أحدهما .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٥ م)



مطعم شعبي (الحمّص والفتّات) في جادة المدارس من حي الصالحية تباع فيه ايضا أنواع المخللات ، ففي المقدمة مخلل الخيار تليه (طواحين اللفت) ثم خليط من مخلل (الإتّه : القثّاء وقرون الفليفلة الحدّة) ثم مخلل (البيتنجان) الى آخر الحكاية ، وتتدلّى من نافذة المطعم (ضمّات البقدونس) تعلوها (صينية الحمّص المسلوق) الذي يؤكل أحيانا مع الملح والكمّون فيعرف باسم (بَلِيلا)

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٥ م)



(يا ريّان أحمر ، يا ريّان أسود) ويدوّي نداء بائع البندورة والباذنجان فيمتزج بتناغم عجيب مع (أصابيع البوبّو يا خيار ، يا ملوخية طروات ، طاب يا غتمي هالدرّاقن) وتكتب (كونشرتو النداءات) في سوق الجمعة ، ويستمرّ عزفها منذ الصباح الى الليل ٠

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



واجهة التكية السليمية التي أنشأها في جادة المدارس قبالة جامع الشيخ محي الدين السلطان (سليم الأول الملّقب بالفاتح) سنة (٩٢٤ هـ / ١٥١٨ م) في بدايات العهد العثماني ، وجددها بعد احتراقها السلطان سليمان القانوني سنة (٩٦٢ هـ / ١٥٥٥ م) [١] .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)



سوق الجمعة من الشرق الى الغرب وفي وسط الصورة قبتـا التكيـة السليمية

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

---

(١) العمارة العربية الاسلامية : د. عبد القادر الريحاوي . وزارة الثقافة ، ١٩٧٩ ، ص ٢٢٥ .



مئذنة جامـع الشيخ محي الدين في جادة المدارس من حي الصالحية ، شيّده السلطان سليم الأول الملّقب بالفاتح سنة (٩٢٤ هـ / ١٥١٨ م) تكريما للشيخ محي الديــن بن عربي الصوفي الشهير المتوفى سنة (٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م) أي بعد وفاته بسنوات طويلة [١] .

(الصورة بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م وهي ملتقطة من الشمال الى الجنوب من الفسحة التي تتوسط ســوق الجمعــة)



واجهة ومدخل جامع الشيخ محي الدين من فسحة سوق الجمعة التي ينتشر فيها الباعة المتعيشون والبسطاطية وغيرهما .

(بعدسة المؤلف من الشمال الى الجنوب صيف عــام ١٩٨٩ م)

(١) العمارة العربية الاسلامية : د. عبد القادر الريحاوي . وزارة الثقافة ، ١٩٧٩ ، ص ٢٢٥ .



الزخارف التي تعلو بـاب البيمارستان القيمري الذي أنشأه في جادة المدارس الامير سيف الدين علي بن يوسف بن أبي الفوارس القيمري الكردي ، وقد بوشـر بالبنـاء سنة (٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) وتمّت العمارة سنة (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) أواخر العهد الأيوبي[١] .

(بعدسة المؤلف عـام ١٩٨٩ م)



مدخل دار الحديث الأشرفية البرّانية التي بناها في جـادة المدارس مـن حي الصالحية الملك الأشرف موسى الأيوبي سنة (٦٢٩ هـ / ١٢٣٢ م) استنادا للوحة الرخامية جانب بابهـا .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

---

(١) انظر خطط دمشق : اكرم حسن العلبي . دار الطبّاع ، دمشق ، ١٩٨٩ ، قسم (مدارس الطب) .

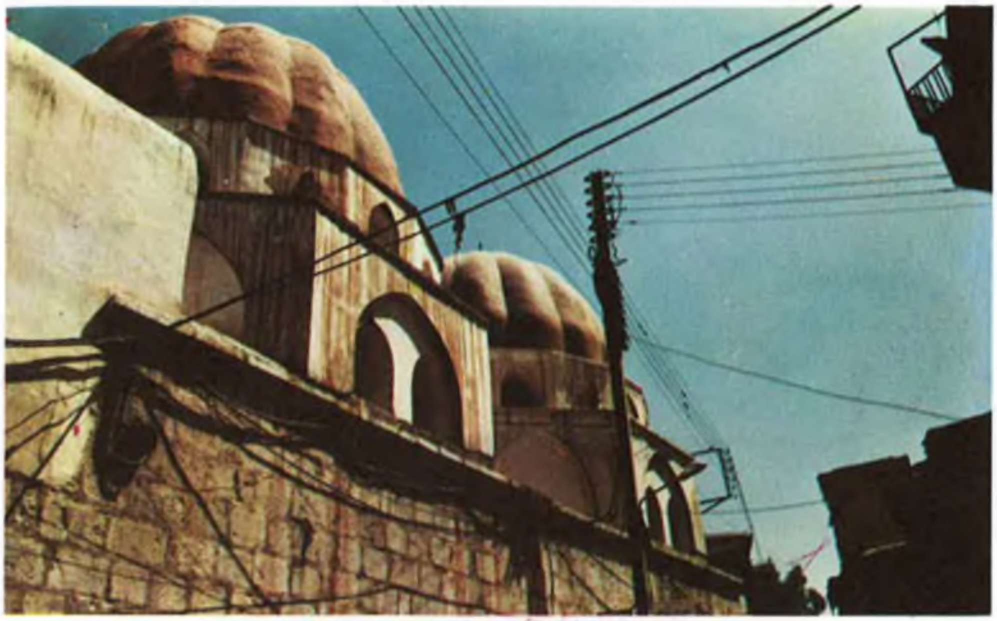


مئذنة المدرسة الأتابكية التي أنشأتها في جادة المدارس (تركان خاتون) زوجة السلطان الملك الأشرف الأيوبي سنة (٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م) كما ورد في نص اللوحة الرخامية المؤرخة لها بجانب الباب .

(الصورة بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م وهي ملتقطة من الشمال الى الجنوب)

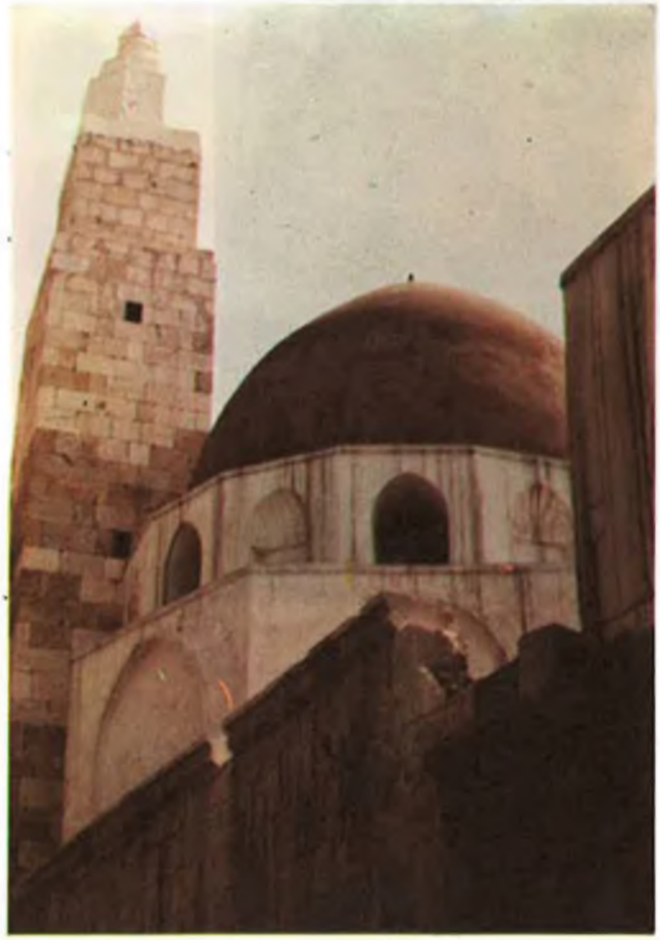


الزخارف الحجرية الأيوبية التي تعلو باب المدرســة الأتابكية
(وتلفظ بالعامية التابْتِيّــة)
(بعدسة المؤلف عــام ١٩٨٩ م)



قبتا المدرسة الجهاركسية (الجركسية) التي أنشأهافي جادة المدارس الأمير الكبير (فخر الدين جركس) أحد أمراء الدولة الأيوبيـة المتوفى سـنة (٦٠٨ هـ / ١٢١١ م)[١] .

(بعدسة المؤلف من الجنوب الى الشمال عام ١٩٨٩ م)

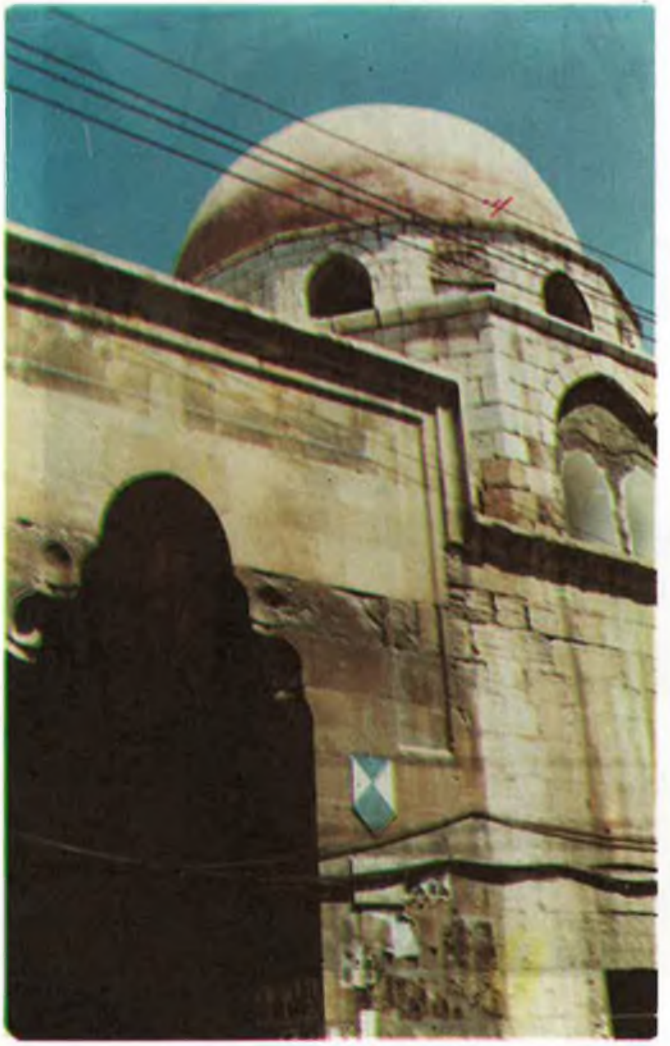


المدرسة المرشدية التي أنشأتها في جـادة المدارس من حي الصالحيـة (خديجـة خاتون) بنت الملك المعظّم عيسى الأيوبي ابن الملك العادل أبي بكر ودفنت فيها سنة (٦٥٤ هـ/١٢٥٦ م)[٢] . الصورة بعدسة المؤلف عام ١٩٨٥ م وهي ملتقطـة من الغرب الى الشرق حيث تبدو قبّة المدرسة ومئذنتها ذات الطراز العمراني الفريد من نوعه في مدينة دمشق .

---

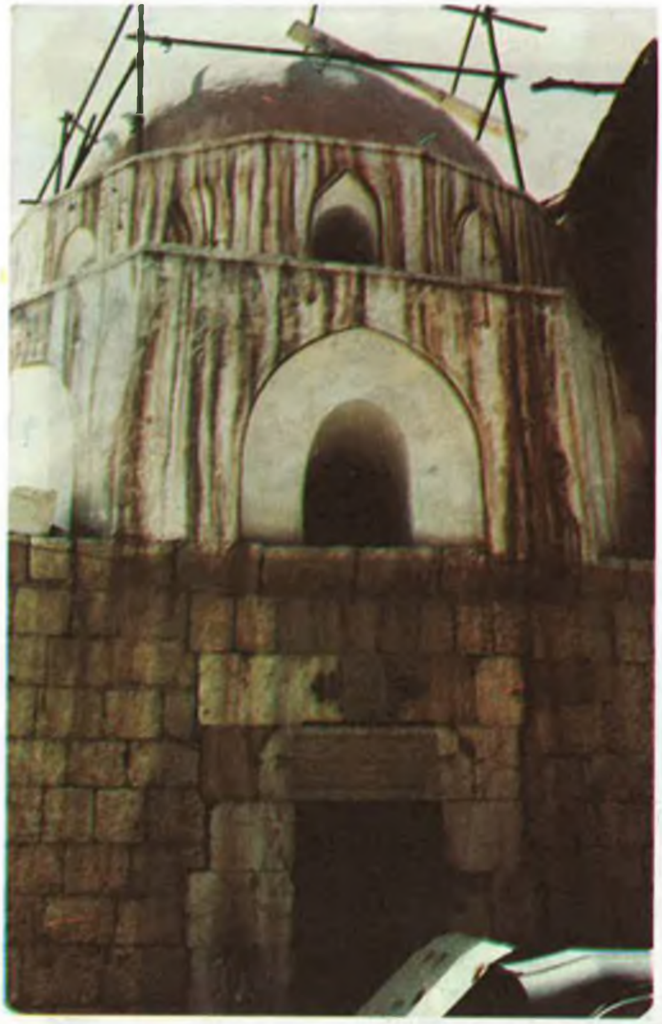
(١) العمارة العربية الاسلامية : د. عبد القادر الريحاوي وزارة الثقافة ، ١٩٧٩ ، ص ١٣٠ .

(٢) المصـدر السابق ، ص ١٢٧ .



واجهة التربة التكريتية (تربة الوزير تقي الدين التكريتي) في جادة المدارس من حي الصالحية ، وتشير اللوحة الرخامية المؤرخة لها الى سنة (٦٩٨ هـ/١٢٩٩ م) من العهد المملوكي ٠

(بعدسة المؤلف من الجنوب الى الشمال عام ١٩٨٩ م)



قبة التربة الفرتية في جادة المدارس أثناء ترميمها ، وهي تربة (الشيخ علي الفرتي) المتوفى سـنة (٦٢١ هـ/١٢٢٤ م) من العهد الأيوبي كما تشير اللوحة الحجرية المنقوشة على ساكف بابها .

(بعدسة المؤلف عام ١٩٨٩ م)

ختاماً للبحث

لا بدّ لي في ختام هذا البحث من جدولة الأسواق التي زالت تلقائياً أو اثر تنظيم مناطقها أو تبدلت اختصاصاتها أو تسمياتها وهي :

١ ـ **سوق الزرابلية :**

بين شارع الثورة والسنجقدار ، قبالة سوق السروجية ، تقلّص الى بضع حوانيت تتجر بالأحذية .

٢ ـ **سوق الخجا :**

على امتداد الجدار الغربي لقلعة دمشق، أزيل لكشف هذا الجدار والخندق عنده ، وشيّد بدلاً عنه سوق الخجا الجديد في شارع الثورة .

٣ ـ **سوق البسكليتات :**

كان هذا السوق على الناصية الشمالية من الطرف الشرقي لشارع النصر قبالة القصر العدلي وزال اثر تنظيم هذه البقعة من الشارع حوالي بدايات النصف الثاني من القرن العشرين ، ولم يكن هذا السوق أكثر من بضع حوانيت تتجر بالبسكليتات (الدراجات) الى جانب عدد محدود من متاجر أسلحة الصيد ولوازمها ، وقد أطلقت تسميته على ألسنة الناس ولم تكن رسمية .

٤ ـ **سوق المحايرية :**

بين سوقي السروجية والحدّادين ، زال اختصاصه وبقيت حوانيته .

٥ ـ **سوق علي باشا :**

بين ساحة المرجة وساحة سوق الخيل ، زال نهائياً وانتقلت تسميته حديثاً على ألسنة الناس الى ساحة سوق الخيل .

٦ ـ **سوق الهال :**

بين سوق صاروجا وشارع الملك فيصل ، تبدّلت معالمه اثر تنظيم المنطقة وبناء سوق الهال الجديد في منطقة الزبلطاني ، ورغم ذلك لا يزال الباعة المتعيشون يمارسون فيه نفس اختصاصه القديم في بيع الخضار والفواكه .

٧ ـ ساحة سوق الخيل :

تبدّل اختصاصها وتسميتها ، وصارت ساحة لبيع الخضار والفواكه بدلاً عن الخيل ، كما أطلق عليها الباعة أنفسهم اسم ســوق علي باشا .

٨ ـ سوق الخطّاطين :

في زقاق البحصة البرّانية ، بين جادة البحصة وشارع بور ســعيد ، الى الخلف من جامع الطاووسية (الخانقاه اليونسية) ، زال نهائياً اثر تنظيم منطقة البحصــة حوالي السبعينات من هذا القرن ، وكانت تتجمع فيه غالبية حوانيت الخطّاطين (كتبة الخط العربي والأجنبي) الى جانب بعض المطابع والزنكوغراف (تحضير كليشات الطباعة) .

٩ ـ سوق الجمــال :

في الميدان الفوقاني الى الجنوب من ساحة الزفتية (استناداً لخارطة دمشق) الصادرة عن بلدية دمشق خلال الأعوام (١٩٢١ ـ ١٩٢٤ م) ، وقد زال هذا السوق بزوال تجارة الجمال .

١٠ ـ سوق الغنــم :

بين سوق السنانية والمدرسة الصابونية ، زال أثر اعتماد المسلخ الرسمي مكاناً لذبح الغنم وبقيت التسمية مطلقة على هذا الموقع .

١١ ـ سوق القلبقجية :

بين جادة سوق الحرير وسوق الخيّاطين ، زال اختصاصه وبقيت التسمية .

١٢ ـ سوق البورص :

بين سوق الحميدية وزقاق ابن أبي عصرون رقم ١ ، زال تخصصه وبقيت تسميته .

١٣ ـ سوق الجرابات :

بين سوق الحميدية وسوق شاكر غازي ، بقيت تسميته على ألسنة الناس وانتقــل اختصاصه الى زقاق المحكمة بين سوق الخيّاطين ومحلة الحرقة حيث تتجمّع معامل صنع الجرابات ومتاجرها .

١٤ ـ سوق المسكية :

بين النهاية الشرقية لسوق الحميدية والباب الغربي للجامع الأموي ، تبدلت معالمه اثر تنظيم المنطقة لكشف الواجهة الغربية لهذا الجامع ومعبد جوبيتر .

١٥ ـ سوق القوافين :

على امتداد نصف الجدار الجنوبي الغربي والجنوبي الشرقي للجامع الأموي ، أزيل لكشف ما كان يخفيه من جدران هذا الجامع .

١٦ ـ سوق السلاح :

بين سوق القوافين والبزورية ، بقيت تسميته وزال اختصاصه .

١٧ ـ سوق السكرية :

بين باب الجابية وسوق الذراع ، تبدل اختصاصه وبقيت تسميته .

١٨ ـ سوق الصباغين :

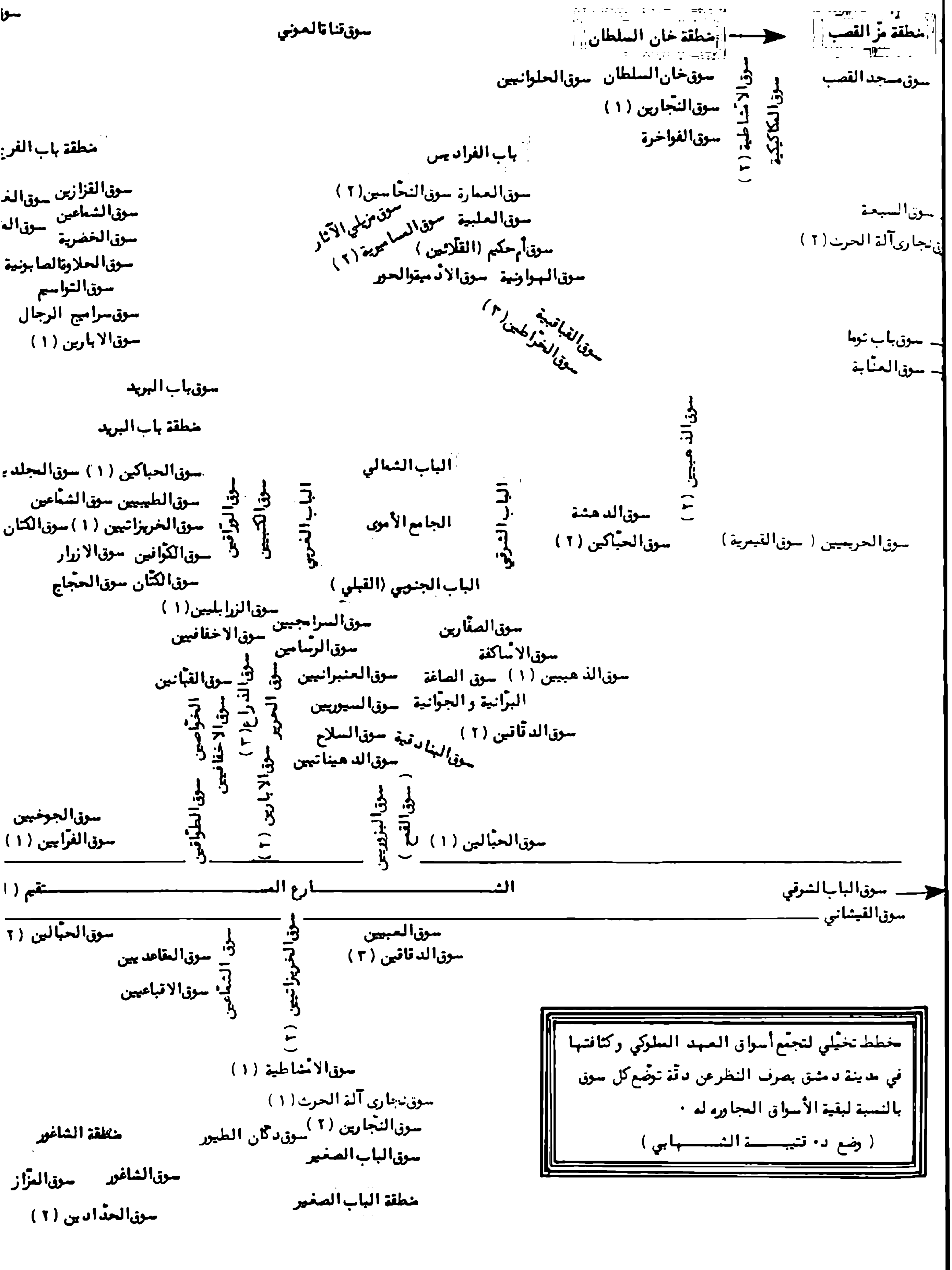
بين باب الجابية وسوق السنانية ، تبدل اختصاصه وبقيت تسميته .

١٩ ـ سوق باب الجابية :

في محلة باب الجابية ، بقي منه النذر اليسير بعد تنظيم المنطقة .

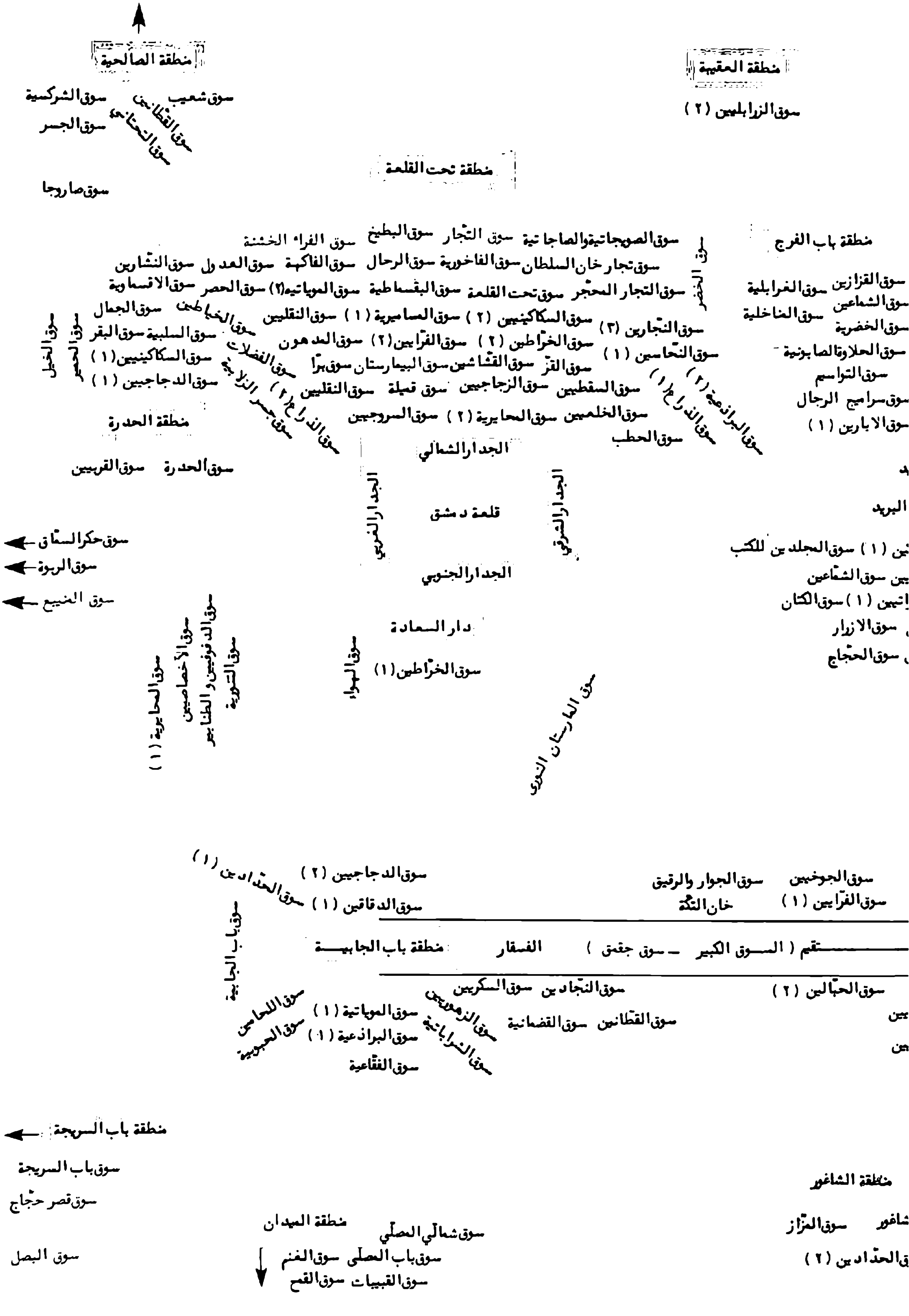
٢٠ ـ سوق الجزماتية :

في محلة الميدان الوسطاني ، تبدل اختصاصه وبقيت التسمية .



مخطط تخيلي لتجمّع أسواق العهد المملوكي وكثافتها في مدينة دمشق بصرف النظر عن دقة توضّع كل سوق بالنسبة لبقية الأسواق المجاورة له .

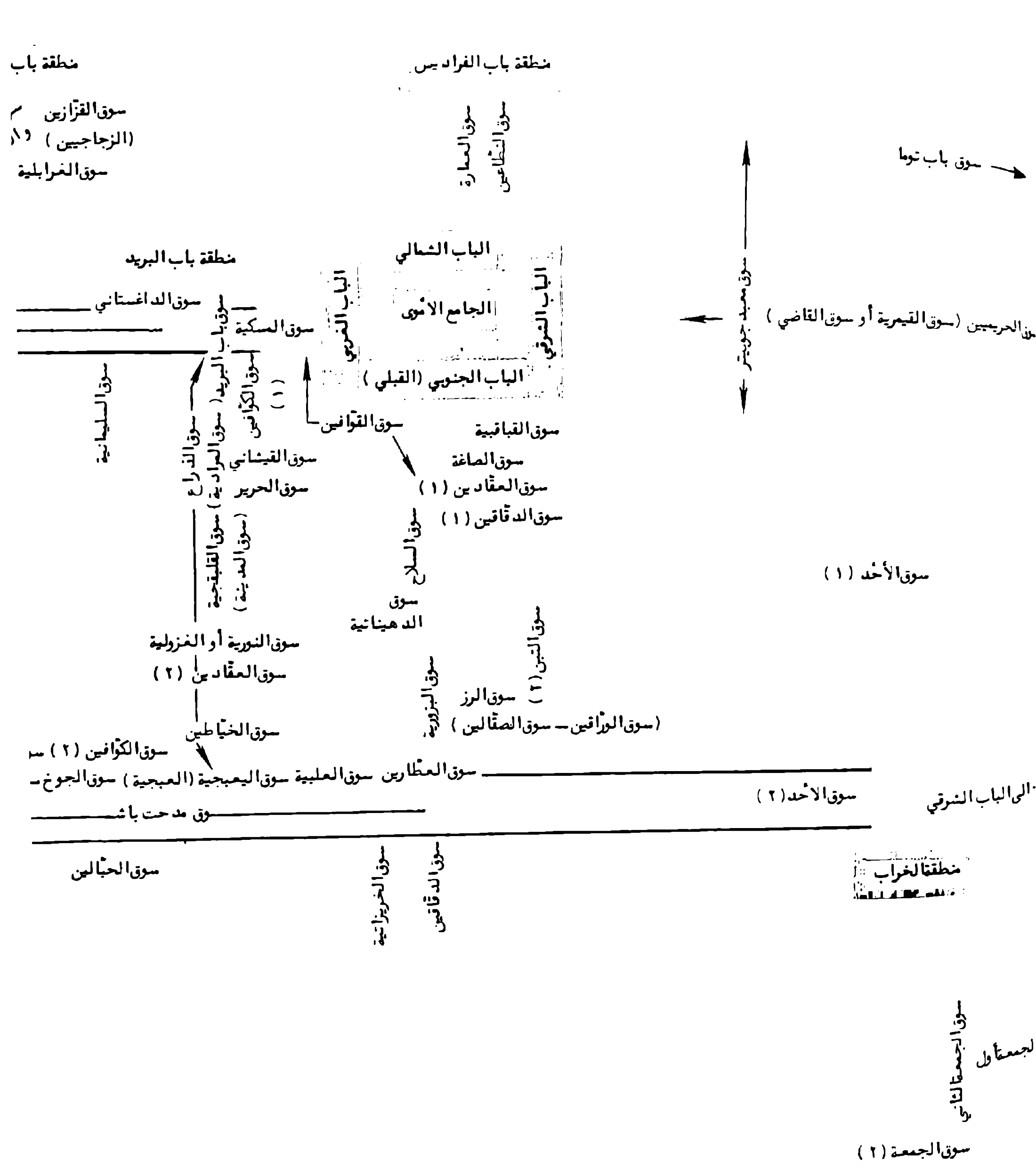
(وضع د. قتيبة الشهابي)

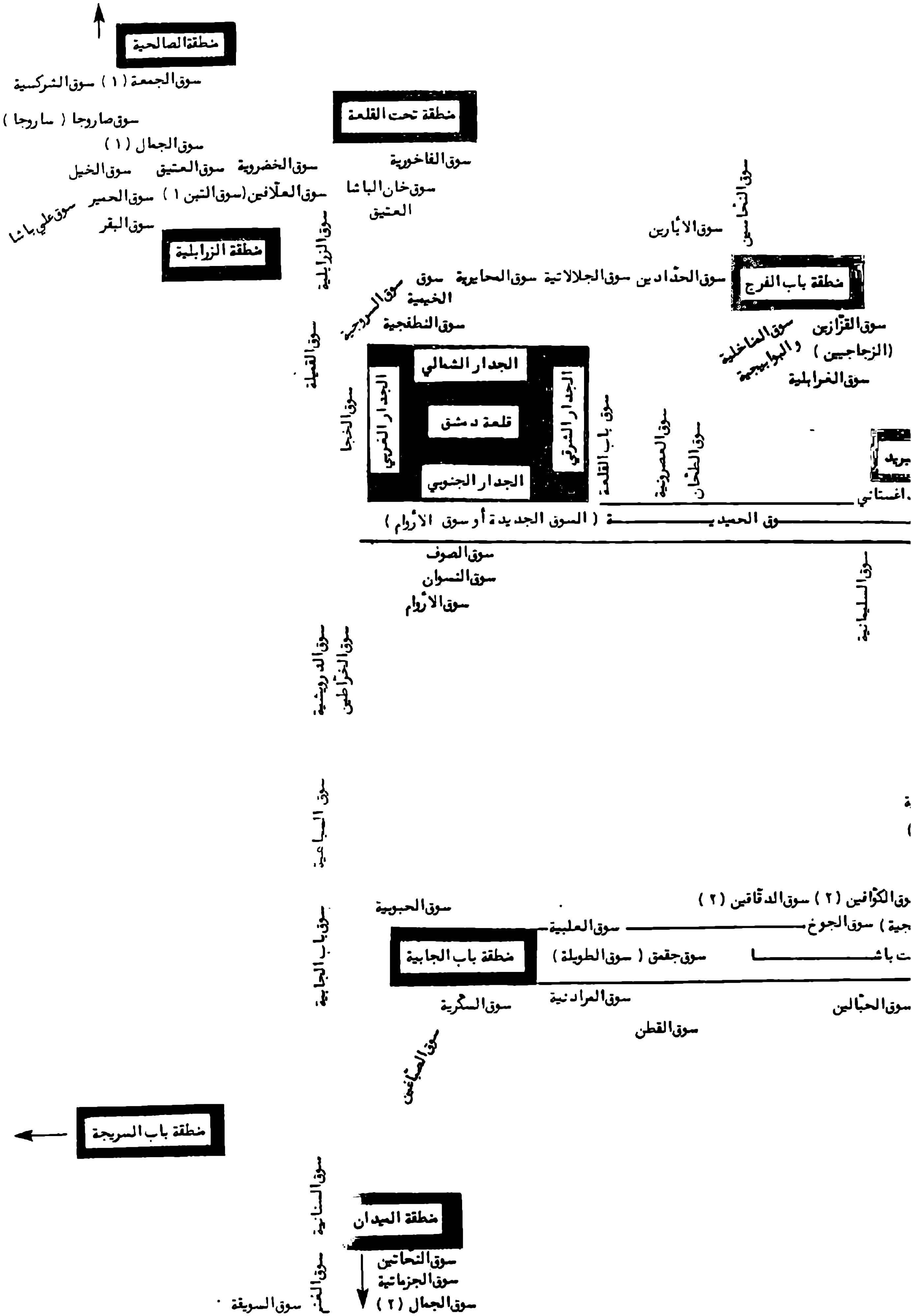


منطقة الصالحية
سوق شعيب
سوق الشركسية
سوق الجسر
سوق القطانين
سوق النحاسين
سوق صاروجا
منطقة العقيبة
سوق الزرابليين (٢)
منطقة تحت القلعة
سوق الصوبجاتية والصاجاتية
سوق التجار
سوق البطيخ
سوق الفراء الخشنة
سوق تجار خان السلطان
سوق الفاخورية
سوق الرحال
سوق الفاكهة
سوق العدول
سوق النشارين
سوق التجار المحجر
سوق تحت القلعة
سوق البقسماطية
سوق العوياتية (٢)
سوق الحصر
سوق الاقسماوية
سوق السكاكينيين (٢)
سوق الصاميرية (١)
سوق النقليين
سوق الجمال
سوق الخراطين (٢)
سوق القرايين (٢)
سوق الدهون
سوق السلبية
سوق البقر
سوق القز
سوق القشاشين
سوق البيمارستان
سوق برا
سوق السكاكينيين (١)
سوق الدجاجين (١)
سوق السقطيين
سوق الزجاجيين
سوق قميلة
سوق النقليين
سوق الخلميين
سوق المحايرية (٢)
سوق السروجيين
سوق الخضر
سوق النجارين (٣)
سوق النحاسين (١)
سوق الحطب
سوق الخيل
سوق الحمير
سوق الخيل
سوق الفضلات
سوق الذراع (٢)
سوق جسر الزلابية
سوق الذراع (١)
سوق البرادعية (٢)
منطقة الحدرة
سوق الحدرة
سوق القربيين
الجدار الشمالي
الجدار الغربي
الجدار الشرقي
قلعة دمشق
الجدار الجنوبي
دار السعادة
سوق الخراطين (١)
سوق الهواء
سوق المارستان النوري
سوق حكر السماق
سوق الربوة
سوق المنيبع
سوق المحايرية (١)
سوق الأخصاصيين
سوق الدنوقيين والطنابير
سوق التورية
منطقة باب الفرج
سوق القزازين
سوق الشماعين
سوق الخضرية
سوق الحلاوة والصابونية
سوق التواسيم
سوق سراميج الرجال
سوق الاباريين (١)
سوق الغرابلية
سوق الداخلية
البريد
سوق المجلدين للكتب
سوق الشماعين
سوق الكتان
سوق الازرار
سوق الحجاج
سوق الدجاجين (٢)
سوق الحدادين (١)
سوق الدقاقين (١)
سوق باب الجابية
منطقة باب الجابية
الفسقار
سوق جقمق
السوق الكبير
مستقيم
سوق الجوخيين
سوق الجوار والرقيق
خان التكة
سوق القرايين (١)
سوق النجادين
سوق السكريين
سوق القطانين
سوق القضمانية
سوق الحبالين (٢)
سوق اللحامين
سوق الحبوبية
سوق العوياتية (١)
سوق البرادعية (١)
سوق القباعية
سوق الزهريين
سوق الغرابلية
منطقة باب السريجة
سوق باب السريجة
سوق قصر حجاج
سوق البصل
منطقة الميدان
سوق شمالي المصلى
سوق باب المصلى
سوق الغنم
سوق القبيبات
سوق القمح
منطقة الشاغور
سوق الرزاز
سوق الحدادين (٢)

مخطط تخيلي لتجمع أسواق العهد العثماني المتأخر وكثافتها في مدينة دمشق مع اهمال تسميات بعض الأسواق القليلة التي لم استطع التوصل الى مواقعها .

(وضع : د. قتيبة الشهابي)




منطقة الصالحية
سوق الجمعة (١) سوق الشركسية
سوق صاروجا (ساروجا)
سوق الجمال (١)
سوق الخضروية سوق العتيق سوق الخيل
سوق العلافين (سوق التبن ١) سوق الحمير
سوق علي باشا
سوق البقر
منطقة الزرابلية
سوق الزرابلية
منطقة تحت القلعة
سوق الفاخورية
سوق خان الباشا العتيق
سوق النحاسين
سوق الأبارين
منطقة باب الفرج
سوق الحدادين سوق الجلالاتية سوق المحايرية سوق الخيمية
سوق السروجية
سوق النطفجية
سوق القبلية
سوق القزازين (الزجاجيين)
سوق المناخلية والبوابيجية
سوق الغرابلية
الجدار الشمالي
الجدار الغربي
قلعة دمشق
الجدار الشرقي
الجدار الجنوبي
سوق الخجا
سوق باب القلعة
سوق العصرونية
سوق الطحان
بريد
اغستاني
سوق الحميدية (السوق الجديدة أو سوق الأروام)
سوق الصوف
سوق النسوان
سوق الأروام
سوق السليمانية
سوق الدرويشية
سوق الخراطين
سوق السباعية
سوق الكوافين (٢) سوق الدقاقين (٢)
سوق الحبوبية
سوق العلبية
سوق الجوخ
سوق باب الجابية
منطقة باب الجابية
سوق جقمق (سوق الطويلة)
سوق السكرية
سوق المرادنية
سوق الحبالين
سوق القطن
سوق الصباغين
منطقة باب السريجة
سوق السنانية
منطقة الميدان
سوق النحاتين
سوق الجزماتية
سوق الجمال (٢)
سوق الغنم
سوق السويقة

المصادر والمراجع

١ ـ ولاة دمشق في العهد العثماني : د. صلاح الدين المنجد .... دمشق ١٩٤٩

٢ ـ منتخبات التواريخ لدمشق : محمد أديب آل تقي الدين الحصني دار الآفاق الجديدة ..... بيروت ١٩٧٩

٣ ـ الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية : عز الدين عربي كاتبي الصيادي .... مطبعة المقتبس دمشق ١٣٣٠/١٩١٢

٤ ـ الريف السوري : احمد وصفي زكريا الجزء الثاني .... دمشق ١٩٥٧

٥ ـ تاريخ المسرح السوري : وصفي المالح .... دمشق ١٩٨٤

٦ ـ خطط دمشق : اكرم حسن العلبي .... دار الطباع .... دمشق ١٩٨٩

٧ ـ الآثار الاسلامية في مدينة دمشق : ولتسينجر تعريب قاسم طوير .... دمشق ١٩٨٤

٨ ـ ولاة دمشق في عهد المماليك : محمد احمد دهمان .... دار الفكر .... دمشق ١٩٨٤

٩ ـ حوادث دمشق اليومية : البديري الحلاق .... القاهرة ١٩٥٩

١٠ ـ قاموس الصناعات الشامية : القاسمي والعظم .... دار طلاس .... دمشق ١٩٨٨

١١ ـ قلعة دمشق : د. عبد القادر الريحاوي .... هيئة التدريب في الجيش العربي السوري .... دمشق ١٩٧٩

١٢ ـ الدارس في تاريخ المدارس : النعيمي ....

١٣ ـ منادمة الاطلال : عبد القادر بدران ....

١٤ ـ المدارس العصرونية في بلاد الشام : د. صادق احمد داود جودة مؤسسة الرسالة ودار عمار بيروت ١٩٨٦

١٥ ـ يا مال الشام : سهام ترجمان .... دمشق ١٩٧٨

١٦ ـ مفاكهة الخلان في حوادث الزمان : ابن طولون .... القاهرة ١٩٦٢

١٧ ـ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي .... دار صادر .... بيروت

١٨ ـ الروضة الغناء في دمشق الفيحاء : نعمان قساطلي .... دار الرائد العربي ... بيروت ١٩٨٢

١٩ ـ دمشق تاريخ وصور : د. قتيبة الشهابي .... وزارة الثقافة .... دمشق ١٩٨٦

٢٠ ـ دمشق في مطلع القرن العشرين : أحمد حلمي العلاّف .... دار دمشق .... دمشق ١٩٨٣

٢١ ـ لطف السمر وقطف الثمر : الغزّي .... وزارة الثقافة دمشق ١٩٨١

٢٢ ـ العمارة العربية الاسلامية : د. عبد القادر الريحاوي وزارة الثقافة .... دمشق ١٩٧٩

٢٣ ـ ثمار المقاصد في ذكر المساجد : يوسف بن عبد الهادي .... المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق مكتبة لبنان بيروت ١٩٧٥

٢٤ ـ دمشق دراسات تاريخية وأثرية : مديرية الآثار .... وزارة الثقافة .... دمشق ١٩٨٠
٢٥ ـ مجتمع مدينة دمشق : د. يوسف نعيسة .... دار طلاس .... دمشق ١٩٨٦
٢٦ ـ الأعلاق الخطيرة : ابن شداد (جزء تاريخ مدينة دمشق) .... المعهد الفرنسي للدراسات العربية .... بدمشق ١٩٥٦
٢٧ ـ سورية والعهد العثماني : يوسف الحكيم .... دار النهار .... بيروت ١٩٨٠
٢٨ ـ مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر : ابن منظور ج١ .... دار الفكر .... دمشق ١٩٨٤
٢٩ ـ نزهة الأنام في محاسن الشام : أبو البقاء عبد الله البدري .... دار الرائد العربي .... بيروت ١٩٨٠
٣٠ ـ معجم البلدان : ياقوت الحموي .... دار احياء التراث العربي بيروت ١٩٧٩
٣١ ـ الحكومة السورية في ثلاث سنوات (١٩٢٨ ـ ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠) ....
٣٢ ـ مدينة دمشق : د. عبد القادر الريحاوي .... دمشق ١٩٦٩
٣٣ ـ الحمامات الدمشقية : منير كيال .... دمشق ١٩٨٦
٣٤ ـ رسائل دمشقية : ابن عبد الهادي تحقيق صلاح محمد الخيمي دار ابن كثير .... دمشق بيروت ١٩٨٨
٣٥ ـ أسرار العافية : الصيدلي مسلم غازي .... دمشق ١٩٨٥
٣٦ ـ كشف الرموز في بيان الأعشاب : الشيخ عبد الرزاق بن حمدوش الجزائري .... مكتبة الوحدة العربية ....
٣٧ ـ قاموس التداوي بالاعشاب : محمد رفعت .... دار البحار .... بيروت ١٩٨٨

الأبحاث والمقالات والرسائل

١ ـ رسالة نزهة الرفاق في شرح حال الأسواق : يوسف بن عبد الهادي الخزانة الشرقية مجلة الشرق ١٩٣٧
٢ ـ دمشق (اسوارها ابراجها ابوابها) أ. د. صلاح الدين المنجد مديرية الآثار القديمة دمشق ١٩٤٥
٣ ـ خانات مدينة دمشق : د. عبد القادر الريحاوي .... مجلة الحوليات الأثرية مجلد ٢٥ دمشق ١٩٧٥
٤ ـ جرد اثري لخانات دمشق : د. فؤاد يحيى .... مجلة الحوليات الأثرية مجلد ٣١ .... دمشق ١٩٨١

معاجم اللغات

١ ـ المنجد في اللغة والاعلام .... دار المشرق .... بيروت ١٩٨٤
٢ ـ معجم (كتاب معاني لهجة) : جيمس رد حاوص .... دار لبنان بيروت ١٩٨٧
٣ ـ المعجم الذهبي : د. محمد التونجي .... دار العلم للملايين .... بيروت ١٩٨٠
٤ ـ معجم الألفاظ الفارسية المعربة : السيد ادّى شير .... مكتبة لبنان بيروت ١٩٨٠

المراجع الأجنبية

1 — Five Years in Damascus, Porter Part II P. 49.

2 — Damascus and Palmyra Vol I+II, Charles G. Addison London 1838.

3 — La Syrie d'Aujourd'hui, Dr. Lortet Paris 1884.

الخرائط المعتمدة

١ ـ خارطة شرطة دمشق الصادرة خلال الأعوام (١٩٢٢ ـ ١٩٢٤) .

٢ ـ خريطة دمشق الصادرة عن بلدية دمشق خلال الأعوام (١٩٢١ ـ ١٩٢٤) .

٣ ـ خريطة دمشق القديمة في القرن السادس للهجرة : د. صلاح الدين المنجد . المجمع العلمي العربي .

٤ ـ خريطة دمشق القديمة بين السنوات (٤٩١ هـ ـ ٨٦٨ هـ) : د. صلاح الدين المنجد . مديرية الآثار العامة .

٥ ـ خريطة ولتسينجر الملحقة بكتاب (الآثار الاسلامية في مدينة دمشق) .

٦ ـ مخطط مدينة دمشق السياحي الصادر عن ادارة المساحة العسكرية بدمشق عام (١٩٨٢) .

٧ ـ مخطط مدينة دمشق الصادر عن ادارة المساحة السكرية بدمشق عام (١٩٧٩) .

٨ ـ خارطة مساجد دمشق بين الأعوام (١٩٣٠ ـ ١٩٣٤) الملحقة بكتاب (ثمار المقاصد في ذكر المساجد) .

٩ ـ مخطط الصالحية بين السنوات (٥٥٣ هـ ـ ١١٥٣ هـ) ا محمد أحمد دهمان . مجمع اللغة العربية .

١٠ ـ مخطط مدينة دمشق في الثلث الأول من القرن العشرين : اعداد بسام الجابي . ملحق بكتاب (زيارات الشام) لابن الحوراني .

المحتـــوى

Dr. K. SHIHABI

THE OLD SOUKS OF DAMASCUS & THEIR HISTORICAL MONUMENTS

(A Field Research, Illustrated & Photographed by The Author)

الطبع وفرز الألوان في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٠

سعر النسخة داخل القطر
٦٠٠ ل.س

في الأقطار العربية ما يعادل
٩٠٠ ل.س